الجامعة الإسلامية – غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة




# منهج الإمام
# المبارك بن محمد بن الأثير في العقيدة

إعداد الباحث

محمد بن محمد عقيل بن شعبان لولو

إشراف الدكتور

خالد حسين حمدان

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية – غزة

1434هـ _ 2013م

# إهداء

إلى من أشرقت أيامي وأزهرت حياتي بهما إلى من أرجو رضاهما عني دائما وبدعواتهما أستنير فلست أنا وجهدي هذا، إلا بعضاً من قديم إحسانكما، ومن شديد عنائكما، ومن طويل صبركما . . . يا والدي العزيزين حفظكما الله

وإلى من قاسمت معي هذه الحياة فسمت بقربها مشاعر الحياة الفاخرة حباً واحتواءً زوجتي العزيزة سلّمها الله

وإلى زينة الحياة الدنيا ولدي إبراهيم هداه الله

وإلى من زينوا حياتي بوجودهم، ويرفقتهم تحلو حياتي وأيامي إخوتي وأختي وفقهم الله

وإلى ينابيع الصدق الصافي ومن عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم رفاق دربي

وإلى العلماء والأساتذة الأجلاء



سمى الله نفسه الشكور والشاكر، فهو شكورٌ وشاكر يحب الشاكرين، وبالشكر تزيد النعم، قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [ سورة إبراهيم: ٧]، انطلاقاً من ذلك أحمد الله جل وعلا على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث، وأشكر له فضله وإنعامه، فله الحمد أولاً وآخراً، وأبرأ من الحول والقوة إلا به.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لأستاذي الموقر الدكتور/ **خالد حسين حمدان** _ حفظه الله _ الذي أشرف على هذه الرسالة من البدء إلى الختام، مع إتحافي بتوجيهاته النيّرة، واستقباله لي دوما بصدرٍ رحب ووجهٍ طلق، سعياً في تسديد قوسي وتقويم ساعدي، جزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له الأجر والمثوبة والعطاء، وجعله من عباده الصالحين العالمين العاملين.

كما أتقدم بجزيل الشكر لأستاذيّ الجليلين، وعضويّ لجنة المناقشة:

**فضيلة الدكتور/ عماد الدين الشنطي** _ حفظه الله _

**فضيلة الدكتور/ سالم سلامة** _ حفظه الله _

لقبولهما مناقشة هذا البحث، ولما بذلاه من جهد ووقت في قراءة هذا البحث، وأسأله سبحانه أن ينفعني بإرشاداتهما في إثراء هذا البحث.

كما أتقدم بفائق الشكر والامتنان لكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية ممثلةً بأساتذتها الكرام، الذين حببوا إلينا العلم الشرعي، وزودونا بالكثير منه، فأسأل الله لهم التوفيق والسداد.

كما أرسل أغلى برقيات الشكر والثناء لكل الإخوة الذّين وقفوا بجانبي في كتابة هذا البحث.

كما أشكر أهل بيتي لما بذلوه من صبرٍ وجهدٍ في إخراج هذه الرسالة.

وأخيراً أشكر كلّ من قدّم لي نصيحةً، أو عوناً وجزاهم الله خير الجزاء.

# مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإنّ أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة(١).

وبعد: فإنّ علم التوحيد من أشرف العلوم وأفضلها، وأعلاها مكانةً؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، ولا أشرف من توحيد الله تعالى، ومعرفة أسمائه وصفاته، وإدراك حقوقه سبحانه وتعالى على عباده، والالتزام بذلك علماً وعملاً، فبهذا تنال النجاة والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

ولما كان من فضل الله على أن جعلني أحد طلاب الدراسات العليا بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة لمرحلة الماجستير، اخترت الكتابة في موضوع " منهج الإمام المبارك بن محمد بن

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، وكان يستفتح بها خطبه، وقد أخرج حديثها ابن ماجه في سننه = سنن ابن ماجه – ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني– تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – اعتنى به: مشهور سلمان– مكتبة المعارف، الرياض –ط١، كتاب النكاح، باب خطبة النجاح، حديث رقم ١٨٩٢، (ص: ٣٢٩)، وأبو داوود في سننه = سنن ابي داوود– أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني– تحقيق: العلامة محمد ناصر الدين الألباني– اعتنى به: مشهور سلمان– مكتبة المعارف، الرياض– ط١، كتاب النكاح، باب في خطبة النكاح، حديث رقم ٢١١٨، (ص: ٣٢١)، والترمذي في سننه= سنن الترمذي– محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي– تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني– اعتنى به: مشهور سلمان– مكتبة المعارف، الرياض– ط١، كتاب النكاح، باب ما جاء في خطبة النكاح، حديث رقم ١١٠٥، (ص: ٢٣٩)، والنسائي في سننه= سنن النسائي – أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي– تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – اعتنى به: مشهور سلمان– مكتبة المعارف، الرياض– ط١، كتاب النكاح، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، حديث رقم ٣٢٧٧، (ص: ٥٠٧)، وصححه الألباني في المواضع السابقة، والإمام أحمد في مسنده= مسند أحمد– أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل– تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون– مؤسسة الرسالة– ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م– (٦/ ٢٦٢).

الأثير في العقيدة"، بعد استخارة الله تعالى، واستشارة مشايخي الفضلاء الذين أشاروا عليّ بتسجيله والكتابة فيه.

- **أسباب اختيار الموضوع:**

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه، ما يلي:

١- أهمية دراسة الأعلام المشهورين وبيان آرائهم الاعتقادية، وعظم الفائدة المرجوة من ذلك، لأن البحث في آراء العلماء يفيد الباحث من جهة قراءة الكتب الكثيرة في الفنون المختلفة، ويفيد الباحث في دراسة أغلب مسائل العقيدة من جهة أخرى، ويفيد الباحثين من حيث جمع آراء هؤلاء الأعلام الاعتقادية المتناثرة في كتبهم وتمحيصها من جهة أخرى.

٢- وقد اخترت دراسة آراء الإمام أبو السعادات ابن الأثير الاعتقادية لأسباب:

**أولاً:** مكانته العلمية فهو من العلماء البارزين، الذي لاقت كتبه إقبالاً شديداً.

**ثانيًا:** كون ابن الأثير من أشهر علماء هذه الأمة الذين خدموا السنة النبوية وشرحوا من خلالها الأحاديث المتعلقة بالعقيدة.

**ثالثًا:** إن دراسة المنهج العقدي لابن الأثير ييسر الاستفادة من كتبه بدون توجس مما خالف فيه ابن الأثير رحمه الله عقيدة السلف في بعض المسائل عن اجتهاد منه وحسن نية، غير قاصدٍ تقرير الباطل.

٣- أن هذا الموضوع رغم أهميته لم تكتب فيه رسالةٌ علميةٌ حسب علمي، وقد كتب عن ابن الأثير رحمه الله رسائل علمية عديدة في مجالاتٍ أخرى من لغةٍ، وحديثٍ، ولا شك أن الجانب العقدي أولى وأهم.

- **الدراسات السابقة :**

لم يتناول أحدٌ بالبحث – حسب علمي – آراء الشيخ ابن الأثير الاعتقادية على وجه التفصيل، وكل من كتب عنه إنما كتب رسائل تبين منهجه في الحديث أو اللغة.

- **خطة البحث:**

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة:

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع وسبب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث.

**الفصل التمهيدي: في ترجمة ابن الأثير، وبيان منهجه في تقرير مسائل العقيدة وفيه أربعة مباحث:**

**المبحث الأوّل: عصر المؤلف، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأوّل: الحالة السياسيّة.
المطلب الثّاني: الحالة الاجتماعية.
المطلب الثّالث: الحالة العلميّة والدّينيّة.

**المبحث الثّاني: حياة المؤلف الشّخصيّة، وفيه ثلاثة مطالب:**
المطلب الأوّل: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه .
المطلب الثّاني: مولده و نشأته.
المطلب الثّالث: مرضه ووفاته .

**المبحث الثّالث: حياة المؤلف العلميّة، وفيه ثلاثة مطالب:**
المطلب الأوّل: شيوخه وتلاميذه.
المطلب الثّاني: آثاره العلميّة.
المطلب الثّالث: أقوال العلماء فيه.

**المبحث الرّابع: منهج ابن الأثير في تقرير مسائل العقيدة.**

**الفصل الأوّل: منهج ابن الأثير في توحيد الله تعالى، وفيه خمسة مباحث:**
**المبحث الأوّل: منهج ابن الأثير في تعريف التوحيد، وفيه مطلبان:**
المطلب الأوّل: تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً.
المطلب الثّاني: أنواع التوحيد.

**المبحث الثّاني: منهج ابن الأثير في توحيد الربوبية ، وفيه مطلبان:**
المطلب الأوّل: تعريف توحيد الربوبية.
المطلب الثّاني: الاستدلال على توحيد الربوبية.

**المبحث الثّالث: منهج ابن الأثير في توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطلبان:**
المطلب الأوّل: منهج ابن الأثير في أسماء الله تعالى، وفيه مسألتان:
المسألة الأولى: بيان المراد بإحصاء أسماء الله تعالى الوارد في الحديث.
المسألة الثّانية: شرح ابن الأثير معاني بعض أسماء الله.
المطلب الثّاني: منهج ابن الأثير في صفات الله تعالى، وفيه ثلاثة مسائل:
المسألة الأولى: قول ابن الأثير بأنّ نصوص الصفات من المجاز.
المسألة الثّانية: ترجيح ابن الأثير التأويل للصفات.
المسألة الثّالثة: نماذج لبيان موقف ابن الأثير من الصفات.

المطلب الرّابع: الإيمان بنبوّة نبينا محمد ﷺ.

**المبحث الثّالث: منهج ابن الأثير في الإيمان باليوم الآخر، وفيه ثلاثة مطالب:**

المطلب الأوّل : أشراط الساعة.

المطلب الثّاني: عذاب القبر وفتنته.

المطلب الثّالث: قيام الساعة.

**المبحث الرّابع: منهج ابن الأثير في الإيمان بالقضاء والقدر، وفيه أربعة مطالب:**

المطلب الأوّل: تعريف القضاء والقدر، والفرق بينهما.

المطلب الثّاني: معنى الإيمان بالقضاء والقدر وما يتضمنه.

المطلب الثّالث: أفعال العباد.

المطلب الرّابع: الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

## الفصل الثّالث: منهج ابن الأثير في الكلام على البدع والفرق المبتدعة

**وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأوّل: تعريف البدعة لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثّاني: أقسام البدعة.

المبحث الثّالث: الصلاة خلف المبتدع.

المبحث الرّابع: الكلام على بعض الفرق المبتدعة.

وأخيرًا فقد ذيلت البحث بفهارس توضيحيةٍ، وهي:

**أولاً: فهرس المصادر والمراجع.**

**ثانيًا: فهرس الموضوعات.**

- **منهج البحث:**

سلكت في كتابة البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، ويمكن تلخيص معالمه فيما يلي:

**أولاً:** فيما يتعلق بجمع المادة العلمية:

١- حصرت كتب ابن الأثير رحمه الله ومؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، وقرأتها قراءة فاحصة واستخرجت المسائل العقدية منها.

٢- رتبت تلك المسائل على أبواب العقيدة ومباحثها، وفق ما رسمه السلف في كتبهم ومؤلفاتهم.

**ثانياً:** فيما يتعلق بعرض المسائل ودراستها:

١- ذكرت أولاً رأي ابن الأثير في المسألة موجزاً – ما عدا مبحث الأسماء والصفات ذكرت كلامه مباشرةً–، ثم أوردت كلامه بتمامه أو مع التصرف فيه بما لا يخل بمقصوده، وإن كان قد تكلم في المسألة في أكثر من موضع، قارنت بين تلك المواضع فإن كان كلامه فيها متفقاً ذكرت أجمعها وأحلت في الحاشية على الباقي، وإن كان مختلفاً أو فيه زيادةً أو نقصان ذكرته كلّه وحاولت التوفيق بينه.

٢- بعد إيراد كلام ابن الأثير، ذكرت عقبه موافقته لمنهج السلف أو مخالفته لهم، وسقت الأدلة الشرعية لتأييد ما ذهب إليه، أو الدالة على مخالفته، وشفعت ذلك بكلام السلف وسردت ما وقفت عليه من أقوالهم أو أكتفيت ببعضها.

٣- في دراسة المسائل لم أعرض لاختلاف الطوائف وأقوال الفرق في المسألة المقصودة بالبحث، إلا إذا تعرض لذلك ابن الأثير في كلامه عليها، أو كانت طبيعة المسألة تقتضي ذلك.

**ثالثاً**: فيما يتعلق بكتابة البحث وتوثيقه:

١- عزوت الآيات إلى سورها، وذكرت رقم الآية فيها، وجعلت ذلك في متن البحث، خشية الإطالة بذكرها في الحاشية.

٢- خرّجت الأحاديث التي ذكرتها في البحث، فإن كانت في الصحيحين أو في أحدهما، اكتفيت بهما عما سواهما، وإن كان الحديث خارج الصحيحين فأخرّجه من المصادر الحديثية المعتمدة، ثم ذكرت حكم الأئمة عليه– إن وجد –، مع ذكر عنوان الكتاب والباب ورقم الحديث والجزء والصفحة في الكتب الستة فقط، واكتفيت برقم الجزء والصفحة فيما عداها.

٣- ترجمت للأعلام غير الصحابة، وذكرت اسم المترجم له وشيئاً من مؤلفاته، وتاريخ وفاته.

٤- عرّفت بالملل والنحل الواردة في البحث.

٥- عزوت كلّ نصٍ إلى مصدره – إلا عند تعذر ذلك – فأنقله بالواسطة مع ذكري المصدر والمرجع.

٦- ذكرت بيانات المصادر والمراجع في أول ذكرٍ لها في الحاشية.

هذا وأحمد الله جل وعلا على ما منّ به عليّ من إتمام هذا البحث، وأشكر له فضله وإنعامه.

# الفصل التمهيدي

## في ترجمة ابن الأثير، وبيان منهجه في تقرير مسائل العقيدة.

**وفيه أربعة مباحث:**

**المبحث الأول: عصر المؤلف.**

**المبحث الثاني: حياة المؤلف الشخصية.**

**المبحث الثالث: حياة المؤلف العلمية.**

**المبحث الرابع: منهج ابن الأثير في تقرير مسائل العقيدة.**

## المبحث الأول: عصر المؤلف.

### المطلب الأول: الحالة السياسية.

عاش ابن الأثير رحمه الله في بداية النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وكان عصره هذا وسطاً في قوة الدولة الإسلامية، وبين سقوطها على أيدي التتار في منتصف القرن السابع الهجري، وكانت حياته في هذه الفترة بداية السقوط للدولة العباسية في العراق، فقد دبّ الهوان والضعف في صفوفها، وبدأت السلاجقة(١) تسيطر على البلدان العربية، وبدأت قوتهم تزداد، وبدؤا بتقسيم الدولة الإسلامية بينهم إلى مقاطعات أطلق عليها مسمّى "الأتابكيّات"(٢) ويحكمها أتابكةٌ أقوياء(٣).

وفي النصف الثاني من القرن السادس الهجري بلغ الجهاد ذروته خاصةً ضد الصليبين، فوقف لهم بالمرصاد أمراء آل زنكي الذين تنافسوا في قتالهم ومحاربتهم والتصدّي لهم، وكان الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في بدء هذه الحرب وإطلاق عنانها للأمير عماد الدين زنكي بن أق سنقر(٤)، حتى كان النصر بعد ذلك على يد السّلطان صلاح الدين الأيّوبي(٥) بفتح بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ(٦).

---

(١) ينحدر السلاجقة من قبيلة " قنن " التركمانية، وتمثل مع ثلاث وعشرين قبيلة أخرى مجموعة القبائل التركمانية المعروفة " بالغز "، واستوطنوا منطقة ما وراء النهر والتي تسمى اليوم " تركستان " ثم اندفعت من تلك البلاد وأخذت في التوسع في المشرق حتى كونوا دولة مترامية الأطراف، وكانوا على صلةٍ قويةٍ بخلفاء الدولة العباسية، ودخلوا بغداد سنة ٤٤٧هـ فحلوا محل البويهيّين. انظر: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي- علي محمد الصّلاّبي- مؤسسة اقرأ، القاهرة- ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م- (ص: ١٩- ٢١)، وتاريخ السلاجقة في بلاد الشام- محمد طقوش- دار النفائس، بيروت- ط٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م- (ص: ١٩).

(٢) يقول القلقشندي:" الأتابكيّة ويعبر عن صاحبها بأتابك العساكر، قال السلطان عماد الدين في تاريخه: " وأصله أطابك ومعناه الوليد الأمير، ... وقيل أطابك معناه أمير أب، والمراد أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المقدّمين بعد النائب الكافل، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي، وغايته رفعة المحلّ وعلوّ المقام ". صبح الأعشى في صناعة الإنشاء- أحمد بن علي الفزاري القلقشندي- دار الكتب العلمية، بيروت-(٤/ ١٨).

(٣) انظر: وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- أحمد بن محمد خلّكان- تحقيق: إحسان عباس- دار صادر، بيروت- ط ١، ١٩٩٤- (٥/ ٦٦).

(٤) هو: عماد الدين زنكي بن اق سنقر، شديد البأس، قتله بعض غلمانه وهو نائم، وقد جاوز الستين. قتل في ربيع الآخر سنة ٥٤١هـ. انظر: العبر في خبر من غبر- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية - بيروت-(٤٥٩/٢).

(٥) هو: صلاح الدين أبو المظفر، يوسف بن أيوب، حارب الصليبيين، وأخرجهم من بيت المقدس، كان ردءا للإسلام وحرزا له، توفي- رحمه الله - سنة ٥٨٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م-(٢٧٨/٢١)، ووفيات الأعيان (١٣٩/٧).

(٦) انظر: الكامل في التاريخ- علي بن محمد، عز الدين ابن الأثير- تحقيق: عمر تدمري- دار الكتاب العربي، بيروت- ط١- ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م- (٩/ ١٣) (١٠/٢٠- ٣٧).

ومن جملة البلاد التي حكمها آل زنكي مدينة الموصل، والتي كان آل ابن الأثير من المقرّبين منهم، المخصوصين بالمناصب العالية عندهم، فكان ممن حكمها من آل زنكي قطب الدين مودود[١] بن عماد الدين زنكي[٢]، ثم بعد وفاة قطب الدين مودود تولى ابنه سيف الدين غازي[٣] بن قطب الدين مودود الحكم بعده[٤]، ثمّ تولى بعده أخوه عز الدين[٥] مسعود بن مودود، ولكن كانت ولايته كسابقتها ضعيفة وممزقة.

ولمّا علم صلاح الدين رحمه الله بضعف الحكم في الموصل سار إليها وحاصرها، وحصل بينه وبين عز الدين قتال، ولكنه تراجع عن حصارها بعد ذلك حتى لا يرهق جيشه فيما لا طائل تحته، فترك الموصل وعاد إلى بلاد الشام وكان ذلك في عام ٥٨١هـ[٦].

وكان ابن الأثير رحمه الله في هذه الفترة قد تولى ديوان رسائل عز الدين مسعود وكان يكتب له إلى أن توفّي عز الدين مسعود سنة ٥٨٩ هـ[٧]، ثم خلفه ولده نور الدين[٨] أرسلان شاه، وظلّ أتابكة الموصل في صراعٍ مع آل زنكي، وأشرف الأتابكة على الفناء من كثرة الاقتتال والحروب،

ونجد ابن الأثير قد عاصر كلّ هذه الأحداث وتأثر بها، وشارك ابن الأثير نور الدين أرسلان شاه في حروبه، وتوفّرت له حرمته لديه، وكتب له مدّة[٩]، وصار واحد دولته حقيقة بحيث إن السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه، لأنه أقعد في آخر زمانه، وطلب منه أرسلان أن يتولى الوزارة فأعرض عنها لما فيها من مسؤولية جسيمة، رغم إلحاحه عليه غير مرة وهو يستعفيه

---

(١) هو: قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر، تولى الخلافة بعد موت أخيه سيف الدين غازي الأكبر من سنة ٥٤٤هـ – هـ٥٦٥ وهي سنة وفاته، وكان حسن السيرة، عادلاً في حكمه، وكان محسنا إلى رعيته، كثير الإنعام عليهم، وعاش تقريبا أربعين عاما. انظر: وفيات الأعيان (٥/٣٠٣)، والعبر (١/١٦١).

(٢) انظر: البداية والنهاية– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير– تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي– دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان– ط١، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م– (١٦/ ٣٥٣).

(٣) هو: سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر، وكان مرضه السل، وطال به، وكان شابا حسنا مليح الشكل تام القامة، مدور اللحية، ومات عن ثلاثين سنة، وكان عفيفا في نفسه، مهيبا وقورا، لا يلتفت إذا ركب وإذا جلس، مات سنة ٥٧٦هـ. انظر: الكامل (٥/١٠٨ )، ووفيات الأعيان (٤/ ٤).

(٤) انظر: البداية والنهاية (١٦/ ٤٤٣).

(٥) هو: عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ابن آق سنقر، من خيار الملوك، وكان، رحمه الله، خير الطبع، كثير الخير والإحسان، وكان حليماً، قليل المعاقبة، كثير الحياء، مات رحمه الله سنة ٥٨٩هـ. انظر الكامل (٥/٢١٣)، ووفيات الأعيان (٥/٢٠٣)، والبداية والنهاية (١٦/ ٥٤٤).

(٦) انظر: البداية والنهاية (١٦/٥٦٩).

(٧) انظر: وفيات الأعيان (٤/١٤٢)، والكامل (١٠/١٢١، ١٢٢).

(٨) هو: نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر، الملك العادل مرض في آخر حياته وطال مرضه، وكان شهما شجاعا، ذا سياسة للرعية، توفي في ٦٠٧هـ. انظر: الكامل (٥/٢٨٢)، ووفيات الأعيان (١/١٩٣).

(٩) انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٤٢).

حتى غضب منه وأمر بالتوكيل به، فجعل ابن الأثير يبكي فبلغه ذلك فجاءه وهو على هذه الحال، فتعجب من حاله، فأخبره ابن الأثير أنه رجلٌ كبيرٌ وقد خدم العلم عمره، واشتهر ذلك عنه، وأعلمه أنه مهما اجتهد في إقامة العدل بغاية جهده ما قدر أن يؤدي حقه، ولو ظلم فلاح في ضيعةٍ من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه إليّ، ورجعت أنت وغيرك باللائمة علي، والملك لا يستقيم إلا بالتّسمّح في العسف وأخذ هذا الخلق بالشدة، وأنه لا يقدر على ذلك فأعفاه.[١]
فكان رحمه الله قليل الملازمة للرؤساء والأمراء منقطعاً للعلم وطلابه، وكانت هذه الفترة أغنى مراحل حياته وأخصبها، وما زال كذلك حتى توفّي رحمه الله.

**المطلب الثّاني: الحالة الاجتماعية**

بالرغم من الضعف في عصر ابن الأثير من النّاحية السياسيّة، إلا أنه من الناحية الاجتماعية كان قوياً، مزدهراً، فنمت الموصل في عصر الأتابكة نمواً كبيراً، وشمل النمو جميع مناحي الحياة الصحية والعمرانية والاجتماعية، فأصبحت الموصل عامرةً بالسكان، رائجةً في التجارة، قصدها الناس من كل مكان[٢].

**المطلب الثّالث: الحالة العلمية و الدينية.**

يعتبر القرن السادس الهجري قرناً زاخراً بالعلماء في كل المجالات، مما ساعد كثيراً على ثراء هذا القرن علمياً، ليتمخّض عنه إبداعٌ علميٌّ تجلّى في تآليفهم القيّمة التي لا تزال إلى اليوم منهلاً كريماً لطلاب العلم، ونبعاً فيّاضاً للمشتغلين في العلوم الشرعية.
**فكان من العلماء من اشتهر بالقراءات وعلوم القرآن ومنهم:**
الإمام أبو محمد القاسم بن فيره بن أبي القاسم الشهير بالشاطبي[٣].

**ومن العلماء من اشتهر بالحديث ومنهم:**
أبو الحسن رزين بن معاوية المالكي[١].

---

(١) انظر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب– ياقوت بن عبد الله الحموي– تحقيق: إحسان عباس– عباس– دار الغرب الإسلامي، بيروت– ط١، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م– (٥/ ٢٢٦٩).

(٢) انظر: ابن الأثير المحدث ومنهجه في كتاب النهاية–أميمة رشيد بدر الدين– رسالة دكتوراة في جامعة دمشق– دمشق– كلية الآداب، قسم اللغة العربية– ١٩٩٣– (ص:٨–١٢)، الدراسات اللغوية عند أبي السعادات بن الأثير– سعود بن محمد الحسين– رسالة ماجستير في جامعة محمد بن سعود– كلية الآداب، قسم النحو–١٤٠٩هـ– (ص:١٠).

(٣) هو: الإمام أبو محمد القاسم بن فيرّه بن المقرئ الفقيه الضرير العابد الشهير بالشاطبي، صاحب "حرز الأماني ووجه التهاني" وهي منظومة معتمدة في القراءات، توفي سنة ٥٩٠هـ. انظر: وفيات الأعيان (٧١/٤).

والحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر[٢].

وأبو الطاهر أحمد بن محمد السّلفي[٣].

وأبو موسى المديني محمد بن أبي بكر[٤].

وأبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي المعروف بابن الخراط[٥].

وأبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمذاني[٦].

وأبو الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي [٧]، والحافظ عبد الغني المقدسي[٨].

**ومن العلماء من اشتهر بالفقه ومنهم:**

أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي[١].

---

(١) هو: الإمام أبو الحسن رزين بن معاوية المالكي الأندلسي، ألّف" تجريد الصحاح في الجمع بين الموطأ والكتب الخمسة"، وهو الكتاب الذي اشتغل به العلامة ابن الأثير في "جامع الأصول" فرتّب موضوعات أحاديثه ترتيباً هجائياً وشرح غريبه، توفي سنة ٥٣٥هـ. انظر:سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٠٤-٢٠٦)، ووفيات الأعيان (٤/١٤١).

(٢) هو: الحافظ الكبير محدث الشام في وقته أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، صاحب التصانيف البديعة والتواليف الرائعة منها: تاريخ ابن عساكر، توفي رحمه الله سنة ٥٧١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٥٥٤-٥٧١).

(٣) السلفي: بكسر السين وفتح اللام وهي نسبة إلى جده أحمد الذي كان لقبه " سلفة "، وهو: الحافظ الكبير أبو الطاهر أحمد بن محمد السّلفي، صاحب التواليف الرائعة والتصانيف النافعة، والمتوفى في الإسكندرية سنة ٥٧٦ هـ. انظر: الأنساب_ عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني- تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره- مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- ط١، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م- (٧/١٧١)، وسير أعلام النبلاء (٢١/٥-٣٩).

(٤) هو: حافظ المشرق أبو موسى المديني محمد بن أبي بكر عمر بن أحمد الأصبهاني، الحافظ الكبير، الثقة، شيخ المحدثين، توفي رحمه الله سنة ٥٨١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/١٥٢-١٥٤).

(٥) هو: الإمام الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي المعروف بابن الخراط، كان فقيهاً حافظاً عالماً بالحديث وعلله عارفاً بالرجال موصوفاً بالخير والصلاح والزهد والورع ولزوم السنة والتقلل من الدنيا، توفي رحمه الله سنة ٥٨١هـ. انظر: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون- دار الكتب العلمية- بيروت- (٢/ ٥٩).

(٦) هو: الحافظ الناقد أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمذاني، إمام حجة ناقد اشتهر بالحديث خاصة بالنسب، توفي رحمه الله سنة ٥٨٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/١٦٧-١٧٠).

(٧) هو: الحافظ المفسّر العلامة النحرير أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي القرشي التيمي البكري الحنبلي، صاحب التصانيف البديعة وحصل له من الخطوة في الوعظ ما لم يحصل لأحد قط، توفي رحمه الله سنة ٥٩٧. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/٣٦٥-٣٨٠).

(٨) هو: الحافظ عبد الغني المقدسي، صاحب الكتاب النفيس المبارك " الكمال في أسماء الرجال، والذي هذّبه المزي وسماه "تهذيب الكمال في أسماء الرجال، توفي رحمه الله سنة ٦٠٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٤٤).

وإسماعيل بن مكّي القرشي المالكي[٢].

ومحمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بالحفيد[٣].

ومحمد بن علي الرحبيّ الرّوحاني الشافعي[٤].

وأبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني[٥].

**وكان هذا القرن قمة النضوج في أصول الفقه، وكان ممن اشتهر به من العلماء:**

عليّ بن أبي عليّ الآمدي[٦]، وفخر الدّين محمد بن عمر الرازي[٧].

**ومن العلماء من اشتهر بالنحو وكان منهم:**

وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري[٨]، وأبو محمد القاسم بن عليّ الحريري[١].

---

(١) هو: العلامة علاء الدين أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، مصنف الكتاب الرائع " بدائع الصنائع " وهو من أعلام المذهب الحنفي، توفي رحمه الله سنة ٥٨٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٢/٢١).

(٢) هو: الإمام إسماعيل بن مكّيّ القرشي المالكي الزهري العوفي الإسكندري، وهو من فقهاء المالكية، توفي رحمه الله سنة ٥٨١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢٢/٢١).

(٣) هو: العلامة الجليل محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بالحفيد، مؤلف الكتاب الجليل " بداية المجتهد ونهاية المقتصد " والذي قيل عنه: وله من المصنفات: كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه، علّل فيها ووجّه، ولا نعلم في فنه أنفع منه، ولا أحسن مساقاً، توفي رحمه الله سنة ٥٩٥هـ. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي- تحقيق عمر عبد السلام التدمري- دار الكتاب العربي، بيروت- ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م- (١٩٦/٤٢).

(٤) هو: الفقيه محمد بن علي الرحبيّ الرّوحاني، صاحب المنظومة الرائقة في الفرائض المسماة ب" الرحبية " وهو من فقهاء الشافعية، توفي رحمه الله سنة ٥٧٧هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي- تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو- هجر للطباعة والنشر والتوزيع- ط٢، ١٤١٣هـ- (١٥٦/٦).

(٥) هو: الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، وكان من أعلام أهل السنة الراسخين في العقيدة السلفية الذّابين عنها صاحب كتاب " الحجّة في بيان المحجّة"، توفي رحمه الله سنة ٥٣٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٨٠- ٨٥).

(٦) هو: العلامة عليّ بن أبي عليّ الآمدي، له مصنفات كثيرة، من أشهرها مصنف في أصول الفقه سماه " الإحكام في أصول الأحكام "، توفي رحمه الله سنة ٦٣١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٤/٢٢-٣٦٦).

(٧) هو: العلاّمة فخر الدّين محمد بن عمر الرازي، صاحب " المحصول " في أصول الفقه، وهو القائل: " لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، ... ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي "، توفي رحمه الله سنة ٦٠٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٨/ ٨١).

(٨) هو: الإمام العلاّمة النحويّ البارع محبّ الدين أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري الضرير، كان من مشاهير النحاة في ذاك العصر، توفي سنة ٦١٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٩١/٢٢-٩٣).

وهكذا توافرت جميع الفنون في هذا العصر، وقلّما تجد فنّاً إلا وله فيه إمامٌ مشهور، ولهم مصنفات لا يزال ينهل منها إلى الآن، هذا الأمر جعل الإمام ابن الأثير رحمه الله يفتح عينيه على نتاجٍ علميٍّ كبير، وعلماء أفذاذ، فكان عاملاً مؤثّراً، وسبباً قوياً أثّر في شخصيته العلمية التي ظهرت في مؤلفاته لتدلّ على قدمٍ راسخةٍ في العلم، وفهمٍ كبير للشريعة وعلومها.

---

(١) هو: العلاّمة النحوي أبو محمد القاسم بن عليّ الحريريّ، كان غاية في الذكاء والفصاحة نظم منظومته الشهيرة في النحو والمسمّاة ب: " ملحة الإعراب " وشرحها، توفي رحمه الله سنة ٥١٦هـ. انظر: معجم الأدباء (٢٢٠٢/٥)، وسير أعلام النبلاء (٤٦٠/١٩-٤٦٥).

## المبحث الثاني: حياة المؤلف الشخصية.

### المطلب الأول: اسمه وكنيته ولقبه ونسبه.

هو المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزريّ ثم الموصلي الشافعيّ ، يكنّى أبا السعادات، ويلقب بمجد الدين ويعرف بابن الأثير[١].

### المطلب الثاني: مولده ونشأته.

تكاد تجمع المصادر التي ترجمت لابن الأثير على أن ولادته كانت في أحد الربيعين سنة ٥٤٤ هـ في جزيرة ابن عمر[٢].

وينتسب ابن الأثير إلى أسرةٍ عربيةٍ شيبانيةٍ عريقة النسب، طيبة الأصل، فوالده هو أثير الدين أبو الكرم محمد من أهل جزيرة ابن عمر[٣]، وكان من وجهاء الموصل حيث كان ثرياً وله تجارةٌ رائجة، كما كانت له بساتين بالجزيرة وبالعقيمة مقابل الجزيرة، قال عز الدين ابن الأثير: " حدثني والدي، رحمه الله، قال: كنت أتولى جزيرة ابن عمر لقطب الدين، كما علمتم، فلمّا كان قبل موته بيسير أتانا كتاب من الديوان بالموصل يأمرون بمساحة جميع بساتين العقيمة، وهذه العقيمة هي قرية تحاذي الجزيرة بينهما دجلة، ولها بساتين كثيرة ...، قال: وكان لي فيها ملكٌ كثير "[٤].

وقد احتلّ مكانةً مرموقةً في الدولة عند آل زنكي أتابكة الموصل، فعهد إليه قطب الدين مودود بولاية الجزيرة وتولى خراجها، ثم زاده تقريباً فولاه الخزانة العامة، وانتقل بهذا المنصب إلى

---

(١) انظر مصادر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢١/٤٨٨-٤٩١)، ووفيات الأعيان (٤/١٤١-١٤٣)، والبداية والنهاية (١٧/٨-١٠)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي- تحقيق: محمود الأرنؤوط- خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط- دار ابن كثير، دمشق- بيروت- ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م - (٧/٤٣- ٤٥)، والكامل (١٠/٢٧٥)، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- جلال الدين السيوطي- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية - لبنان / صيدا- (٢/٢٧٤، ٢٧٥)، وطبقات الشافعية (٨/٣٦٦، ٣٦٧)، والنجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب، مصر- (٦/١٩٨-١٩٩).

(٢) انظر: الكامل (١٠/ ٢٧٥)، وابن عمر: هي بلدة فوق الموصل بينهما ثلاثة أيام، قال ياقوت في معجم البلدان: " وأحسب أن أول من عمرها الحسن بن عمر بن الخطاب التغلبي ". معجم البلدان- شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي- دار صادر، بيروت- ط٢، ١٩٩٥م- (٢/ ١٣٨)، وممن ذكرها ابن بطوطة فقال: " ونزلنا جزيرة ابن عمر وهي مدينة كبيرة حسنة محيط بها الوادي ولذلك سميت جزيرة وأكثرها خراب ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبني بالحجارة محكم العمل وسورها مبني بالحجارة أيضاً وأهلها فضلاء لهم محبة في الغرباء ويوم نزلنا بها رأينا جبل الجودي المذكور في كتاب الله عز وجل الذي استوت عليه سفينة نوح عليه السلام وهو جبل عال مستطيل ". رحلة ابن بطوطة = تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار- محمد بن عبد الله بن محمد ابن بطوطة- أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـ(٢/ ٨٤).

(٣) انظر: معجم الأدباء (٥/ ٢٢٦٨).

(٤) الكامل (٩/ ٣٥٤).

الموصل مع أسرته سنة٥٦٥هـ، وظلّ يعمل في خدمة الأتابكة إلى أن استعفي وتولى بعده ابنه مجد الدين خدمة عز الدين مسعود[١].

ومن خلال النظر إلى ترجمة والد ابن الأثير، لم يجد الباحث له كثير اهتمام بالعلم ولا التصنيف فيه، إلا أنه بصلاحه وطيب معاملته قد وهبه الله نعمةً عظيمةً تمثلت في إنجاب عددٍ من الأولاد، هيّأ لهم سبل العلم، فنبغ من بينهم ثلاثة أغنوا المكتبة الإسلامية والعربية بمصنفاتهم، لا يزال يسري لهم بين الناس ذكرٌ جليل فيما قدموه وكتبوه.

**وكان أكبر هؤلاء الأبناء هو مجد الدين ابن الأثير** وهو موضوع هذا البحث ، وقد اختار الحديث والفقه واللغة والتفسير.

**والثاني عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير** ( ٥٥٥هـ-٦٣٠هـ ) والمتوفى بالموصل[٢]، وقد اختار علم التاريخ فتفوق فيه واجاد، وكان كتابه الكامل في التاريخ فريدًا في بابه.

**والثالث ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن الأثير** ( ٥٥٨هـ- ٦٣٧هـ ) والمتوفى في بغداد[٣]، وقد آثر البلاغة وصناعة الإنشاء فأبدع في تأليف كتابه الرّائع" المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر " والذي وصفه بعض العلماء أنّه جمع فأوعى، ولم يترك شيئاً يتعلق بفنّ الكتابة إلا ذكره[٤].

نشأ مجد الدين أبو السعادات في هذه الجزيرة، وشب وترعرع في كنف أسرته التي عاشت في بحبوحة، وتهيّأ له من أسباب الثروة والجاه ما تطمح إليه الأنفس.

ولما استوى يافعاً انتقل إلى الموصل مع عائلته سنة ٥٦٥ هـ[٥]، وفي الموصل أخذت شخصيته تنضج، وبدأ ينهل المعرفة من شيوخها، ويتشرب العلم من موارده، فظهر فضله، وذاع صيته، وعرف بعلمه وورعه وتدينه وحسن سيرته، وأقبل عليه الناس للقراءة والانتفاع.

وقد استطاعت شخصية ابن الأثير العلمية أن تجذب إليه أنظار الحكام والأمراء الذين رغبوا في الإفادة من علمه، فنزل منزلةً رفيعةً عند أمراء الموصل خاصة بفضل ما أوتي من علمٍ ومعرفة، وما اشتهر به من صلاحٍ وأمانةٍ، الأمر الذي جعل رجال السلطة يقربونه، وأسبغوا عليه المناصب الرفيعة، ومع ذلك كان منقطعاً إلى العلم قليل الملازمة للأمراء والحكام[٦].

يقول أخوه عز الدين المؤرخ: " تولى أخي أبو السعادات الخزانة لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي، ثم ولاه ديوان الجزيرة وأعمالها، ثم عاد إلى الموصل، فناب في الديوان عن الوزير

---

(١) انظر: الكامل (٩/ ٣٥٤)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٩).

(٢) انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٣٤٨)

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/٧٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (٢١/ ٤٨٩).

(٥) انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٤١)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٩، ٤٩٠).

(٦) انظر: البداية والنهاية (١٧/ ٩)، والنجوم الزاهرة (٦/١٩٨).

جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الأصبهاني(١)، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز(٢) فنال عنده درجة رفيعة، فلما قبض مجاهد الدين اتصل بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل، إلى أن توفي عز الدين سنة ٥٨٩هـ، فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه، وصار واحد دولته حقيقةً بحيث إن السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه لأنه أقعد في آخر زمانه فكانت الحركة تصعب عليه فكان يجيئه بنفسه "(٣).

أحب ابن الأثير العلوم الشرعية حباً عظيماً، فأعطاها نفسه رغبةً في تحصيله والاستكثار منه، فعزف عن مغريات الدنيا، وزهد في الحكم والمناصب، وانقطع للدرس والتحصيل، وتفرغ للعلم والفتوى، وانتفع بعلمه الناس.

وتحدّث ابن الأثير عن طلبه العلم منذ صغره فقال: " ما زلت منذ ريعان الشباب وحداثة السنّ مشغوفاً بطلب العلم ومجالسة أهله، والتشبه بهم حسب الإمكان، وذلك من فضل الله عليّ ولطفه بي أن حبّبه إليّ، فبذلت الوسع في تحصيل ما وفّقت له من أنواعه، صارت فيّ قوة الاطلاع على خفاياه وإدراك خباياه ولم آل جهدًا – والله الموفق – في إكمال الطلب وابتغاء الأرب؛ إلى أن تشبّثت من كلٍّ بطرف تشبّهت فيه بأضرابي، ولا أقول تميزت به على أترابي، فلله الحمد على ما أنعم به من فضله، وأجزل به من طوله... "(٤).

## المطلب الثالث: مرضه ووفاته:

### أولاً: مرضه:

عاش ابن الأثير حياته الكريمة عازفاً عن الدنيا، مقبلاً على العلم، راغباً في المعرفة، والاستكثار من الخير، حتى ابتلاه الله جل وعلا بمرضٍ شديد يقال له " النّقرس"(٥) فأبطل يديه ورجليه، وعجز عن الكتابة، وأقام بداره، حتى أصبح يحمل على محفّة، ولكنه تقبله بقلوب الرجال المؤمنة والنفوس المطمئنة، واغتنمها فرصةً رحمه الله للانقطاع إلى التأليف، والفراغ إلى الدرس والتصنيف.

---

(١) هو: أبو الحسن علي بن جمال الدين محمد بن منصور الملقب جلال الدين، من الأدباء الفضلاء البلغاء الكرماء، له ديوان رسائل أجاد فيه، وجمعه مجد الدين أبو السعادات وسماه كتاب " الجواهري واللآلي من الإملاء المولوي الوزيري الجلالي "، توفي سنة ٥٧٤هـ. انظر: وفيات الاعيان (١٦٤/٥).

(٢) هو: مجاهد الدين أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني، حسن السيرة وعدل في الرعية، وكان كثير الخير والصلاح، توفي سنة ٥٩٥هـ. انظر: وفيات الاعيان (٨٤/٤)، والكامل (١٣٧/٥).

(٣) نقله عنه ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٧٢/١٧).

(٤) جامع الأصول في أحاديث الرسول– مجد الدين ابن الأثير– تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وبشير عيون– مكتبة مكتبة الحلواني– مطبعة الملاح– مكتبة دار البيان– ط١– (١/ ١٢).

(٥) انظر: تاريخ الإسلام (٢٢٦/٤٣)، والنّقرس: داءٌ معروفٌ يأخذ في الرّجل والمفاصل. انظر: لسان العرب– محمد بن مكرم ابن منظور– دار صادر– بيروت– ط٣– ١٤١٤هـ– (٢٤٠/٦).

قال أخوه عز الدين أبو الحسن: " أنه لما أقعد جاءهم رجل مغربي، والتزم أنه يداويه ويبرئه مما هو فيه، وأنه لا يأخذ أجراً إلا بعد برئه، فملنا إلى قوله، وأخذ في معالجته بدهن صنعه، فظهرت ثمرة صنعته ولانت رجلاه وصار يتمكن من مدهما، وأشرف على كمال البرء، فقال لي: أعط هذا المغربي شيئا يرضيه واصرفه، فقلت له: لماذا وقد ظهر نجح معاناته، فقال: الأمر كما تقول، ولكني في راحة مما كنت فيه من صحبة هؤلاء القوم، والالتزام بأخطارهم، وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدعة، وقد كنت بالأمس وأنا معافى أذل نفسي بالسعي إليهم، وها أنا اليوم قاعد في منزلي، فإذا طرأت لهم أمورٌ ضروريةٌ جاءوني بأنفسهم لأخذ رأيي، وبين هذا وذاك كثير، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض، فما أرى زواله ولا معالجته، ولم يبق من العمر إلا القليل، فدعني أعيش باقيه حرّاً سليماً من الذلّ، وقد أخذت منه بأوفر حظ، قال عز الدين: فقبلت قوله وصرفت الرجل بإحسان "[١].

وهكذا ظلّ ابن الأثير بقية عمره ملازماً بيته، صابراً محتسباً على ما أصابه، يرحل إليه طلاب العلم، ويغشى مجلسه الأكابر، ويضرب إليه الراغب في العلم أكباد الإبل، كلٌ يرنو إلى الاقتباس من علمه، والانتهال من فهمه.

وكان رحمه الله قد أنشأ رباطاً بقرية من قرى الموصل تسمى " قصر حرب " ووقف أملاكه عليه وعلى داره التي يسكنها بالموصل[٢].

**ثانياً: وفاته:**

ثم في يوم لم ولن ينساه التاريخ في يوم الخميس مستهل ذي الحجة سنة ٦٠٦هـ، كان ابن الأثير على موعدٍ مع ربه ﷻ، ففاضت الروح إلى بارئها، وسكن القلم الذي كان يملي، وانقطع المجلس الذي كان يقصده طلاب العلم، وكانت وفاته ثلمةً لا تندمل في حياة الناس، رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا وإياه مع النبيين.

وقد عاش ثلاثاً وستين سنة، سنّ نبينا المصطفى محمد ﷺ وسنّ خير هذه الأمة بعد نبيها بشهادة النبي ﷺ بذلك، وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما[٣].

---

(١) نقله عنه ابن خلكان في وفيات الأعيان (١٤٢/٤-١٤٣).

(٢) انظر: وفيات الأعيان (١٤١/٤).

(٣) انظر: تاريخ الإسلام (٢٢٧/٤٣)، قال القفطي: " ذكر لي أخوه أبو الحسن عليٌّ أنه رآه بعد موته أن نجاسة قد آذته، قال: فاستقصيت وبحثت عن صحة الرؤيا، فوجدت أحد الأهالي قد أطلق غنمًا له فوق سطح الصّفّة التي هو فيها مدفون، وقد كثر ما يخرج من أجوافها فوق ذلك الموضع، فأزلته ونظفته مما حصل فيه ". إنباه الرواة على أنباه النحاة- علي بن يوسف القفطي- المكتبة العنصرية، بيروت- ط١، ١٤٢٤هـ- (٢٥٩/٣).

## المبحث الثالث: حياة المؤلف العلمية.

### المطلب الأول: شيوخه وتلاميذه:

كان عصر ابن الأثير رحمه الله حافلاً بالعلم والعلماء، فأخذ عن شيوخٍ أجلاءٍ فضلاءٍ في جميع الفنون والعلوم، من علوم العربية والقرآن والحديث والفقه.

- فكان من شيوخه الذين أخذ عنهم العلم:

١. أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي النحوي، أخذ عنه النحو والأدب[(١)].
٢. عبد الله بن أحمد بن محمد أبو الفضل الطوسي خطيب الموصل، سمع منه الحديث[(٢)].
٣. عبد الوهاب بن سكينة الصدفي الشافعي، سمع منه بعض كتب السنن[(٣)]
٤. عبد الوهاب بن هبة الله البغدادي الطحان، قرأ عليه صحيح مسلم[(٤)].
٥. أبو الفرج عبد الوهاب بن سعد البغدادي الحنبلي الحراني، أخذ عنه الحديث[(٥)].
٦. أبو جعفر المبارك بن المبارك الحداد المقرئ[(٦)].
٧. أبو الحرم مكى بن ريان النحوي الضرير، حيث أخذ عنه النحو وقرأ عليه كتاب الموطأ[(٧)].
٨. يحيى بن سعدون القرطبي النحوي اللغوي المقرئ، تتلمذ على يديه في النحو[(٨)].
٩. أبو القاسم يعيش بن صدقة الفراتي، قرأ عليه بعض كتب السنن[(٩)].

---

(١) هو: أبو محمد سعيد بن المبارك بن علي بن الدهان البغدادي النحوي، المعروف بابن الدهان، صاحب الغرّة في شرح اللّمع، وزهر الرياض، توفي رحمه الله سنة ٥٦٩هـ. انظر: وفيات الأعيان (١٤١/٤)، وإنباه الرواة (٤٧/٢).

(٢) هو: الشيخ الإمام المحدث ابو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي ثم البغدادي ثم الموصلي الشافعي، كان له مكانة كبيرة بين العلماء، توفي سنة ٥٧٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٨٧)، وإنباه الرواة (٢٥٨/٣).

(٣) هو: الإمام المحدث أبو أحمد عبد الوهاب بن علي بن عبيد الله بن سكينة، البغدادي، الصوفي، الشافعي، قصده كثيرون ليأخذوا عنه العلم، توفي رحمه الله سنة ٦٠٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ( ٤٨٩/٢١).

(٤) هو: الإمام العلامة عبد الوهاب بن هبة الله الطحان، كان فقيرا متعففا قانعا، مان رحمه الله سنة ٥٨٨هـ. انظر: جامع الأصول (١٩٩/١)، وسير أعلام النبلاء (٢٢٧/٢١).

(٥) هو: الشيخ الجليل أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن كليب الحراني، حدث عنه الكثير، وكان تاجرا، توفي سنة ٥٩٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٥٩/٢١)، ووفيات الأعيان (٢٢٧/٣).

(٦) هو: أبو جعفر المبارك بن المبارك بن أحمد، الإمام المقرئ، إمام جامع واسط، تفرد بإجازات كثيرة، وكان جيد القراءة حسن الصوت، توفي رحمه الله سنة ٥٩٦هـ. سير أعلام النبلاء (٣٢٧/٢١).

(٧) هو: الإمام العلامة إمام العربية أبو الحرم مكي بن ريان بن شبة بن صالح الماكسيني، كان ذا تقوى وصلاح، وصلاح، توفي سنة ٦٠٣هـ. انظر: جامع الأصول (٢٠٠/١).

(٨) هو: الإمام أبو بكر يحيى بن سعدون بن تمام القرطبي، شيخ الموصل، كان ثقة متقنا في العربية، توفي سنة ٥٦٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٥٤٧/٢٠)(٤٨٩/٢١)، ووفيات الأعيان (١٧١/٦).

(٩) هو: الإمام أبو القاسم يعيش بن صدقة شيخ الشافعية الفراتي – نسبة إلى نهر الفرات – الضرير، كان إمام صالحا، مات رحمه الله سنة ٥٩٣هـ. انظر: جامع الأصول– (٢٠٤/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٠٠/٢١).

- **تلاميذه:**

تفرغ ابن الأثير في آخر حياته للتعليم والتأليف، وليس من الغريب بذلك أن يكثر تلاميذه، وأن يضربوا أكباد الإبل للاستفادة من علمه، لكن الغريب أن مصادر ترجمته لم تذكر إلا عدداً قليلاً من تلاميذه وكان ممن ذكر في ترجمته:

١- ولده[١].
٢- إسماعيل بن حامد الشهير ب الشهاب القوصي، وكيل بيت المال في دمشق[٢].
٣- تاج الدين عبد المحسن بن محمد بن الحامض شيخ الباجربقي[٣].
٤- علي بن أحمد بن عبد الواحد الشهير بفخر الدين بن البخاري[٤].
٥- أبو الحسن علي بن يوسف القفطي[٥] صاحب إنباه الرواة .
٦- الشهاب الطوسي أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد[٦].

## المطلب الثاني: آثاره العلمية:

ظهر نبوغ العلامة ابن الأثير منذ صغره، فكان شغوفاً به منكباً عليه ناهلاً منه، حتى تكونت عنده حصيلة علمية جعلته يطرق فنوناً كثيرةً في الحديث والفقه والتفسير واللغة، وتلقى العلماء مؤلفاته بالقبول، وهذه قائمة بمؤلفاته القيمة مرتبةً على النحو التالي:

### أولا: مؤلفاته المطبوعة:

١. البديع في النحو[٧].

---

(١) وقد أشار الى تلمذته على يديه، وروايته عنه الذهبي، والسبكي، انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/٢١)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣٦٦/٨) ، قال الباحث: لم أجد غير هذين المصدرين قد ذكرا أن ولده من تلامذته، وانه ممن روى عنه.

(٢) هو: الإمام الفقيه المحدث شهاب الدين اسماعيل بن حامد القوصي، توفي سنة ٦٥٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٨٨/٢٣)(٤٨٩/٢١).

(٣) انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/٢١).

(٤) هو: الإمام العلامة الزاهد أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي المشهور بابن البخاري، توفي سنة ٦٩٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/٢١)، والبداية والنهاية (٦٤١/١٧).

(٥) هو: الإمام القاضي علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد ابو الحسن القفطي، عظيم القدر، إذا تكلم بفن أجاده، توفي سنة ٦٤٦هـ. انظر: شذرات الذهب (٤٠٨/٧)، وبغية الوعاة (٢١٢/٢).

(٦) هو: الإمام شيخ الشافعية أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد بن شهاب الدين، توفي سنة ٥٩٦هـ. انظر: سير اعلام النبلاء (٤٩٠/٢١)، وشذرات الذهب (٥٣٤/٦).

(٧) ذكره ياقوت في معجم الأدباء (٥/ ٢٢٧٠)، والسيوطي في بغية الوعاة (٢٧٤/٢)، وذكره ابن خلكان في وفيات وفيات الأعيان (١٤١/٤)، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١٩٨/٦) باسم " البديع في شرح الفصول لابن

٢. جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ[١].

٣. الشافي في شرح مسند الشافعي[٢].

٤. المختار في مناقب الأخيار[٣].

٥. المرصّع في الآباء والأمهات والأبناء والبنات والأذواء والذوات[٤].

٦. منال الطالب في شرح طوال الغرائب[٥].

---

الدهان ". قال ياقوت: " نحو الأربعين كراسة، وقال: وقفني عليه- أي أخوه عز الدين المؤرخ – فوجدته بديعًا كاسمه، سلك فيه مسلكا غريباً، وبوّبه تبويباً عجيباً ". معجم الأدباء (٥/ ٢٢٧٠).

وقد طبع متأخراً باسم : " البديع في علم العربية " بتحقيق ودراسة: أحمد علي الدين، ونشر ضمن مطبوعات جامعة أم القرى: معهد البحوث العلمية، مركز إحياء التراث الإسلامي – مكة المكرّمة، عام ١٤٢٠هـ.

(١) ذكره ياقوت وقال: " جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي، عمله على حروف المعجم، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ووصف رجالها ونبه على جميع ما يحتاج إليه منها، ثم قال: أقطع أنه لم يصنف مثله قط ولا يصنف ". معجم الأدباء (٧٦/١٧).

قال الطّناحي: " وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٦٨هـ – ١٩٤٩ م في اثني عشر جزءًا بعناية الشيخين عبد المجيد سليم وحامد الفقي ". مقدمة تحقيقه لكتاب النهاية في غريب الحديث والأثر– مجد الدين ابن الأثير– تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي– المكتبة العلمية، بيروت– ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ( ١٦/١).

وطبع أيضًا بتحقيق عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله سنة ١٩٦٩م، وصدر عن مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان في بيروت.

(٢) قال عنه ياقوت: " أبدع في تصنيفه ". معجم الأدباء (٧٦/١٧).

وقال الطناحي : " ومنه نسخة بدار الكتب المصرية برقم ٣٠٦حديث في أربع مجلدات، ونسخة أخرى في مجلد واحد برقم ٢٢١١٨٤ب ". مقدمة تحقيقه لكتاب النهاية (١٧/١)،وطبع أخيرًا بتحقيق أحمد سليمان وياسر إبراهيم وصدر عن مكتبة الرشد في الرياض في خمسة مجلدات، سنة ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

(٣) ذكره ياقوت وقال: " في أربعة مجلدات ". معجم الأدباء– (٧٧/١٧).

قال الطناحي: " منه نسخة بليدن برقم ١٠٩٠ كما يوجد النصف الثاني منه بمكتبة فيض الله بإستانبول برقم ١٥١٦ وهو مصور بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ". مقدمة تحقيقه لكتاب النهاية (١٧/١).

قال الباحث: لم أجد أحد ممن حقق كتب ابن الأثير، أو حتى كتب دراسات وأبحاث عن ابن الأثير حتى هذا التاريخ قد ذكر هذا الكتاب من ضمن الكتب المطبوعة، ولكني ولله الحمد قد وجدته مطبوعا وهو في مكتبة الجامعة الإسلامية بغزة، في ستة مجلدات ، بتحقيق مأمون الصاغرجي، وعدنان عبد ربه، ومحمد أديب الجادر، بمركز زايد للتراث والتاريخ، سنة ٢٠٠٣م– ١٤٢٤هـ.

(٤) ذكره ياقوت الحموي وقال: " مجلد ". معجم الأدباء (٧٦/١٧)، والسبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٣٦٧/٨)، والسيوطي في بغية الوعاة (٢٧٤/٢)، وقال: " وقفت عليه ولخصت منه الكنى في كراسة ".

قال الطناحي: " وقد طبع في ( ويمار ) سنة ١٨٩٦ بعناية سيبولد الألماني في ٢٦٧ صفحة من القطع الصغير ". مقدمة تحقيق كتاب النهاية (١٨/١).

(٥) أشار إليه السبكي باسم " شرح غريب الطوال ". انظر: طبقات الشافعية (٣٦٧/٨).

٧. النهاية في غريب الحديث والأثر[١].

**ثانيًا: مؤلفاته المخطوطة والمفقودة:**

١. الانصاف في الجمع بين الكشف والكشاف[٢].
٢. الباهر في الفروق في النحو[٣].
٣. تهذيب فصول ابن الدهان، وهو في الناحي[٤].
٤. ديوان رسائل[٥].
٥. رسائل في الحساب[٦].

---

وقد نشر بتحقيق الدكتور محمود الطناحي، مكتبة دار المأمون للتراث، في مجلدين، ولم أجد منهما إلا المجلد الأول.

(١) ذكره ابن خلكان وقال: " في خمس مجلدات ". وفيات الأعيان (١٤١/٤)، والذهبي في السير (٤٨٩/٢١)، والسبكي في طبقات الشافعية (٣٦٦/٨).

وقد طبع كتاب النهاية طبعات كثيرة منها:

– طبعة بطهران عام ١٢٦٩هـ، طبع حجر وهي غير مضبوطة وتقع في مجلد واحد كبير الحجم في ١٩٩ ورقة. انظر: مقدمة الطناحي للنهاية (١٨/١).

– وطبعة بالمطبعة الخيرية سنة ١٣١٨هـ، وهي غير مضبوطة، وتقع في أربعة أجزاء، قال الطناحي: " وقد ذكر في الصفحة الأولى من الجزء الأول أن بهامشها كتابين، أحدهما (مفردات الراغب الأصفهاني) في غريب القرآن، وثانيهما (تصحيفات المحدثين) في غريب الحديث للحافظ أبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، ولكن لم يطبع بالهامش سوى مفردات الراغب ". مقدمة تحقيق النهاية (١٨/١).

– وطبعة بمطبعة عيسى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٦٣م–١٣٨٣هـ بتحقيق الطاهر الزاوي ومحمود الطناحي في ٥ مجلدات، وصورته دار إحياء التراث العربي ببيروت– لبنان.

– وطبعة بمطبعة دار ابن الجوزي في مجلد واحد كبير سنة ١٤٢٧هـ بتحقيق مركز (ن) لخدمات النشر، وباشراف الشيخ علي بن حسن الحلبي. وهي الطبعة التي اعتمدها الباحث.

(٢) وهو عبارة عن جمع بين كتاب " الكشف والبيان في تفسير القرآن " لأبي إسحاق الثعلبي النيسابوري ت ٤٢٧هـ، وكتاب " الكشاف عن حقائق التأويل " لأبي القاسم الزمخشري ت ٥٣٨هـ، قال ياقوت: " أربع مجلدات ". معجم الأدباء (٧٦/١٧)، ووصفه صاحب كشف الظنون بقوله: " تفسير كبير". كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون– مصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة– مكتبة المثنى– بغداد– ١٩٤١م– (١٨٢/١).

(٣) ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٧٦/١٧)، والسيوطي في بغية الوعاة (٢٧٤/٢)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (٢١٩/١).

(٤) ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٧٦/١٧)، والسيوطي في بغية الوعاة (٢٧٤/٢)، وحاجي خليفة في كشف الظنون (١٢٦٥/٢).

(٥) ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان– (١٤١/٤)، وياقوت الحموي في معجم الأدباء (٧٦/١٧)، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١٩٨/٦).

(٦) ذكره ياقوت الحموي في معجم الأدباء (٧٦/١٧).

٦. الفروق والأبنية في النحو[١].
٧. كتاب في صنعة الكتابة[٢].
٨. المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار[٣].

**المطلب الثالث: أقوال العلماء فيه:**

لقد أثنى العلماء على ابن الأثير ثناءً طيباً، واعترفوا له بالإمامة والفضل.

قال عز الدين ابن الأثير: " وكان كاتباً يضرب به المثل، ذا دين متين، ولزوم طريق مستقيم، رحمه الله ورضي عنه، فلقد كان من محاسن الزمان، ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قولي، ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أنّي مقصر "[٤].

وقال ابن خلكان: " كان فقيهاً محدّثاً أديبًا نحويّاً، عالماً بصنعة الحساب والإنشاء، ورعاً عاقلاً مهيباً ذا برٍّ وإحسان "[٥].

وقال ياقوت الحموي: " كان عالماً فاضلاً، وسيداً كاملاً، قد جمع بين علم العربية والقرآن، والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحته وسقمه والفقه وكان شافعياً "[٦].

وقال الذهبي: " القاضي الرئيس العلامة البارع الأوحد البليغ "[٧].

وقال السيوطي: " من مشاهير العلماء، وأكابر النبلاء، وأوحد الفضلاء "[٨]

وكان ابن الأثير من المقلين جدًا في قول الشعر، ولم يوجد له إلا مقطوعات شعرية تشفّ عن حسٍّ أدبيٍّ مرهف.

يقول ياقوت الحموي: " حدثني عز الدين أبو الحسن قال:حدثني أخي أبو السعادات رحمه الله قال: كنت أشتغل بعلم الأدب على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي بالموصل، وكان كثيراً ما يأمرني بقول الشعر وأنا أمتنع من ذلك، قال: فبينا أنا ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم وهو يأمرني بقول الشعر، فقلت له: ضع لي مثالًا أعمل عليه فقال:

**جب الفلا مدمناً إن فاتك الظّفر      وخدّ خدّ الثّرى والليل معتكر**

---

(١) ذكره السبكي في طبقات الشافعية (٣٦٧/٨)، وياقوت الحموي في معجم الأدباء (٧٦/١٧)، وذكره السيوطي في بغية الوعاة (٢٧٤/٢) باسم" الباهر في الفروق " فلعلهما كتاب واحد.

(٢) وصفه ابن خلكان في وفيات الأعيان (١٤١/٤) بقوله " بأنه كتاب لطيف "، وذكره ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١٩٨/٦).

(٣) ذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان (١٤١/٤)، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة (١٩٨/٦)، والسبكي في طبقات الشافعية (٣٦٧/٩٨).

(٤) الكامل (٢٧٥/١٠).

(٥) ذكره ابن العماد في شذرات الذهب (٢٢/٥) فهذا النقل لم يوجد في المطبوع من وفيات الأعيان.

(٦) معجم الأدباء (٧١/١٧).

(٧) سير أعلام النبلاء (٤٨٨/٢١).

(٨) بغية الوعاة (٢٧٤/٢).


فقلت أنا:

**فالعزّ في صهوات الخيل مركبه     والمجد ينتجه الإسراء والسّهر**

فقال لي: أحسنت، هكذا فقل، فاستيقظت فأتممت عليها نحو العشرين بيتاً "[١].

---

(١) معجم الأدباء (٧٣/١٧).

## المبحث الرابع: منهج ابن الأثير في تقرير مسائل العقيدة.

يمكن إدراج منهج ابن الأثير رحمه الله في تقرير مسائل العقيدة ومعالجته لقضاياها تحت الفقرات التالية:

١-استدلاله بالنص في غالب ما يقرره، فإن أكثر كلامه رحمه الله إنما ورد في أثناء شرحه للآيات القرآنية – وإن كانت قليلة- وللأحاديث النبوية التي رواها أئمة الحديث في كتبهم، وهذا أظهر من أن يحتاج إلى أمثلة، ولعل غالب ما سيورده الباحث في هذه الرسالة على هذا النحو.

٢-استدلاله رحمه الله بخبر الآحاد في العقيدة، ففي مقدمة كتابه جامع الأصول قسم الأخبار إلى متواتر وآحاد، وأفاد رحمه الله أن المتواتر يفيد العلم، وأنه لا خلاف في ذلك، وذكر كلاماً كثيراً يتعلق به.

ثم جاء إلى أخبار الآحاد فعرفها فقال: " هي ما لا ينتهي إلى حد خبر التواتر المفيد للعلم، فما نقله جماعة من خمسة أو ستة مثلاً، فهو خبر واحد، ... وخبر الواحد لا يفيد العلم، ولكنا متعبدون به، ... وقد أنكر قوم جواز التعبد بخبر الواحد عقلاً، فضلاً عن وقوعه سمعاً، وليس بشيء، وذهب قوم إلى أن العقل يدل على وجوب العمل بخبر الواحد، وليس بشيء، فإن الصحيح من المذهب والذي ذهب إليه الجماهير من سلف الأئمة من الصحابة والتابعين والفقهاء والمتكلمين: أنه لا يستحيل التعبد بخبر الواحد عقلاً. ولا يجب التعبد به عقلاً، وأن التعبد واقع سمعاً، بدليل قبول الصحابة لخبر الواحد، وعملهم به في وقائع شتى لا تنحصر، وإنفاذ رسول الله ﷺ رسله وقضاته وأمراءه وسعاته إلى الأطراف، وهم آحاد، وبإجماع الأمة على أن العامي مأمورٌ بإتباع المفتي وتصديقه، مع أنه ربما يخبر عن ظنه، فالذي يخبر عن السماع الذي لا شك فيه أولى بالتصديق "[(١)].

الاحتجاج بخبر الواحد وهل يفيد العلم أو الظن حصل فيه خلافٌ كبيرٌ بين أهل العلم، وما ذكره ابن الأثير رحمه الله هو رأيٌ لبعض أهل العلم.

قال النووي[(٢)] رحمه الله: " فإنهم – أي المحققين – قالوا: أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة انما تفيد الظن فإنها آحاد والآحاد انما تفيد الظن على ما تقرر ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك، وتلقى الأمة بالقبول انما أفادنا وجوب العمل بما فيهما وهذا متفق عليه، فانّ أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها إذا صحت أسانيدها ولا تفيد إلا الظن فكذا الصحيحان وإنما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج إلى

---

(١) جامع الأصول (١/ ١٢٤- ١٢٦).

(٢) هو: مفتي الأمة، شيخ الإسلام، يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين، محيي الدين، أبو زكريا، الحافظ، الفقيه، الشافعي، له مصنفات عديدة وكثير، بارك الله فيها، منها: شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، توفي رحمه الله سنة ٦٧٦هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٥٠/ ٢٤٦).

النظر فيه بل يجب العمل به مطلقاً وما كان في غيرهم لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح"[١].

وقد استدل ابن الأثير رحمه الله بالسنة النبوية على كثيرٍ من المسائل العقدية، ولم يجد الباحث تفريق له بين المتواتر منها والآحاد من حيث حجيتها في المسائل العقدية.

**٣-**كان من منهجه رحمه الله أحياناً الاستدلال بالإجماع على بعض المسائل العقدية وهي محدودة[٢].

**٤-**اعتماده رحمه الله على اللغة العربية في الشرح والبيان والتقرير، فالمتتبع لمصنفاته وشروحاته يتبين له القدرة اللغوية والبلاغية التي يتمتع بها، وهو ما يظهر في أسلوبه، وفي طريقة تقريره للمسائل التي سيتناولها الباحث.

**٥-**تأثره بمنهج المتكلمين في بعض تقريراته، فإنّه وإن كان يوافق المسلك السلفي في أغلب مسائل العقيدة وقضاياها، لكنه رحمه الله يخرج أحياناً عن طريقتهم ومذهبهم، ومن ذلك سلوكه التأويل وإعماله المجاز في بعض النصوص من القرآن والسنة[٣].

وكذلك استخدامه لبعض المصطلحات كلفظ الجسم والعرض والجوهر[٤] وغيرها لتأويل بعض النصوص، فإنّ المتكلمين يستعملونها لنفي الصفات عن رب العالمين، وتأويل النصوص.

فهذه أهم الجوانب البارزة والمعالم الظاهرة في منهج ابن الأثير رحمه الله، والتي سوف تتضح أكثر عند عرضه على مسائل الاعتقاد المفصلة، والذي يعتبر الجانب التطبيقي لهذه الجوانب.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط٢، ١٣٩٢هـ - (١/ ٢٠)، مع التنبيه أن خبر الواحد قد يفيد العلم لقرينة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني- تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية- ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م - (١٨/ ٤٠): " الصحيح أن خبر الواحد قد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تفيد العلم". وللاستزادة انظر: خبر الواحد وحجيته- أحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي- عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية- ط١ ،١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م - (ص: ١١٧- ١٨٣).

(٢) انظر: (ص:١٣٢)، و(ص: ١٦٤).

(٣) انظر: (ص: ٦٣)، (ص: ٦٩).

(٤) انظر: (ص: ٧٠).

# الفصل الأول

## منـهج ابن الأثير في توحيد الله تعالى

**وفيه خمسة مباحث:**

**المبحث الأول: منـهج ابن الأثير في تعريف التوحيد**

**المبحث الثّاني: منـهج ابن الأثير في توحيد الربوبية**

**المبحث الثالث: منـهج ابن الأثير في توحيد الأسماء والصفات**

**المبحث الرابع: منـهج ابن الأثير في توحيد الألوهية**

**المبحث الخامس: منـهج ابن الأثير في نواقض التوحيد**

## الفصل الأوّل: منهج ابن الأثير في توحيد الله تعالى.

إنّ توحيد الله تعالى هو أصل أصول الدين، ومن أجله خلق الله الإنس والجن، وبعث الرسل، وأنزل الكتب، وقد أدرك السلف ذلك، فعملوا على تحقيق التوحيد في حياتهم، وجعله واقعاً، فأقاموا الدروس، وألفوا الكتب، وعقدوا الخطب، وكذلك فعل من أتى بعدهم من العلماء إلى يومنا هذا.

ولقد كان لابن الأثير رحمه الله نصيبٌ في هذا الباب، حيث تناول في أثناء شرحه للآيات والأحاديث مسائل تتعلق بتوحيد الله تعالى، وبين رأيه فيها، وبيان ذلك في في المباحث الآتية، مع بيان مدى موافقة ما ذكره لمنهج السلف وعدمه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

### المبحث الأول: منهج ابن الأثير في تعريف التوحيد.

على الرغم ما للتوحيد من أهمية إلا أنّه حصل خلافٌ بين أهل السنة وغيرهم في تعريف التوحيد وبيانه، وأقسامه، وقد تطرق ابن الأثير رحمه الله لبعض هذه المسائل، وبيانها سيكون في المطالب التالية:

#### المطلب الأول: تعريف التوحيد لغةً واصطلاحاً:

بين ابن الأثير رحمه الله معنى التوحيد عنده فقال في شرح حديث " **إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ فَأَوْتِرُوا** "[1]: " الوتر: الفرد، وتكسر واوه وتفتح، فالله واحد في ذاته، لا يقبل الانقسام والتجزئة، واحدٌ في صفاته، فلا شبيه له ولا مثل، واحدٌ في أفعاله، فلا شريك له ولا معين"[2].

وقال في تعريف اسم الله الواحد: " هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر... وقيل: الواحد: هو الذي لا يتجزأ، ولا يثنى، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثل "[3].

فالتوحيد عند ابن الأثير رحمه الله:

أن الله واحدٌ في ذاته، لا قسيم له، واحدٌ في صفاته، لا شبيه له، واحدٌ في أفعاله، لا شريك له.

وهو رحمه الله في هذا التقرير يوافق المتكلمين في بيان التوحيد[4]، ولبيان ذلك يقال:

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه كتاب الصلاة، باب ما جاء في الوتر، حديث رقم ١١٦٩، (ص: ٢٠٨)، وأبو داوود في سننه كتاب الصلاة، باب استحباب الوتر، حديث رقم ١٤١٦، (ص:٢٢٠)، والترمذي في سننه كتاب الوتر، باب ما جاء في أن الوتر ليس بحتمٍ، حديث رقم ٤٥٣، (ص:١٢١)، والنسائي في سننه كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب الأمر بالوتر، حديث رقم ١٦٧٥، (ص:٢٧٥)، وصححه الألباني في المواضع السابقة في تحقيقه لها.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر- مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير- أشرف عليه: علي بن حسن الحلبي- دار ابن الجوزي- ط٤، ١٤٢٧هـ- (ص: ٩٥٧).

(٣) المصدر السابق (ص: ٩٦٢).

(٤) يقول عبد الغني الغنيمي: " والوحدانية صفة سلبية تقال على ثلاثة أنواع: الأول: الوحدة في الذات...، والثاني: الوحدة في الصفات ...، والثالث: الوحدة في الأفعال ...". شرح العقيدة الطحاوية- عبد الغني الغنيمي الميداني- تحقيق: محمد مطيع الحافظ، محمد رياض المالح- دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق- ط٢،

**التوحيد لغةً:**

قال ابن فارس[1]: " الواو، والحاء، والدال: أصل واحد يدل على الانفراد "[2]، وعليه فالتوحيد بمعنى الإفراد.

وتقول العرب: واحد وأحد ووحد ووحيد أي منفرد، فالله تعالى واحد، أي منفرد عن الأنداد والأشكال في جميع الأحوال[3].

**التوحيد اصطلاحاً:**

١. عرفه الشيخ محمد بن صالح العثيمين[4] رحمه الله بقوله: " إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات "[5].

---

١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م- (ص: ٤٧)، وانظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي- تحقيق: أحمد عصام الكاتب- دار الآفاق الجديدة ، بيروت- ط١، ١٤٠١هـ - (ص: ٥٩)، الاقتصاد في الاعتقاد- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م - (ص: ٤٧)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز جهله- للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني- تحقيق: محمد زاهد الكوثري- دار الكتب العلمية، بيروت- ط٢، ٢٠٠٩- (ص: ٩٩)، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي- تحقيق: فوقية حسين محمود- عالم الكتب، لبنان- ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - (ص: ٩٨)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة- عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود- مكتبة الرشد، الرياض- ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م - (٣/٩٤٦).

(١) هو: أحمد بن فارس بن زكريّا القزوينيّ، اللّغويّ، المحدّث، أبو الحسين، صاحب كتاب المجمل، وكتاب مقاييس اللغة، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله وغيرهما كثير، كان رأساً في الأدب، ومذهبه في النّحو على طريقة الكوفيّين، مات بالرّيّ في صفرٍ سنة خمسٍ وتسعين وثلاث مائةٍ، وقيل توفي سنة تسعين وثلاثمائةٍ. انظر: معجم الأدباء (٤١٠/١)، سير أعلام النبلاء (١٠٣/١٧)، البداية والنهاية (٥٠٩/١٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين- تحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م - (٦/ ٩٠).

(٣) انظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة- إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم- تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي- دار الراية، الرياض- ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (٣٣٢/١).

(٤) هو: محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين، ولد في عنيزة، احدى مدن القصيم عام ١٣٤٧هـ، رزق ذكاءً، وهمة عالية، تتلمذ على الشيخ: عبد الرحمن السعدي، كان له نشاط كبير في الدعوة على مستوى العالم، مصنفاته كثيرة منها: الشرح الممتع على زاد المستقنع، توفي رحمه الله سنة ١٤٢١هـ بعد صراع مع المرض. انظر: ترجمة محمد تامر له في تحقيقه لشرح الشيخ للواسطية = شرح العقيدة الوسيطية – محمد بن صالح العثيمين- راجعه وخرج أحاديثه : محمد محمد تامر – مكتبة الإيمان ، المنصورة (ص: ٧).

(٥) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين- محمد بن صالح بن محمد العثيمين- جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان- دار الوطن – دار الثريا- ١٤١٣ هـ - (٩/ ١).

٢. وجاء في مذكرة التوحيد: " التوحيد يطلق شرعا على تفرد الله تعالى بالربوبية والإلهية، وكمال الأسماء والصفات"[١].

٣. وأشار الطبري[٢]رحمه الله إلى معنى التوحيد في تفسير قول الله (إلهاً واحداً) [البقرة - ١٣٣] بقوله: " أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً "[٣].

فما ذكره ابن الأثير رحمه الله في تقرير التوحيد، هو ما يدور عليه تعريف المتكلمين، ومما انتقده أهل السنة في هذا التعريف أمور:

١- قولهم: إن الله واحد في ذاته لا قسيم له: كلام مجمل، فإن قصدوا به أن الله تعالى أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد، وأنه يمتنع أن يتفرق أو يتجزأ أو يكون قد ركب من أجزاء فهذا حق، لكن إن قصدوا به نفي علوه ومباينته لخلقه، ونفي صفة الوجه واليدين و... وأنه لا يشار إليه ولا ينزل كما يشاء فهذا باطل[٤].

٢- أما قولهم: أنه واحد في صفاته لا شبيه له ولا مثل: فإن قصدوا به إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات بدون تشبيه أو تمثيل بخلقه فهذا حق، وهذا هو منهج السلف، لكن الحقيقة أن عامة المتكلمين جعلوا نفي الصفات أو بعضها داخل في مسمى التشبيه[٥]، مع العلم أن أهل الكلام مضطربون في هذا، لأن كل طائفة تجعل ما تنفيه من الأسماء أو الصفات من التشبيه الذي يجب تنزيه الله عنه[٦].

وهذه المعاني الباطلة التي انتقدها أهل السنة على المتكلمين والتي ضمنوها في تعريفاتهم للتوحيد، هي التي أقر بها ابن الأثير رحمه الله في الأسماء والصفات - وسيأتي بيان أقواله في ذلك والرد عليها -.

---

(١) مذكرة التوحيد- عبد الرزاق عفيفي- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية- ط١، ١٤٢٠هـ - (ص: ٣).

(٢) هو: الإمام، العلم، محمد بن جرير أبو جعفرٍ الطّبريّ، من أهل طبرستان، ولد سنة أربعٍ وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين وأكثر التّرحال، ولقي نبلاء الرّجال، وكان من أفراد الدّهر علماً، وذكاءً، وكثرة تصانيف ومنها: جامع البيان في تاويل اي القران وكتاب في التاريخ، وكتاب تهذيب الاثار، توفّي سنة ٣١٠هـ رحمه الله. انظر سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤)، والبداية والنهاية (٨٤٦/١٤).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن- محمد بن جرير أبو جعفر الطبري- تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م- (٩٨/٣).

(٤) انظر: التدمرية = تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية-تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي- مكتبة العبيكان، الرياض- ط٦، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م - (ص: ١٨٤، ١٨٥)، مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤٩، ٤٥٠).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٩٩- ١٠٠).

(٦) انظر: التدمرية (ص:١٨٢، ١٨٣).

**المطلب الثاني: أنواع التوحيد:**

المتتبع لتعريفات ابن الأثير رحمه الله – ومنها التعريفات السابقة – في التوحيد، وما يتضمنه التوحيد من أقسام وأنواع، يجد أنه قد سار على نهج المتكلمين في بيان التوحيد وأنواعه، أو على الأقل يقال أنه لم يكن واضحا في بيان هذه الأنواع كما هو الحال عند أهل السنة.

ومن أمثلة تفسير ابن الأثير لمعنى كلمة لا إله إلا الله وأنها لا تدل على توحيد الألوهية، ما ذكره عند حديثه عن سورة الإخلاص وأنها تعدل ثلث القرآن، فذكر أن القرآن لا يتجاوز ثلاثة أقسام، وهي: الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه، أو معرفة أسمائه وصفاته، أو معرفة أفعاله، وأن سورة الإخلاص اشتملت على النوع الأول وهو معرفة ذات الله وتقديسه، وأن منتهى التقديس أن يكون واحدا في ثلاثة أمور:

- لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه، ودل عليه قوله: " لم يلد".
- لا يكون هو حاصلا ممن هو نظيره وشبهه، ودل عليه قوله: " ولم يولد".
- لا يكون في درجته من هم مثله، ودل عليه قوله: " ولم يكن له كفوا أحد".

وأنه يجمع ذلك كله قوله: " قل هو الله أحد"، وجملته: تفصيل قولك: لا إله إلا الله[1].

إن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، أو إلى قسمين: توحيد معرفة وإثبات وهو توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد إرادة وطلب وهو توحيد الألوهية، هي عقيدة المسلمين قاطبة، المؤمنين بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، وإن هذا التقسيم يبدو جليا وواضحا لمن استقرأ كلام السلف في كتبهم، وطالع أقوالهم في مصنفاتهم.

ومن أقوال العلماء في بيان وذكر ذلك القسيم:

ما ذكره الإمام الطحاوي[2] في متن الطحاوية فقال: " نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره ..."[3].

يقول شارح الطحاوية: " التوحيد يتضمن ثلاثة أنواع:

**أحدها:** الكلام في الصفات.

**والثاني:** توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيء.

---

(١) انظر: النهاية (ص:١٢٥، ١٢٦).

(٢) هو: العلاّمة، محدّث الدّيار المصريّة وفقيهها، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزديّ، المصريّ، الطّحاويّ، كان شافعياً ثم انتقل إلى الذهب الحنفي لقصةٍ حصلت مع خاله، ولد في سنة تسعٍ وثلاثين ومائتين، وهو ابن أخت المزنيّ، له تصانيف كثيرة منها: (معاني الآثار) و(أحكام القرآن)، مات سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة.انظر سير أعلام النبلاء (٢٧/١٥)، والبداية والنهاية (٧١/١٥).

(٣) متن العقيدة الطحاوية– أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك المعروف بالطحاوي– شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني– المكتب الإسلامي، بيروت– ط٢، ١٤١٤ هـ– (ص: ٣١).

**والثالث:** توحيد الالهية، وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له "[1].

وفي بيان دلالة القرآن على أنواع التوحيد يقول العلاّمة ابن القيم[2] بعد أن ذكر أنّ كلّ طائفة تسمي باطلهم توحيداً: " وأمّا التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه، فوراء ذلك كله، وهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات وتوحيد في المطلب والقصد.

**فالأول:** هو حقيقة ذات الرب تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوّه فوق سماواته على عرشه كما في أول سورة الحديد وسورة طه وآخر سورة الحشر، وأول سورة تنزيل السجدة ...

**النوع الثاني:** مثل ما تضمنته سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾، وقوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية، ... فإنّ القرآن إمّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإمّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كلّ ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي[3].

ومما يؤخذ على تعريفات أهل الكلام، وتعريفات ابن الأثير السابقة:

إهمالهم في هذا التقسيم لذكر توحيد الألوهية والدعوة إلى إخلاص الدين لله وإفراده وحده بجميع أنواع العبادة، الذي هو زبدة دعوة الرسل وروحها، والذي هو معنى لا إله إلا الله فهذا النوع من التوحيد لا ذكر له عندهم البتة[4].

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[5] رحمه الله بعد أن بين خطأ المتكلمين في تعريف التوحيد: " ما يسمونه توحيداً: فيه ما هو حق، وفيه ما هو باطل، ولو كان جميعه حقا: فإن

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية- محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي- تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني- دار السلام للطباعة والنشر- ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (ص٧٨).

(٢) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب الزّرعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، الشهير بابن قيم الجوزية، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الّذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وله تصانيف كثيرة منها: (إعلام الموقعين) و( شفاء العليل)، توفي سنة ٧٥١هـ. انظر شذرات الذهب (٢٨٧/٨)، الأعلام- خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي - دار العلم للملايين- ط١٥- أيار / مايو ٢٠٠٢ م (٥٦/٦).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية- تحقيق: محمد البغدادي- دار الكتاب العربي، بيروت- ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م (٤١٧/٣).

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي- تحقيق: مجموعة من المحققين- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- ط١٤٢٦،١هـ - (٣/ ١٣٨).

(٥) هو: الإمام العلّامة الفقيه الحافظ القدوة، شيخ الإسلام تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام بن عبد الله بن أبي القاسم، ابن تيميّة الحرّانيّ ثمّ الدّمشقيّ، كان مولده يوم الاثنين عاشر ربيعٍ الأوّل بحرّان سنة إحدى وستّين وستّمائة، لم يبق فن إلا جمعه وأجاده، له مصنفات أكثر من أن تحصر، توفي رحمه الله في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائةٍ في سجن القلعة في دمشق. انظر البداية والنهاية (٢٩٦/١٨)، والعبر (٤/ ٨٤).

المشركين إذا أقروا بذلك كله لم يخرجوا من الشرك الذي وصفهم الله به في القرآن، وقاتلهم عليه الرسول ﷺ؛ بل لابد أن يعترفوا أنه لا إله إلا الله "[1].

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١).

## المبحث الثاني: منهج ابن الأثير في توحيد الربوبية.

توحيد الربوبية هو أحد أنواع التوحيد التي سبق بيانها، وهو أحد قسمي توحيد المعرفة والإثبات المسمى بالتوحيد العلمي الخبري، أو الاعتقادي القولي.

وهذا النوع من التوحيد قائمٌ على إفراد الله تعالى بالخلق والملك، وأنه سبحانه خالق كل شيء، وأنه تعالى المالك للكون أجمع لا شريك له فيه، وأنه المدبر والمتصرف فيه بما شاء سبحانه[١]، وقد تطرق ابن الأثير لبعض مسائل هذا النوع، وهو ما سيوضحه الباحث في المطالب التالية.

### المطلب الأول: تعريف توحيد الربوبية:

تطرق الإمام بن الأثير رحمه الله في ثنايا كتبه للحديث عن توحيد الربوبية، فذكر كلاما هنا وذكر كلاما هناك، وللوقوف على تمام رأيه في توحيد الربوبية، كان لابد من جمع كلامه إلى بعضه، وترتيبه على النحو التالي:

**أولاً: معنى الرب لغةً:**

بين ابن الأثير رحمه الله معنى الرب في اللغة فقال في شرح قول النبي ﷺ: " **وأَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ ربّهَا أو رَبَّتَهَا** "[٢]: " الرّبّ يطلق في اللّغة على المالك، والسّيّد، والمدبّر، والمربّي، والقيّم، والمنعم "[٣].

وقال في موضع آخر: " الرب: السيد، والمالك، والصاحب، والمدبر، والمربي، والمولى "[٤]، وقال في موضع آخر: "الرب: المالك، والسيد، والصاحب، والمدبر، والخالق وغير ذلك "[٥].

هذه بعض المعاني اللّغوية التي أشار إليها بن الأثير، والتي قد جاءت متوافقة مع ما يذكره غيره من أهل اللغة[٦].

---

(١) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد- محمد بن صالح بن محمد العثيمين- دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية- ط٢، محرم ١٤٢٤هـ (١/ ١٢، ١٣)

(٢) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه= المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل، عن رسول الله ﷺ للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري – تحقيق: صدقي العطار- دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم١،(ص: ٣١).

(٣) النهاية (ص: ٣٣٨).

(٤) جامع الأصول (٢١٢/١).

(٥) الشافي في شرح مسند الشافعي- لابن الأثير ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري- تحقيق: أحمد بن سليمان، أبي تميم ياسر بن ابراهيم- مكتبة الرشد، الرياض- ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م (٥٣٢/١).

(٦) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٣٨١/٢).

**ثانياً: معنى توحيد الربوبية اصطلاحاً " شرعاً ":**

أشار أبن الأثير رحمه الله إلى ما يتضمنه توحيد الربوبية من معنى فقال في شرح قول النبي ﷺ: " **السيد الله** "[١]: " يريد بقوله: السيد الله: أن حقيقة السؤدد لله، وأن الخلق كلهم عبيد له "[٢]، وقال في موضع آخر في شرح هذه الكلمة: " أي هو الذي تحق له السيادة "[٣].

ولذلك لما شرح حديث " **لَا يَقُل المَملُوك لِسيِّده رَبِّي** "[٤] قال: " كره أن يجعل مالكه رباً له لمشاركة الله تعالى في الربوبية "[٥].

وكذلك عند بيانه لمعنى كلمة الابتداع قال: " الابتداع: إذا كان من الله وحده فهو إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، وهو تكوين الأشياء بعد أن لم تكن، وليس ذلك إلا إلى الله تعالى "[٦].

فبين رحمه الله أن حقيقة الربوبية مختصة لله تعالى دون سواه، وهذا هو معنى " توحيد الربوبية " في الشرع، فإن معناه: إفراد الله تعالى بالربوبية على ما تقتضيه من المعاني الكثيرة.

فالله سبحانه وتعالى هو الرب وحده لا شريك له، وهو السيد الذي لا شبه له، ولا مثل في مثل سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر[٧].

**المطلب الثاني: الاستدلال على توحيد الربوبية:**

أشار ابن الأثير رحمه الله إلى بعض الأدلة التي يستدل بها على توحيد الله في ربوبيته، وعند تتبع هذه الأدلة التي ذكرها الإمام ابن الأثير رحمه الله أو التي أشار إليها في معرفة الله والإقرار بربوبيته، نجد أنه قد ذكر اثنين منها هي: دليل الفطرة، ودليل السمع.

وبيان ذلك كالتالي:

**الدليل الأول: دليل الفطرة:**

يقرر الإمام ابن الأثير رحمه الله أن معرفة الله فطرية، وأن الفطرة دليل على وجود الله تعالى وربوبيته، وكلامه في ذلك يتناول معنى الفطرة، ودلالتها على توحيد الربوبية، وأخيراً ربطها بالميثاق الذي أخذه الله جل وعلا على بني آدم في عالم الذر، وبيان ذلك كالتالي:

---

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم ١٦٣٠٧، ٢٣٤/٢٦، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأبو داوود في سننه، كتاب الادب، باب في كراهية التمادح، حديث رقم ٤٨٠٦، ص٧٢٢، وصححه الألباني فيه.

(٢) جامع الأصول (١١/٥٠).

(٣) النهاية (ص: ٤٥١).

(٤) لم يجده الباحث بهذا اللفظ، وروى الإمام أحمد في مسنده نحوه (١٥/ ٤٥٣) بلفظ: " لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ لِعَبْدِهِ: عَبْدِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: فَتَايَ، وَلَا يَقُلِ الْعَبْدُ لِسَيِّدِهِ: رَبِّي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: سَيِّدِي ". وقال الأرنؤوط: " إسناده صحيح على شرط الشيخين ".

(٥) النهاية (ص: ٣٣٨).

(٦) جامع الأصول (١/ ٢٨٠).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٤٢).

**أولاً: معنى الفطرة لغةً:**

بين ابن الأثير رحمه الله معنى الفطرة في اللغة فقال: " الفطرة: الخلقة "[١]، وقال في موضع آخر: " ابتداء الخلقة "[٢]، وقال في كتابه النهاية: " الفطر: الابتداء والاختراع، والفطرة الحالة منه، كالجلسة والرّكبة "[٣].

هذا هو معنى الفطرة في اللغة، وهو موافق لما يذكره غيره من أهل اللغة[٤].

**ثانياً: معنى الفطرة " اصطلاحاً[٥]:**

تكلم ابن الأثير عن معنى الفطرة اصطلاحاً، وذلك عند شرحه للأحاديث التي فيها كلمة الفطرة، وهي كالتالي:

**الحديث الاول:** قال عند شرحه حديث " **كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ** "[٦]: " الفطرة: الخلقة، وأراد به: ملّة الإسلام"[٧].

وقال في موضع آخر: " ومعنى هذا الحديث: أن المولود يولد على نوع من الجبلة، وهي فطرة الله تعالى، وكونه متهيئاً لقبول الحقيقة طبعاً وطوعاً، ولو خلّته شياطين الإنس والجن وما يختار، لم يختر إلا إياها "[٨].

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله موافق لكلام السلف، وذلك أن السلف الذين فسروا الفطرة بالإسلام، لم يقصدوا أن الولد يولد عالماً بأحكام الدين من التوحيد وغيره، وإنما قصدوا أن الفطرة تستلزم معرفة الله تعالى وتوحيده، يقول ابن القيم: " ومما ينبغي أن يعلم أنه إذا قيل: ولد على الفطرة، أو على الإسلام، أو على هذه الملة، أو خلق حنيفاً، فليس المراد به أنه حين خرج من بطن

---

(١) جامع الأصول (١/ ٢٧٠).

(٢) المصدر السابق (٤/ ٢٥٣).

(٣) النهاية (ص: ٧١٠).

(٤) انظر: مختار الصحاح- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي- تحقيق: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية- الدار النموذجية، صيدا- ط٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م- (ص: ٢٤١)، لسان العرب (٥/ ٥٦).

(٥) لمعرفة المعاني التي ذكرها العلماء للفطرة وما هو الراجح منها، أو ما يصح في معناها، وما لا يصح، والأدلة والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة، والمسائل المتعلقة بذلك وبالتفصيل. انظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار المعرفة، لبنان- ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م (٢/ ٧٧٥) وما بعدها.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه - الحافظ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- قام على نشره: علي بن حسن بن علي بن علي بن الحميد الحلبي الأثري- الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم١٣٨٥، (١/ ٣٨٤).

(٧) جامع الأصول (٨/ ٥٢٣).

(٨) المصدر السابق (١/ ٢٧٠).

أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله يقول: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ (النحل: ٧٨) ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء، بحسب كمال الفطرة، إذا سلمت من المعارض "[١].

وقال ابن الأثير في موضع آخر في شرح معنى الفطرة في هذا الحديث: " المعنى أنّه يولد على نوعٍ من الجبلّة والطّبع المتهيّئ لقبول الدّين، فلو ترك عليها لاستمرّ على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، وإنّما يعدل عنه من يعدل لآفةٍ من آفات البشر والتّقليد، ... وقيل: معناه كلّ مولودٍ يولد على معرفة الله والإقرار به، فلا تجد أحدًا إلاّ وهو يقرّ بأنّ له صانعا، وإن سمّاه بغير اسمه، أو عبد معه غيره "[٢].

**الحديث الثاني:** قال عند شرحه حديث " ... **وَأُتِيتُ بِإِنَاءَيْنِ فِي أَحَدِهِمَا لَبَنٌ، وَفِي الْآخَرِ خَمْرٌ، فَقِيلَ لِي: خُذْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَشَرِبْتُهُ، فَقَالَ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ – أَوْ أَصَبْتَ الْفِطْرَةَ ..**"[٣]: .."[٣]: " الفطرة: الإسلام "[٤].

**الحديث الثالث:** قال عند شرحه **حديث** " **مِنَ الفِطْرَةِ: حَلْقُ العَانَةِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ** "[٥]: " الفطرة: ها هنا الإسلام، وقيل السنة "[٦]، وقال في موضع آخر: " أي من السّنّة، يعني سنن سنن الأنبياء عليهم السّلام الّتي أمرنا أن نقتدي بهم "[٧]، وتفسيره للفطرة بالسنة يقارب تفسيرها بالإسلام، لان المقصود أن هذه الخصال المذكورة في الحديث من سنن الأنبياء، وسنن الأنبياء هي الإسلام.

**ثالثاً: دلالة معنى الفطرة على توحيد الربوبية:**

تضمن ما ذكره ابن الأثير في معنى الفطرة بيان أن معرفة الله تعالى والإقرار بربوبيته مركوزة في الفطرة البشرية، وأن الإنسان يولد مفطوراً على توحيد الله تعالى، والاعتراف بأنه الخالق المدبر

---

(١) شفاء العليل (٢/ ٧٨٩).

(٢) النهاية (ص: ٧١٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم:١٦]، حديث رقم٣٤٣٧، (٢/ ٤٧١).

(٤) جامع الأصول (٤/ ٣٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب قص الشارب، حديث رقم٥٨٨٩، (٤/ ١٣٥).

(٦) جامع الأصول (٤/ ٧٦٤).

(٧) النهاية (ص: ٧١٠).

المتصرف في هذا الكون، ومعنى ذلك أن معرفة الله تعالى فطرية، وأن الفطرة دليل على وجود الله تعالى، وعلى ربوبيته لخلقه أجمعين.
وهذا الذي ذكره ابن الأثير هو الصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة:

أما الدليل من السنة فقد تقدم بعضه، وأما من الكتاب فمنه قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وهذا استفهام إنكار بمعنى النفي والإنكار على من لم يقر بهذا النفي، والمعنى: ما في الله شك، وأنتم تعلمون أنه ليس في الله شك، ولكن تجحدون انتفاء الشك جحوداً تستحقون أن ينكر عليكم هذا الجحد. فدل ذلك على أنه ليس في الله شك عند الخلق المخاطبين، وهذا يبين أنهم مفطورون على الإقرار، وإلا فالأمر النظري مسلتزم للشك قبل العلم، لا سيما إذا كانت طرقه خفيةً طويلة ..." [(١)].

**رابعاً: ربط الفطرة بالميثاق الذي أخذه الله على عباده في عالم الذر:**

أشار ابن الأثير رحمه الله إلى ارتباط الفطرة بهذا الميثاق الذي أخذه الله على عباده في عالم الذرّ، وذلك عند شرحه حديث: " **كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَصْبَحَ، قَالَ: «أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ،** ..."[(٢)] فقال: " الفطرة: ابتداء الخلقة، وهي إشارة إلى كلمة التوحيد حين أخذ الله العهد بها على ذرية آدم، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]" [(٣)].

هناك ارتباط وثيق بين المعرفة الفطرية التي سبق ذكرها، وبين الميثاق الذي أخذه الله تعالى على بني آدم وهم في عالم الذر، وهذا ما يذكره لنا القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا

---

(١) درء تعارض العقل والنقل– تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني – تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم– جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية– ط٢، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م – (٨/ ٤٤١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه = الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار– أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم – تحقيق: كمال يوسف الحوت– مكتبة الرشد ، الرياض– ط١، ١٤٠٩هـ – (٥/ ٣٢٤)، وأحمد في مسنده، (٢٤/ ٧٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والدارمي في مسنده = مسند الدارمي– أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي – تحقيق: حسين سليم أسد الداراني– دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية– ط١، ١٤١٢ هـ – ٢٠٠٠م (٢/ ٣٧٨)، وصححه الألباني في الصحيحة = سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها– أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني– مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض– ط١– (٦/ ١٢٣٠).

(٣) جامع الأصول (٤/ ٢٥٣).

﴿كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ۝١٧٣ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝١٧٤﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٤].

قال ابن كثير[١] رحمه الله في تفسير هذه الآية: " يخبر تعالى أنّه استخرج ذرّيّة بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أنّ الله ربّهم ومليكهم، وأنّه لا إله إلّا هو، كما أنّه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه "[٢].

وبالذي أشار إليه ابن الأثير يعلم أن هناك ميثاق أخذه الله تعالى على بني آدم قبل أن يخرجوا إلى الدنيا، وأنهم أقروا له بالربوبية في عالم الذر عن معرفة منهم به، ثم أخرجهم الله من أصلاب آبائهم مخلوقين مطبوعين على تلك المعرفة وذلك الإقرار[٣].

وبهذا يظهر ارتباط المعرفة الفطرية التي يولد عليها الإنسان بالميثاق الذي أخذه الله تعالى على عباده في عالم الذّرّ.

**الدليل الثاني: دليل السمع:**

قد سبق بيان ما قرره الإمام ابن الأثير رحمه الله من فطرية معرفة الله تعالى، وأن الفطرة دليل على توحيد الربوبية، ولكن لما كانت فطرة الإنسان قد تنحرف بسبب البيئة التي يعيش أو ينشأ فيها، جاءت الأدلة السمعية من الكتاب والسنة تقرر هذا التوحيد وتبينه، وتذكر الإنسان بما استقر في فطرته من معرفة الله تعالى وتوحيده.

وقد أشار الإمام ابن الأثير رحمه الله إلى هذا إذ قال في شرح قول النبي ﷺ: " **إنّ الله يَصْنَعُ صَانِعَ الْخَزْمِ وِيَصْنَعُ كُلّ صَنْعة** "[٤]: " يريد أنّ الله يخلق الصّناعة وصانعها، كقوله تعالى "والله خلقكم وما تعملون " "[٥].

---

(١) هو الحافظ الكبير عماد الدّين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصرويّ ثم الدمشقي الفقيه الشافعي، ولد سنة سبعمائة، وقدم دمشق وله سبع سنين، وصاهر المزّي، وصحب ابن تيميّة، كان كثير الاستحضار، قليل النسيان، جيد الفهم، من مصنفاته: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم، توفي رحمه الله ٧٧٤هـ. انظر: شذرات الذهب (٨/ ٣٩٧)، والأعلام (ص: ٣٢٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم= تفسير ابن كثير- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي- تحقيق: سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط٢،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م(٣/ ٥٠٠)

(٣) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي- تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري- وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب- ١٣٨٧ هـ - (١٨/ ٩٠).

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري- تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة- دار المعارف السعودية، الرياض (ص:٤٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤/ ١٨١).

(٥) النهاية (ص: ٢٦٣)، وقال ابن ابن الأثير في بيان معنى الخزم في نفس الموضع: " الخزم بالتحريك: شجر يتخذ من لحائه الحبال".

فالآية والحديث اللذان ذكرهما ابن الأثير يتضمنان إثبات الخلق لله تعالى وحده، فالله سبحانه هو الخالق وحده ولا خالق غيره.

وكذلك من الأدلة السمعية التي استدل بها ابن الأثير على هذا التوحيد، هو شرحه لبعض الأسماء التي تتعلق بتوحيد الربوبية، والتي منها:

١- اسم الله الخالق: يقول ابن الأثير: " **الخالق:** هو الّذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق التّقدير[١]، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها، وباعتبار الإيجاد على وفق التّقدير خالقٌ "[٢].

وبهذا المعنى تقريباً فسر اسم الله " **البديع** " فقال: " البديع: المبدع، وهو الخالق المخترع لا عن مثال سابق "[٣]، وبنحو ذلك أيضاً فسر اسم الله **المبدئ** فقال: " هو الّذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداءً من غير سابق مثالٍ"[٤].

٢- اسم الله البارئ: يقول ابن الأثير: " **البارئ:** هو الذي خلق الخلق لا عن مثال، إلا أن لهذه اللفظة من الاختصاص بالحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات، وقلما تستعمل في غير الحيوان، فيقال: برأ الله النسمة، وخلق السموات والأرض "[٥].

٣- اسم الله المصور: قال ابن الأثير: " **المصوّر:** هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، ومعنى التصوير: التخطيط والتشكيل "[٦]، وقال في موضع أخر: " المصوّر: هو الّذي صوّر جميع الموجودات ورتّبها، فأعطى كلّ شيءٍ منها صورة خاصّةً، وهيئةً منفردةً يتميّز بها على اختلافها وكثرتها "[٧].

وكذلك من أدلة توحيد الربوبية التي ذكرها ابن الأثير حديث ابن عباس رضي الله عنهما " **أنّ رسول الله ﷺ، كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ: «اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ**

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٢١٣).

(٢) النهاية (ص: ٢٨١).

(٣) جامع الأصول (١٧٢/٤).

(٤) النهاية (ص: ٦٥)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٨٠).

(٥) جامع الأصول (١٧٧/٤).

(٦) المصدر السابق (١٧٧/٤).

(٧) النهاية (ص: ٥٢٩).

حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَأَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ "[١].

قال ابن الأثير في شرح هذا الحديث: " وفي روايةٍ " **قيّم**"[٢] وفي أخرى " **قيّوم**"[٣]: وهي من أبنية المبالغة، وهي من صفات الله تعالى، ومعناها: القائم بأمور الخلق، ومدبّر العالم في جميع أحواله "[٤]، ثم قال: " والقيّوم: من أسماء الله تعالى المعدودة، وهو القائم بنفسه مطلقاً لا بغيره، وهو وهو مع ذلك يقوم به كلّ موجودٍ، حتّى لا يتصوّر وجود شيءٍ ولا دوام وجوده إلّا به "[٥].

وعند شرحه لاسم الله الحق الوارد في الحديث السابق قال: " هو الموجود حقيقة المتحقّق وجوده وإلهيّته "[٦].

يقول القرطبي[٧]: " وهذا الوصف لله تعالى بالحقيقة إذ وجوده لنفسه لم يسبقه عدمٌ ولا يلحقه عدمٌ، وما عداه ممّا يقال عليه هذا الاسم مسبوقٌ بعدمٍ، ويجوز عليه لحاق العدم، ووجوده من موجده لا من نفسه "[٨].

فهذه بعض أدلة[٩] توحيد الربوبية من القرآن والحديث مما تعرض له وأشار إليه الإمام ابن الأثير رحمه الله.

---

(١) أخرجه مسلمٌ في صحيحه، كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل، حديث رقم١٦٩٢، (ص: ٣٥٤).

(٢) أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه بالليل، حديث رقم٦٣١٧، (٢٤١/٤).

(٣) أخرجها الإمام الدارمي في مسنده (٩٣٢/٢)، وقال المحقق حسين سليم أسد: إسناده صحيح. والإمام البخاري في خلق أفعال العباد (ص: ١١٩).

(٤) النهاية (ص: ٧٨٢).

(٥) المصدر السابق (ص: ٧٨٢).

(٦) المصدر السابق (ص:٢٢٠).

(٧) هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي صاحب كتاب "التذكرة "التذكرة بأمور الآخرة"، والجامع لأحكام القرآن، وكان إماما علما، من الغوّاصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل. توفي ٦٧١هـ. انظر: شذرات الذهب (٧/ ٥٨٤)، والأعلام (٣٢٢/٥).

(٨) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي– أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي– تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش– دار الكتب المصرية، القاهرة– ط٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م – (٣٣٦/٨).

(٩) أدلة توحيد الربوبية من الكتاب والسنة كثيرةٌ جداً، وقد بين القرآن وكذلك السنة هذا النوع أشد بيان، فلا تكاد سورة من سور القرآن تخلو عن ذكر هذا النوع من توحيد الربوبية، أو الإشارة إليه، فهو كالأساس بالنسبة لأنواع التوحيد الأخرى، وما ورد في السمع من أدلة توحيد الربوبية إنما هو لبيان استحقاق الله تعالى للعبادة وحده دون سواه، فتقرير توحيد الربوبية، وأنه لا خالق إلا الله، يستلزم ألا يعبد الإنسان إلا الله، لان الخالق المدبر المالك، هو الجدير وحده بالعبادة، وهو المستحق وحده للحمد، والشكر، والذكر، والدعاء، والرجاء، وغير ذلك من أنواع العبادة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ

(٢٢) ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٣]. انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٦٠-٦٢)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص: ٧٩) وما بعدها، والإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه) للدكتور محمد نعيم ياسين– دار التوزيع والنشر الإسلامية (ص: ٨) وما بعدها.

## المبحث الثالث: منهج ابن الأثير في توحيد الأسماء والصفات.

توحيد الأسماء والصفات هو أحد أنواع التوحيد الثلاثة، وأحد قسمي توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي الخبري.

ومدار هذا التوحيد على إثبات الاسماء الحسنى والصفات العلى لله رب العالمين، وتفرده بها من غير تكييف[١]، ونفي التحريف[٢] والتعطيل[٣] والتمثيل[٤] والتشبيه[٥] عنها، وتنزيهه سبحانه عن سبحانه عن كل نقص وعن كل عيب[٦].

ومعلومٌ أن الإمام ابن الأثير رحمه الله من العلماء الذين اشتهروا في بيان غريب ومعاني أحاديث النبي ﷺ، وتعرض في أثناء ذلك إلى شرح وبيان الأحاديث التي تتضمن أسماء الله وصفاته، وكان له رأي في مباحث الأسماء والصفات، ولما كان كلامه في ذلك مفرقاً في جميع مصنفاته اقتضى بيان منهجه في هذا الباب تتّبع ما ذكره عن كل مسألة فيه وضم بعضه إلى بعض، على أن تكون المسائل المتعلقة بالأسماء في مطلب، والمسائل المتعلقة بالصفات في مطلب آخر، مع بيان ما وافق فيه السلف أو ما خالفهم فيه إن كانت المسألة تحتمل ذلك، وأسأل الله التوفيق والسداد.

---

(١) التكييف: هو حكاية كيفية الصفة وأنها على هيئة كذا وكذا، أو السؤال عنها بكيف.

(٢) التحريف لغة: التغيير، مأخوذ من قولهم: حرفت الشئ عن وجهه حرفا إذا أملته وغيرته.

انظر: لسان العرب (٩/ ٤٣) مادة ( ح ر ف).

اصطلاحا: تغيير النص لفظا أو معنى، فالتحريف اللفظي مثل: نصب لفظ الجلالة في قوله تعالى:" وكلم الله موسى تكليما" ليكون التكليم من موسى، والتحريف المعنوي مثل: تحريف معنى اليدين المضافتين إلى الله بالنعمة أو القدرة وغير ذلك.

(٣) التعطيل لغة: مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ. انظر: لسان العرب (١١/ ٤٥٤) مادة ( ع ط ل) واصطلاحا: إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضه.

(٤) التمثيل: هو إثبات مثيل للشئ.

(٥) التشبيه: هو إثبات مشابه للشئ.

والفرق بين التشبيه والتمثيل أن التشبيه يقتضي المشابهة والمساواة في أكثر الصفات، والتمثيل يقتضي المماثلة والمساواة من كل وجه، وقد يطلق أحدهما على الآخر. انظر: هذه التعريفات من شرح العقيدة الواسطية- خليل حسن هرّاس- ضبط نصه وخرّج أحاديثه: علوي بن عبد القادر السقاف- دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر- ط٣، ١٤١٥ هـ- (ص: ٦٦- ٦٩)، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية للعثيمين- محمد بن صالح بن محمد العثيمين- دار الوطن للنشر، الرياض (ص: ١٨، ١٩)، التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية- فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري- مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- ط٣، ١٤١٣هـ- (١/ ٢٦).

(٦) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٨، ٤٩).

**المطلب الأول: منهج ابن الأثير في أسماء الله تعالى:**

عرض ابن الأثير رحمه الله لبعض المسائل المتعلقة بأسماء الله تعالى، كما أنه شرح بعضها وبين رأيه فيها، وبيان ذلك كله في المسائل التالية:

**المسألة الأولى: بيان المراد بإحصاء أسماء الله تعالى الوارد في الحديث:**

ذكر ابن الأثير رحمه الله عند حديثه عن اسم الله الأعظم وأسمائه الحسنى حديث أبا هريرة رضي الله عنه[1] والذي فيه، قال رسول الله ﷺ: " **إنّ لله تسعةً وَتِسْعِينَ[2]اسْمَاً، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنّة، وَاللهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ**"[3]. وفي رواية: " **مَنْ أَحْصَاهَا** "[4]، تم تكلم عن معنى الإحصاء في هذا الحديث وذكر الأقوال في ذلك دون أن يرجح، أو دون أن ينتقد، بل في كتابه جامع الأصول قال: " الإحصاء: العدد والحفظ، والمراد: من حفظها على قلبه، ثم قال: وقيل: ....، وقيل: ... فذكر أقوالاً أخرى "[5]، وفي كتابه النهاية في غريب الحديث والأثر قال: " من أحصاها: أي من أحصاها علماً بها وإيمانًا، ثم قال: وقيل: ....، وقيل: ... وذكر أقوالاً أخرى[6]" ففي الموضعين لم يكن رأيه واحداً في بيان المراد، حتى يجزم أنه هو رأيه الذي يتبناه.

وأما بقية الآراء التي ذكرها ابن الأثير عند شرحه للحديث فعند ضمها إلى بعضها من المواضع المختلفة تكون كالتالي[7]:

---

(١) انظر: جامع الأصول ٤/ ١٧٣.

(٢) استدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن أسماء الله تعالى محصورة في هذا العدد، وخالفهم في ذلك كثير، بل إن الإمام النووي رحمه الله نقل اتفاق العلماء على أن أسماء الله تعالى ليست محصورة في هذا العدد فقال:" اتّفق العلماء على أنّ هذا الحديث ليس فيه حصرٌ لأسمائه سبحانه وتعالى فليس معناه أنّه ليس له أسماءٌ غير هذه التّسعة والتّسعين وإنّما مقصود الحديث أنّ هذه التّسعة والتّسعين من أحصاها دخل الجنّة فالمراد الإخبار عن دخول الجنّة بإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ولهذا جاء في الحديث الآخر أسألك بكلِّ اسمٍ سمّيت به نفسك أواستأثرت به في علم الغيب عندك". شرح صحيح مسلم (٥/١٧). والذي قاله الإمام النووي هو الذي رجحه كثير من العلماء انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧٤/٦)، ومجموع فتاوى العثيمين (١٢٢/١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم٦٧٠٤، (ص: ١٣١٨).

(٤) أخرجها البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، حديث رقم ٧٣٩٢، ٥٣٧/٤، ومسلمٌ في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم٦٧٠٥، (ص: ١٣١٩).

(٥) جامع الأصول (٤/ ١٧٥).

(٦) النهاية (ص: ٢١٣).

(٧) انظر: جامع الأصول (١٧٦/٤)، والنهاية (ص: ٢١٣) .

١_ قيل: المراد: من استخرجها من كتاب الله تعالى وأحاديث رسوله ﷺ، لأنّ النّبيّ ﷺ لم يعدّها لهم، ولهذا لم ترد مسرودة معدودة من هذه الكتب الستة إلا في " كتاب الترمذي[١] "[٢] وتكلّموا فيها.

---

(١) هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي نسبة إلى ترمذ، الضرير، الحافظ، العلم، الإمام، البارع، من مصنفاته: الجامع والمشهور بسنن الترمذي، وكتاب (العلل)، والشمائل، وغير ذلك كثير، قيل: ولد أعمى، والصحيح أنه أضر في كبره، بعد رحلته وكتابته العلم، توفي ٢٧٩هـ رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠)، ووفيات الاعيان (٢٧٨/٤).

(٢) أخرجها الترمذي في سننه كتاب أبواب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، حديث رقم٣٥٠٧، (ص: ٧٩٦)، من طريق الوليد بن مسلم أخبرنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن أبي الأعرج عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِئَةً غَيْرَ وَاحِدَةٍ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إلا هُوَ الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلامُ، الْمُؤْمِنُ، الْمُهَيْمِنُ، الْعَزِيزُ، الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، الْغَفَّارُ، الْقَهَّارُ، الْوَهَّابُ، الرَّزَّاقُ، الْفَتَّاحُ، الْعَلِيمُ، الْقَابِضُ، الْبَاسِطُ، الْخَافِضُ، الرَّافِعُ، الْمُعِزُّ، الْمُذِلُّ، السَّمِيعُ، الْبَصِيرُ، الْحَكَمُ، الْعَدْلُ، اللَّطِيفُ، الْخَبِيرُ، الْحَلِيمُ، الْعَظِيمُ، الْغَفُورُ، الشَّكُورُ، الْعَلِيُّ، الْكَبِيرُ، الْحَفِيظُ، الْمُقِيتُ، الْحَسِيبُ، الْجَلِيلُ، الْكَرِيمُ، الرَّقِيبُ، الْمُجِيبُ، الْوَاسِعُ، الْحَكِيمُ، الْوَدُودُ، الْمَجِيدُ، الْبَاعِثُ، الشَّهِيدُ، الْحَقُّ، الْوَكِيلُ، الْقَوِيُّ، الْمَتِينُ، الْوَلِيُّ، الْحَمِيدُ، الْمُحْصِي، الْمُبْدِئُ، الْمُعِيدُ، الْمُحْيِي، الْمُمِيتُ، الْحَيُّ، الْقَيُّومُ، الْوَاجِدُ، الْمَاجِدُ، الْوَاحِدُ، الصَّمَدُ، الْقَادِرُ، الْمُقْتَدِرُ، الْمُقَدِّمُ، الْمُؤَخِّرُ، الأَوَّلُ، الآخِرُ، الظَّاهِرُ، الْبَاطِنُ، الْوَالِي، الْمُتَعَالِي، الْبَرُّ، التَّوَّابُ، الْمُنْتَقِمُ، الْعَفُوُّ، الرَّءُوفُ، مَالِكُ الْمُلْكِ، ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، الْمُقْسِطُ، الْجَامِعُ، الْغَنِيُّ، الْمُغْنِي، الْمَانِعُ، الضَّارُّ، النَّافِعُ، النُّورُ، الْهَادِي، الْبَدِيعُ، الْبَاقِي، الْوَارِثُ، الرَّشِيدُ، الصَّبُورُ.** " ، وقال الألباني في المصدر نفسه:" ضعيف بسرد الاسماء" ، وقد ورد أيضا تفصيل التسعة والتسعين اسما المذكورة في الحديث من طريقين أخريين:

الاولى: أخرجها ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب أسماء الله عز وجل، حديث رقم٣٨٦١، (ص: ٦٣٦)، من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني ثنا زهير بن محمج التميمي ثنا موسى بن عقبة حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة به مع اختلاف في سرد الأسماء ونقص وتقديم وتأخير. وقد ضعف الألباني رحمه الله هذه الطريق في المصدر نفسه.

الثانية: أخرجها الحاكم في المستدرك (٦٣/١) من طريق خالد بن مخلد القطواني ثنا عبد العزيز بن حصين بن الترجمان ثنا أيوب السختياني وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ به.قال الحاكم: عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان ثقة وإن لم يخرجاه.

فتعقبه الذهبي بقوله: بل ضعفوه. وقد تكلم على حديث سرد الأسماء أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٩)، فقال: " فالحديث الّذي فيه ذكر ذلك – أي أسماء الله الحسنى – هو حديث التّرمذيّ روى الأسماء الحسنى في " جامعه " من حديث الوليد بن مسلمٍ عن شعيبٍ عن أبي الزّناد عن الأعرج عن أبي هريرة ورواها ابن ماجه في سننه من طريق مخلد بن زيادٍ القطواني؛ عن هشام بن حسّانٍ عن محمّد بن سيرين عن أبي هريرة. وقد اتّفق أهل المعرفة بالحديث على أنّ هاتين الرّوايتين ليستا من كلام النّبيّ ﷺ وإنّما كلٌّ منهما من كلام بعض السّلف فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشّاميّين كما جاء مفسّرًا في بعض طرق حديثه ".اهـ.

فخلاصة كلام العلماء أن تفصيل الأسماء زيادة مدرجة في الحديث ولا يصح رفعها.

٢_ وقيل: المراد: من أخطر بباله عند ذكرها معناها، وتفكّر في مدلولها معظّماً لمسمّاها، ومقدّساً لذات الله تعالى، معتبراً بمعانيها، ومتدبّراً راغباً فيها وراهباً.

٣_ وقيل: أراد من أطاق العمل بمقتضاها، مثل من يعلم أنّه سميعٌ بصيرٌ فيكفّ لسانه وسمعه عمّا لا يجوز له، وكذلك باقي الأسماء.

ثم قال وبالجملة ففي كلّ اسمٍ يجريه على لسانه يخطر بباله الوصف الدّالّ عليه.

هذا ما ذكره الإمام ابن الأثير من الأقوال في بيان المراد بإحصاء أسماء الله تعالى كما ورد في الحديث، وأغلبها متقاربة، ويمكن رد بعضها إلى بعض، وهي تتضمن المفهوم الأكمل للإحصاء، وأن للعبد من الثواب قدر ما بلغ منها في الإحصاء مع إخلاص النية لله تعالى.

وكل ذلك لا يمنع أن يكون المعنى الراجح للإحصاء هو الحفظ، كما فسره به الإمام البخاري[١]رحمه الله[٢].

**المسألة الثانية: شرح ابن الأثير بعض أسماء الله تعالى:**

تعرض الإمام ابن الأثير رحمه الله في كتبه لشرح جملة كبيرة من أسماء الله الحسنى التي ورد ذكرها في الأحاديث، وكان شرحه يتسم بالاختصار وعدم الإطالة، فقد يذكر الاسم ولا يبين له إلا معنىً واحداً، وهو إما يكون موافقاً لأهل السنة في شرحها وإما يكون مخالفاً، وسوف يتم التعليق فقط على ما خالف فيه أهل السنة أو ما عليه ملاحظات، وقد بلغ عدد هذه الأسماء التي شرحها أكثر من تسعين اسماً، وبيان ذلك فيما يلي:

**١، ٢_ الأحد والواحد:**

قال ابن الأثير في تعريف اسم الله الاحد: " هو الفرد الّذي لم يزل وحده ولم يكن معه آخر "[٣].

وأما عن تعريف اسم الله الواحد فقد ذكر فيه أكثر من تعريف فقال: " الواحد هو الفرد الّذي لم يزل وحده؛ ولم يكن معه آخر... ثم قال: " وقيل: الواحد: هو الّذي لا يتجزّأ، ولا يثنّى، ولا يقبل الانقسام، ولا نظير له ولا مثل "[٤].

وقال: " وقيل: هو منقطع القرين والشريك "[٥].

---

(١) هو: أبو عبد الله البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة بن بردزبه، أمير المؤمنين في الحديث، صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله، وصاحب التاريخ الكبير، وغيره كثير، نشأ يتيما، وولد كفيفا، ورد الله عليه بصره، طاف البلدان، وسبقته شهرته، توفي رحمه الله سنة ٢٥٦هـ، بعد محنة تعرض لها من أقرانه. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩١)

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، حديث رقم ٦٤١٠، (٤/٥٣٧).

(٣) النهاية (ص: ٢٨).

(٤) المصدر السابق (ص: ٩٦٢).

(٥) جامع الاصول (٤/ ١٨٠).

وفي بيان الفرق بين اسم الله الاحد واسم الله الواحد قال ابن الأثير: " والفرق بينه وبين الواحد، أن (أحداً) بني لنفي ما يذكر معه من العدد، فهو يقع على المذكر والمؤنث، يقال: ما جاءني أحد، أي: ذكر ولا أنثى، وأما (الواحد) فإنه وضع لمفتتح العدد، تقول: جاءني واحد من الناس، ولا تقول فيه: جاءني أحد من الناس، والواحد: بني على انقطاع النظير والمثل، والأحد: بني على الانفراد والوحدة عن الأصحاب، فالواحد منفرد بالذات، والأحد منفرد بالمعنى "(١).

**٣، ٤_ الآخر والمؤخر:**

قال ابن الأثير: " في أسماء الله تعالى الآخر والمؤخر: هو الباقي بعد فناء خلقه كلّه ناطقه وصامته، والمؤخّر: هو الّذي يؤخّر الأشياء فيضعها في مواضعها، وهو ضد المقدّم "(٢).

وقال في موضع آخر: " المؤخر: الذي يؤخر الأشياء إلى أماكنها، فمن استحق التقديم قدّمه، ومن استحق التأخير أخره "(٣).

**٥- المبدئ:**

قال ابن الأثير: " في أسماء الله تعالى المبدئ: هو الّذي أنشأ الأشياء واخترعها ابتداءً من غير سابق مثالٍ "(٤).

بناءً على تضعيف العلماء لرواية الإمام الترمذي رحمه الله كما سبق(٥) فإن اسم المبدئ ليس ليس من أسماء الله تعالى لأنه لم يرد به كتاب ولا سنة صحيحة وأسماء الله تعالى توقيفية إنما تثبت بالوحي من القرآن والسنة الصحيحة.

أما قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[الروم: ١١]"، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ﴾ [العنكبوت: ١٩]؟، فهذه أفعال الله جل وعلا، ولو أراد الإنسان أن يتتبع أفعال الله جل وعلا التي وردت ثم يشتق منها أسماء لجمع من ذلك عدداً كبيراً، قال في إيثار الحق: " ... وأما المشتقات من الأفعال الربانية الحميدة فلا تحصى، وقد جمع بعضهم منها ألف اسم "(٦).

فلذلك يشترط في إثبات الأسماء لله تعالى وتسميته بها شرطان:

**الأول:** ورود النص من القرآن والسنة الصحيحة بذلك الاسم.

**الثاني:** صحة إطلاق هذا الاسم على الله تعالى فلا يشتق له من أفعاله أسماء، قال ابن القيم: " ... أطلق الله على نفسه أفعالًا لم يتسمّ منها بأسماء الفاعل، كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسمّ بالمريد والشّائي والمحدث، كما لم يسمّ نفسه بالصّانع والفاعل والمتقن وغير ذلك من الأسماء

---

(١) جامع الأصول (٤/ ١٨٠).

(٢) النهاية (ص: ٢٨).

(٣) جامع الأصول (٤/ ١٨١)

(٤) النهاية (ص: ٦٥)، وانظر: جامع الأصول (١٨٠/٤).

(٥) انظر: (ص: ٣٧).

(٦) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد- محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، أبو عبد الله، عز الدين اليمني- دار الكتب العلمية ، بيروت- ط٢، ١٩٨٧م- (ص: ١٦٣).

الّتي أطلق على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء، وقد أخطأ – أقبح خطأٍ – من اشتقّ له من كلّ فعلٍ اسمًا، وبلغ بأسمائه زيادةً على الألف، فسمّاه الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد ونحو ذلك "[١].

**٦- البديع:**

قال ابن الأثير: " في أسماء الله تعالى البديع: هو الخالق المخترع لا عن مثال سابقٍ، فعيل بمعنى مفعل "[٢].

**٧-البارئ:**

قال ابن الأثير: " في أسماء الله تعالى البارئ: هو الّذي خلق الخلق لا عن مثالٍ، ولهذه اللّفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات، وقلّما تستعمل في غير الحيوان، فيقال برأ الله النسمة، وخلق السموات والأرض "[٣].

**٨- البرّ:**

قال ابن الأثير: " في أسماء الله تعالى " البرّ" هو العطوف على عباده ببرّه ولطفه، والبرّ والبارّ بمعنًى، وإنّما جاء في أسماء الله تعالى البرّ دون البارّ"[٤].

**٩، ١٠_ الباسط والقابض:**

قال ابن الأثير: " في أسماء الله تعالى " الباسط" هو الّذي يبسط الرّزق لعباده ويوسّعه عليهم بجوده ورحمته، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة "[٥].

وقال في تعريف اسم الله القابض: " في أسماء الله تعالى " القابض" هو الّذي يمسك الرّزق وغيره من الأشياء عن العباد بلطفه وحكمته، ويقبض الأرواح عند الممات "[٦].

**١١- البصير:**

قال ابن الأثير:"في أسماء الله تعالى" البصير" هو الّذي يشاهد الأشياء كلّها ظاهرها وخافيها بغير جارحةٍ، والبصر في حقّه عبارةٌ عن الصّفة الّتي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات "[٧].

الذي يظهر[٨] من كلام ابن الأثير في تعريفه لاسم الله البصير هو نفيه لصفة العين لله تبارك وتعالى، وتأويلها وأنها ليست على الحقيقة، وتأويله هذا باطل من عدة أوجه:

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٣٨٣).

(٢) النهاية (ص: ٦٧)، وانظر جامع الأصول (١٨١/٤).

(٣) النهاية (ص: ٦٩)، وانظر جامع الأصول (١٧٨/٤).

(٤) النهاية (ص: ٧٢)، وانظر جامع الأصول (١٨٢/٤).

(٥) النهاية (ص: ٧٧)، وانظر جامع الأصول (١٧٨/٤).

(٦) النهاية (ص: ٧٢٨)، وانظر جامع الأصول (١٧٨/٤).

(٧) النهاية (ص: ٧٩).

(٨) في مواضع أخرى نص ابن الأثير غفر الله له على نفي هذه الصفة، وأنها تطلق على الله من قبيل المجاز؛ فعند بيانه لمعنى أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن قال: "الأصابع: جمع أصبع، وهي الجارحة.

**الأول:** أن صفة العين لله صفة ذاتية ثابتة بالكتاب والسنة الصحيحة من كلام النبي ﷺ.

أما من الكتاب: فمنه قوله تعالى: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ﴿١٣﴾ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٣، ١٤].

أما من السنة: فمنه حديث رسول الله ﷺ عندما ذكر عنده الدجال فقال: " **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ – وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَيْنِهِ – وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ** "[١].

فظواهر هذه النصوص يثبت لله تعالى صفة العين، ويمنع تأويلها، ومن أقوال علماء أهل السنة في ذلك:

١_ قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى ( تجري بأعيننا): " أي: بعين الله ووحيه كما يأمرك "[٢].

٢_ وقال ابن خزيمة[٣] رحمه الله بعد ذكره لبعض النصوص السابقة: " فواجبٌ على كلّ مؤمنٍ أن يثبت لخالقه وبارئه ما ثبّت الخالق البارئ لنفسه، من العين، وغير مؤمنٍ من ينفي عن الله تبارك وتعالى ما قد ثبّته الله في محكم تنزيله، ببيان النّبيّ ﷺ الّذي جعله الله مبيّنًا عنه، عزّ وجلّ، في قوله: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾ [النحل: ٤٤]، فبيّن النّبيّ ﷺ أنّ لله عينين، فكان بيانه موافقًا لبيان محكم التّنزيل، الّذي هو مسطورٌ بين الدّفّتين، مقروءٌ في المحاريب والكتاتيب "[٤].

٣_ وقال الشيخ العثيمين: " مذهب أهل السنة والجماعة: أن لله عينين اثنتين، ينظر بهما حقيقة على الوجه اللائق به، وهما من الصفات الذاتية الثابتة بالكتاب والسنة "[٥].

---

وذلك من صفات الأجسام، تعالى الله عز وجل عن ذلك وتقدس. وإطلاقها عليه مجاز كإطلاق اليد، واليمين، والعين، والسمع". النهاية (ص: ٥٠٧).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله ولتصنع على عيني، وقوله جل ذكره تجري باعيننا، حديث رقم٧٤٠٤، (٥٤٠/٤).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ٣٠٨).

(٣) هو: محمد بن إسحاق بن خزيمة بن صالح بن بكر السلمي الحافظ، الحجة، الفقيه، إمام الأئمة، أبو بكر السلمي النيسابوري، الشافعي، عني في حداثته بالحديث والفقه، حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان، من مصنفاته: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل، وصحيح ابن خزيمة، وغيرهما كثير، توفي رحمه الله سنة ٣١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٥).

(٤) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح النيسابوري- تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان- مكتبة الرشد، الرياض- ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م- (١/ ٩٧)

(٥) تلخيص الحموية (ص: ٧١).

فهذه النصوص وغيرها الواردة عن سلف الأمة وأئمتها تبين اتفاقهم على إثبات صفة العين لله جل وعلا كما وردت في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

**الثاني:** أن قوله عليه الصلاة والسلام: " **إن الله ليس بأعور**" دليل قاطع على إثبات العينين لله تبارك وتعالى، يقول في ذلك الإمام الدارمي(١) رحمه الله: " ففي تأويل رسول الله ﷺ: " **إنّ الله ليس بأعور**" بيانٌ أنّه بصيرٌ ذو عينين خلاف الأعور"(٢)، ويزيد ذلك وضوحاً إشارته عليه الصلاة والسلام إلى عينه لتحقيق الوصف، يعني أن لله عينين كاملتين سالمتين من كل عيب بخلاف الدجال الفاقد لأحد عينيه، فلما نفيت هذه الصفة لزم ثبوت كمال ضدها وهو وجود العينين لله تبارك وتعالى(٣).

- **تنبيه هام:**

جاءت صفة العين في القرآن الكريم مضافة إلى الله سبحانه وتعالى بصيغتين:

١- صيغة الإفراد، مضافة إلى ضمير المفرد مثل قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه: ٣٩]

٢- صيغة الجمع، مضافة إلى ضمير الجمع مثل قوله تعالى:﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وقوله : ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود: ٣٧].

فقوله تعالي:(على عيني)، لا يدل على عين واحدة، وقوله: (بأعيننا)، لا يدل على أعين كثيرة، بل كل موضع يفسر بحسبه، وذلك أن لفظ العين إذا أضيف إلى اسم جمع ظاهر، أو مضمر فالأحسن جمعه مشاكلة للفظ، كما قال تعالى: ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنبياء : ٦١].

قال ابن القيم رحمه الله: " فذكر العين المفردة مضافة إلى الضمير المفرد، والأعين مجموعة مضافة إلى ضمير الجمع، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة ليس إلا، كما يقول القائل: أفعل هذا على عيني، وأجيئك على عيني، وأحمله على عيني، ولا يريد به أن له عينا واحدة، فلو فهم أحد هذا من ظاهر كلام المخلوق لعد أخرق، وأما إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع

---

(١) هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل ابن بهرام بن عبد الله، الحافظ، الإمام، أحد الأعلام، أبو محمد التميمي، ثم الدارمي، السمرقندي، سلفي العقيدة، له كتاب هام ومفيد في الرد على بشر المريسي في الأسماء والصفات، وله كتاب السنن، أو المسند، توفي سنة ٢٥٥هـ، يوم التروية بعد العصر، ودفن يوم عرفة، يوم الجمعة، وهو ابن خمس وسبعين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٢٤)، وشذرات الذهب (٣/٢٤٥).

(٢) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد- أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي- تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي- مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م- (١/ ٣٢٧).

(٣) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- عبد الله بن محمد الغنيمان- مكتبة الدار، المدينة المنورة- ط١، ١٤٠٥ هـ- (١/ ٢٨٥).

ظاهرا، أو مضمرا فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ كقوله: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ القمر: ١٤، وقوله: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ هود: ٣٧ "[١].

**١٢، ١٣_ الباطن والظاهر:**

قال ابن الأثير: " في أسماء الله تعالى " الباطن " هو المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامهم فلا يدركه بصرٌ ولا يحيط به وهمٌ، وقيل هو العالم بما بطن، يقال: بطنت الأمر إذا عرفت باطنه "[٢].

وقال في تعريف اسم الله الظاهر:" في أسماء الله " الظّاهر" هو الّذي ظهر فوق كلّ شيءٍ وعلا عليه، وقيل: هو الّذي عرف بطرق الاستدلال العقلي بما ظهر لهم من آثار أفعاله وأوصافه "[٣].

**١٤- الباعث:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الباعث " هو الّذي يبعث الخلق، أي يحييهم بعد الموت يوم القيامة "[٤].

الصحيح أن الباعث ليس من أسماء الله لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة[٥]، والذي ورد في القرآن إنما ورد بصيغة الفعل مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾ [المجادلة: ٦]، والأفعال لا يشتق منها أسماء كما سبق تقرير ذلك عند ذكر اسم المبدئ[٦].

**١٥- الباقي:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الباقي " هو الّذي لا ينتهي تقدير وجوده في الاستقبال إلى آخرٍ ينتهي إليه، ويعبّر عنه بأنّه أبديّ الوجود "[٧].

الباقي ليس اسما من أسماء الله لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة[٨]، والذي ورد في القرآن إنما ورد بصيغة الفعل مثل قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، والأفعال لا يشتق منها أسماء كما سبق[٩].

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله- دار العاصمة، الرياض- ط١، ١٤٠٨هـ- (٢٥٥/١).

(٢) النهاية (ص: ٨١٩، وانظر: جامع الأصول (١٨١/٤).

(٣) النهاية (ص: ٥٨٣)، وانظر: جامع الأصول (١٨١/٤).

(٤) النهاية (ص: ٨٢)، وانظر: جامع الأصول (١٧٩/٤).

(٥) ورد اسم الباعث في حديث الترمذي في تعداد أسماء الله، وقد سبق بيان ضعفه. انظر: (ص: ٣٧).

(٦) انظر: (ص: ٣٩).

(٧) النهاية (ص: ٨٦).

(٨) ورد اسم الباقي في حديث الترمذي في تعداد أسماء الله، وقد سبق بيان ضعفه. انظر: (ص: ٣٧).

(٩) انظر: (ص: ٣٩).

**١٦- الجامع:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الجامع " هو الّذي يجمع الخلائق ليوم الحساب، وقيل: هو المؤلّف بين المتماثلات، والمتباينات، والمتضادّات في الوجود "(١).

**١٧- الجبار:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى "الجبّار " ومعناه الّذي يقهر العباد على ما أراد من أمر ونهي، يقال: جبر الخلق وأجبرهم، وأجبر أكثر، وقيل هو العالي فوق خلقه، وفعّالٌ من أبنية المبالغة "(٢).

**١٨- ذو الجلال والإكرام:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " ذو الجلال والإكرام " الجلال: العظمه ... ومن أسماء الله تعالى "الجليل " وهو الموصوف بنعوت الجلال، والحاوي جميعها هو الجليل المّطلق، وهو راجع إلى كمال الصّفات "(٣).

**١٩- الحسيب:**

قال ابن الأثير رحمه الله:" في أسماء الله تعالى "الحسيب " هو الكافي، فعيل بمعنى مفعل، من أحسبني الشيء: إذا كفاني"(٤).

**٢٠- الحق:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى "الحقّ " هو الموجود حقيقة المتحقّق وجوده وإلهيّته، والحقّ: ضدّ الباطل"(٥).

**٢١،٢٢_ الحكم والحكيم:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الحكم والحكيم " هما بمعنى الحاكم، وهو القاضي "(٦).

وفي موضع آخر قال: " " الحكم ": الحاكم وحقيقته: الذي سلّم له الحكم ورد إليه "(٧).

وقال في تعريف اسم الله الحكيم: " والحكيم فعيلٌ بمعنى فاعلٍ، أو هو الّذي يحكم الأشياء ويتقنها، فهو فعيلٌ بمعنى مفعلٍ، وقيل: الحكيم: ذو الحكمة، والحكمة عبارةٌ عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصّناعات ويتقنها: حكيم "(٨).

---

(١) النهاية (ص: ١٦٤)، وانظر: جامع الاصول (١٨٢/٤).

(٢) النهاية (ص: ١٣٦)، وانظر: جامع الاصول (١٧٧/٤).

(٣) النهاية (ص: ١٦١)، قال ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٨٦): " وقوله (تبارك اسم ربّك) يقول تعالى ذكره: تبارك تبارك ذكر ربك يا محمد، (ذي الجلال) : يعني ذي العظمة، (والإكرام) يعني: ومن له الإكرام من جميع خلقه".

(٤) النهاية (ص: ٢٠٦). وانظر: جامع الأصول (١٨٠/٤).

(٥) النهاية (ص:٢٢٠). وانظر: جامع الأصول (١٧٩/٤).

(٦) النهاية (ص: ٢٢٢).

(٧) جامع الأصول (١٧٨/٤).

(٨) النهاية (ص: ٢٢٣).

**٢٣- الحليم:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الحليم " هو الّذي لا يستخفّه شيء من عصيان العباد ولا يستفزّه الغضب عليهم، ولكنّه جعل لكلّ شيءٍ مقدارًا فهو منتهٍ إليه "[١].

وعند بيانه لمعنى اسم الصبور قال: " فمعنى الصبور في صفة الله تعالى قريب من معنى الحليم، إلا أن الفرق بين الأمرين أنهم لا يأمنون العقوبة في صفة الصبور، كما يأمنون منها في صفة الحليم "[٢].

**٢٤- الحميد:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الحميد " أي المحمود على كل حال، فعيل بمعنى مفعول "[٣].

وقال في موضع آخر: " الحميد: المحمود الذي استحق الحمد بفعله، وهو فعيل بمعنى مفعول "[٤].

"[٤].

**٢٥- الحنّان:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الحنّان " هو بتشديد النّون: الرّحيم بعباده، فعّال، من الرّحمة للمبالغة "[٥].

الصحيح أن الحنان ليس من أسماء الله لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة[٦].

---

(١) النهاية (ص: ٢٢٩).

(٢) جامع الأصول (٤/ ١٨٣)، وسيأتي الحديث عن اسم الصبور وما عليه من ملاحظات.

(٣) النهاية (ص: ٢٣١).

(٤) جامع الأصول (٤/ ١٨٠).

(٥) النهاية (ص: ٢٣٨).

(٦) حصل خلاف بين العلماء في صحة هذا الاسم الوارد في بعض الأحاديث، والذي عليه أكثر المحققين من العلماء هو تضعيف هذه اللفظة، وهذه الأحاديث هي:

حديث أنسٍ بن مالك رضي الله عنه قال: " كنت جالسًا مع رسول الله ﷺ في الحلقة، ورجلٌ قائمٌ يصلّي. فلمّا ركع وسجد جلس وتشهّد، ثمّ دعا، فقال: اللهمّ إنّي أسألك بأنّ لك الحمد لا إله إلّا أنت، الحنّان، بديع السّماوات والأرض..." أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٠/ ٦١)، ولفظة الحنان قد ذكرت في بعض النسخ كما أشار إلى ذلك محقق المسند، وقد حكم الشيخ الألباني رحمه الله عليها بالشذوذ. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني- دار المعارف، الرياض - ط١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م- (١٢١١/٧).

وعن أنس، عن النّبيّ ﷺ قال:" إنّ عبدًا في جهنّم لينادي ألف سنةٍ: يا حنّان، يا منّان، قال: " فيقول الله لجبريل: اذهب فأتني بعبدي هذا..." أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢١/ ٩٩)، وابن خزيمة في التوحيد (٧٤٩/٢)، وغيرهما، وقال الألباني في الضعيفة:" ضعيف جداً" (٤٠٤/٣).

وورد ذكره في بعض طرق حديث تفصيل التسعة والتسعين اسما وقد مر معنا أن طرق الاحاديث في تفصيل الاسماء ضعيفة. انظر: (ص: ٣٧). ولمزيد بيان انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات- محمد بن خليفة التميمي- أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م- (ص: ٢٢٤)، والنهج الأسمى في شرح أسماء الله

**٢٦- الخبير:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الخبير " هو العالم بما كان وبما يكون، خبرت الأمر أخبره إذا عرفته على حقيقته "[(١)].

**٢٧،٢٨_ الخافض والرافع:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الخافض " هو الّذي يخفض الجبّارين والفراعنة: أي يضعهم ويهينهم، ويخفض كلّ شيءٍ يريد خفضه، والخفض ضدّ الرّفع، ومنه الحديث " **إنّ الله يخفض القسط ويرفعه** "[(٢)] القسط: العدل ينزله إلى الأرض مرّة ويرفعه أخرى "[(٣)].

وقال في شرح اسم الرافع: " في أسماء الله تعالى " الرّافع " هو الّذي يرفع المؤمنين بالإسعاد، وأولياءه بالتّقريب، وهو ضدّ الخفض "[(٤)].

وقال في موضع آخر: " " الرافع ": هو الذي يرفع أولياءه ويعزهم، فهو الجامع بين الإعزاز والإذلال "[(٥)].

الخافض والرافع ليسا من أسماء الله لأنهما لم يردا في القرآن ولا في السنة الصحيحة[(٦)]، والذي قد ورد إنما ورد بصيغة الفعل كما في الحديث الذي ذكره ابن الأثير وكما في غيره، والأفعال لا يشتق منها أسماء كما سبق[(٧)].

**٢٩- الخالق:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الخالق " وهو الّذي أوجد الأشياء جميعها بعد أن لم تكن موجودة، وأصل الخلق التّقدير، فهو باعتبار تقدير ما منه وجودها، وباعتبار الإيجاد على وفق التّقدير خالقٌ "[(٨)].

**٣٠- الدّيان:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الدّيّان " قيل هو القهّار، وقيل هو الحاكم والقاضي، وهو فعّالٌ، من دان الناس: أي قهرهم على الطاعة، يقال دنتهم فدانوا: أي قهرتهم فأطاعوا "[(١)].

---

الحسنى- محمد الحمود النجدي- مكتبة الإمام الذهبي، الكويت- (٦٤/١) وقد رجح مؤلفه أن الحنان من أسماء الله وصحح الحديث الأول هناك.

(١) النهاية (ص: ٢٥٢)، وانظر جامع الأصول (١٧٨/٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان، بابٌ في قوله عليه السّلام: إنّ الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النّور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، حديث رقم٣٣٤، (ص: ١٠٩).

(٣) النهاية (ص: ٢٧٤)، وانظر جامع الأصول (١٧٨/٤).

(٤) النهاية (ص: ٣٦٧).

(٥) جامع الأصول (١٧٨/٤).

(٦) ورد اسم الخافض والرافع في حديث الترمذي في تعداد أسماء الله، وقد سبق بيان ضعفه. انظر: (ص: ٣٧).

(٧) انظر: (ص: ٣٩).

(٨) النهاية (ص: ٢٨١).

**٣١- ذو المعارج:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " ذو المعارج " المعارج: المصاعد والدّرج، واحدها: معرج، يريد معارج الملائكة إلى السّماء، وقيل المعارج: الفواضل العالية، والعروج: الصّعود، عرج يعرج عروجاً "[٢]، وقال في موضع آخر: " ذا المعارج ": المعارج: المراقي والدرج، وهذا اللفظ من صفات الله تعالى، قال الله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾[المعارج: ٣] والمراد به: مصاعد السماء ومراقيها، أي: هو صاحبها "[٣].

**٣٢- الرّؤوف:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الرّءوف " هو الرحيم بعباده العطوف عليهم بألطافه، والرّأفة أرقّ من الرّحمة، ولا تكاد تقع في الكراهة، والرّحمة قد تقع في الكراهة للمصلحة، وقد رأفت به أرأف، ورؤفت أرؤف فأنا رءوفٌ "[٤].

**٣٣،٣٣_ الرّحمن والرحيم:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله "الرّحمن الرّحيم" وهما اسمان مشتقّان من الرّحمة، مثل ندمان ونديم، وهما من أبنية المبالغة، ورحمان أبلغ من رحيمٍ، والرّحمن خاصٌّ لله لا يسمّى به غيره، ولا يوصف، والرّحيم يوصف به غير الله تعالى، فيقال: رجلٌ رحيمٍ، ولا يقال رحمنٌ "[٥].

**٣٥- الرزاق:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الرّزّاق " وهو الّذي خلق الأرزاق وأعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها إليهم، وفعّال من أبنية المبالغة، والأرزاق نوعان: ظاهرةٌ للأبدان كالأقوات، وباطنة للقلوب والنّفوس كالمعارف والعلوم "[٦].

**٣٦- الرشيد:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الرّشيد " هو الّذي أرشد الخلق إلى مصالحهم: أي هداهم ودلّهم عليها، فعيل بمعنى مفعل، وقيل هو الّذي تنساق تدبيراته إلى غاياتها على سنن السّداد، من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدّد "[٧].

الصحيح أن الرشيد ليس من أسماء الله لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة[١].

---

(١) المصدر السابق (ص: ٣١٩).

(٢) النهاية (ص: ٦٠٢).

(٣) جامع الأصول (٣/ ٩٢)، وانظر: الشافي (٣/٤٣٠).

(٤) النهاية (ص: ٣٣٧)، وانظر جامع الأصول (٤/ ١٨٢).

(٥) النهاية (ص: ٣٥٢)، وانظر: منال الطالب في شرح طوال الغرائب- مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير- تحقيق: محمود محمد الطناحي- دار المأمون للتراث، دمشق- (ص:٤٥).

(٦) النهاية (ص: ٣٥٦).

(٧) النهاية (ص: ٣٥٩)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٨٣).

٣٧- **الرقيب:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الرّقيب " وهو الحافظ الّذي لا يغيب عنه شيءٌ، فعيلٌ بمعنى فاعلٍ "[٢].

٣٨- **السلام:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " السّلام " قيل معناه سلامته ممّا يلحق الخلق من العيب والفناء "[٣].

وقال في موضع آخر: " " السلام ": ذو السلام، أي: الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل آفة "[٤].

٣٩- **السميع:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " السّميع " وهو الّذي لا يعزب عن إدراكه مسموعٌ وإنّ خفي فهو يسمع بغير جارحةٍ، وفعيل من أبنية المبالغة "[٥].

**ما ذكره ابن الأثير رحمه الله عليه ملاحظات:**

**أولاً:** اسم الله السميع، وصفة السمع ثابتة لله جل وعلا بالكتاب والسنة.

أما من الكتاب:١- قول الله جل وعلا: ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦].

٢_ وقول الله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

٣_ وقول الله جل وعلا: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[المجادلة: ١].

وأما من السنة: حديث عائشة رضي الله عنها " **أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ**

---

(١) غاية من يعتبره من العلماء من أسماء الله هي الأحاديث التي ورد فيها تفصيل أسماء الله، وقد سبق الحكم عليها بالضعف كلها. انظر: (ص: ٣٧).

(٢) النهاية (ص: ٣٦٩)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٩).

(٣) النهاية (ص: ٤٤١).

(٤) جامع الأصول (٤/ ١٧٦).

(٥) النهاية (ص: ٤٤٥).

قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، ... "[1]، وغير ذلك من الأحاديث كثير.

**ثانيًا:** قول ابن الأثير رحمه الله في هذا التعريف: فهو يسمع بغير جارحة عليه مؤاخذتان:

الأولى: كأن[2] ابن الأثير رحمه الله أراد بنفي الجارحة في السمع نفي الأذن، التي هي الآلة التي يسمع بها المخلوقون، والصواب ما يقوله أهل السنة وهو أنه يجب الوقوف في أسماء الله وصفاته على ما جاءت به نصوص القرآن والسنة لا نزيد على ذلك ولا ننقص منه، فلا نسمي، أو نصف الله بما لم يسم، أو يصف به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ.

وذلك لأنه لا طريق إلى معرفة أسماء الله وصفاته إلا من خلالهما، فلو قال شخص: لله سمع بلا أذنين، وقال آخر: لله سمع بأذنين، لحكمنا بخطأ الاثنين؛ لأنه لم يأت ذكر الأذنين في النصوص لا نفياً ولا إثباتاً، والحق هو أن لله سمع يليق بجلاله كما جاءت بذلك النصوص، وقد نهى الله أن نتكلم بغير علم، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦] [3].

الثانية: أن لفظ الجارحة من الألفاظ التي لم يرد بها القرآن ولا السنة، والصواب في مثل هذه الالفاظ هو التوقف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فإذا قلنا: يد وسمع وبصر وما أشبهها، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة أو النعمة، ولا معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول إنما وجب إثبات الصفات لأن التوقف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنه لأن الله ليس كمثله شيء، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات "[4].

**٤٠ – السيد:** قد سبق ذكره والحديث عنه[5].

**٤١ – الشكور:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الشّكور " هو الّذي يزكو عنده القليل من أعمال العباد فيضاعف لهم الجزاء، فشكره لعباده مغفرته لهم، والشّكور من أبنية المبالغة "[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء آمين، فوافقت احداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث رقم ٣٢٣١، (٢/ ٤٠٠).

(٢) في مواضع أخرى نص ابن الأثير غفر الله له على نفي هذه الصفة، وأنها تطلق على الله من قبيل المجاز؛ فعند بيانه لمعنى أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن قال: "الأصابع: جمع أصبع، وهي الجارحة. وذلك من صفات الأجسام، تعالى الله عز وجل عن ذلك وتقدس. وإطلاقها عليه مجاز كإطلاق اليد، واليمين، والعين، والسمع". النهاية (ص: ٥٠٧).

(٣) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات (ص: ٣٢).

(٤) الفتوى الحموية الكبرى– تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي– تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري– دار الصميعي، الرياض– ط٢، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م– (ص: ٣٦٤، ٣٦٥)، وقد نسب هذا الكلام للإمام الخطابي رحمه الله.

(٥) انظر: (ص: ٢٨).

وقال في موضع آخر: " الشكور: الذي يجازي عباده ويثيبهم على أفعالهم الصالحة، فشكر الله لعباده إنما هو مغفرته لهم وقبوله لعبادتهم "[٢].

**٤٢- الشهيد:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الشّهيد " هو الّذي لا يغيب عنه شيءٌ، والشّاهد: الحاضر وفعيلٌ من أبنية المبالغة في فاعل، فإذا اعتبر العلم مطلقًا فهو العليم، وإذا أضيف إلى الأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشّهيد، وقد يعتبر مع هذا أن يشهد على الخلق يوم القيامة بما علم "[٣].

**٤٣- الصبور:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الصّبور " هو الّذي لا يعاجل العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريبٌ من معنى الحليم، والفرق بينهما أنّ المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصّبور كما يأمنها في صفة الحليم "[٤].

الصحيح أن الصبور ليس من أسماء الله لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة[٥].

والذي أثبته أهل السنة لله سبحانه وتعالى هو صفة الصبر، واستندوا بذلك إلى حديث رسول الله ﷺ والذي قال فيه:" ما أحد أصبر على أذى سمعه من الله، يدعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم "[٦]، قال ابن القيم رحمه الله: " أما الصبر فقد أطلقه عليه أعرف الخلق به وأعظمهم تنزيها له بصيغة المبالغة "[٧].

وباب الصفات أوسع من باب الأسماء فكل ما صح أنه صفة لله لا يشترط أن يصح اسماً لله، فالله تعالى من صفاته الثابتة: النزول، والإتيان، والمجيء، ولا يسمى بها فلا يقال النازل والجائي والآتي[٨].

**٤٤- الصّمد:**

---

(١) النهاية (ص: ٤٨٨).

(٢) جامع الأصول (٤/ ١٧٨).

(٣) النهاية (ص: ٤٩٧)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٩).

(٤) النهاية (ص: ٥٠٦)، وانظر: جامع الأصول (١٨٣/٤).

(٥) دليل من أثبته: الأحاديث التي فيها تفصيل الأسماء، وقد سبق بيان ضعفها. انظر: (ص: ٣٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين} [الذاريات: ٥٨]، حديث رقم٧٣٧٨، (٤/ ٥٣٢).

(٧) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار ابن كثير، دمشق، بيروت،مكتبة دار التراث، المدينة المنورة- ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م- (ص: ٢٧٥).

(٨) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى- محمد بن صالح العثيمين- خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد بيومي- مكتبة الإيمان، المنصورة- (ص: ٢١)، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى- محمد بن خليفة بن علي التميمي- أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤١٩ه/١٩٩٩م- (ص: ٣٤).

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الصّمد " هو السيّد الّذي انتهى إليه السّودد، وقيل هو الدائم الباقي، وقيل هو الّذي لا جوف له، وقيل الّذي يصمد في الحوائج إليه: أي يقصد "[1].

**٤٥،٤٦_ الضّار والنافع:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الضّارّ " هو الّذي يضرّ من يشاء من خلقه، حيث هو خالق الأشياء كلّها خيرها وشرّها ونفعها وضرّها "[2].

وقال في تعريف اسم الله النافع: " في أسماء الله تعالى " النّافع " هو الّذي يوصّل النّفع إلى من يشاء من خلقه حيث هو خالق النّفع والضّر، والخير والشّر "[3].

الصحيح أن الضار والنافع ليسا من أسماء الله الحسنى لأنهما لم يردا في القرآن ولا في السنة الصحيحة[4].

وأما قوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ﴾ [الفتح: ١١] وغيره، فهذا ليس فيه تسمية الله بالضّار أو النافع، وإنما هو من باب الإخبار، وباب الإخبار أوسع من باب الأسماء، بل هو أوسع الأبواب [5].

**٤٧- العدل:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " العدل " هو الّذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدرٌ سمّي به فوضع موضع العادل، وهو أبلغ منه لأنّه جعل المسمّى نفسه عدلًا "[6].

العدل ليس من أسماء الله، لأنه لم يرِد في القرآن ولا في السنة الصحيحة، وإنما ورد في حديث سرد الأسماء وقد سبق بيان ضعفه، والله أعلم[7].

**٤٨- العزيز:**

---

(١) النهاية (ص: ٥٢٦)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٨١).

(٢) النهاية (ص: ٥٤٢).

(٣) المصدر السابق (ص: ٩٣٣).

(٤) ورد هذان الاسمان في حديث تفصيل أسماء الله، وقد سبق بيان ضعفه من كل طرقه. انظر: (ص: ٣٧).

(٥) انظر: معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى (ص: ٣٤).

(٦) النهاية (ص: ٥٩٦)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٨).

(٧) انظر: (ص: ٣٧).

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " العزيز " هو الغالب القويّ الّذي لا يغلب، والعزّة في الأصل: القوّة والشّدّة والغلبة، تقول: عزّ يعزّ بالكسر إذا صار عزيزاً، وعزّ يعزّ بالفتح إذا اشتدّ "[١].

وقال في موضع آخر: " العزيز: الغالب القاهر، والعزة: الغلبة "[٢].

**٥٠- العفو:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " العفوّ " هو فعول، من العفو وهو التّجاوز عن الذّنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطّمس، وهو من أبنية المبالغة، يقال: عفا يعفو عفواً، فهو عافٍ وعفوّ "[٣].

**٥١- العليم:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " العليم " هو العالم المحيط علمه بجميع الأشياء ظاهرها وباطنها، دقيقها وجليلها، على أتمّ الإمكان، وفعيل من أبنية المبالغة "[٤].

**٥٣،٥٢_ العلي والمتعالي:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " العليّ والمتعال " فالعليّ: الّذي ليس فوقه شيءٌ في المرتبة والحكم، فعيل بمعنى فاعل، من علا يعلو.

والمتعالي: الّذي جلّ عن إفك المفترين وعلا شأنه، وقيل: جلّ عن كلّ وصفٍ وثناء، وهو متفاعلٌ من العلوّ، وقد يكون بمعنى العالي "[٥].

وقال في موضع آخر: " المتعالي: هو المتنزه عن صفات المخلوقين، تعالى أن يوصف بها عز وجل "[٦].

الذي يظهر من كلام ابن الأثير رحمه الله في تعريفه لاسم الله العلي والمتعالي أنهما لا يدلان على علو الله، لأنه لم يذكره في معاني اسم الله العلي، ولأنه في اسم الله المتعالي قال: وقد يكون بمعنى العالي، مع أن اسم الله العلي والمتعالي من أقوى الأسماء دلالةً على علو الله.

قال الأزهري[١] رحمه الله بعد أن نقل كلامًا في اسم الله العلي والأعلى والمتعالي والعالي: " وتفسير وتفسير هذه الصّفات لله يقرب بعضها من بعض، فالعليّ الشريف فعيل من علا يعلو، وهو بمعنى

---

(١) النهاية (ص: ٦١٢).

(٢) جامع الأصول (٤/ ١٧٦)

(٣) النهاية (ص: ٦٢٧)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٨٢).

(٤) النهاية (ص: ٦٣٨)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٨٢).

(٥) النهاية (ص: ٦٣٩).

(٦) جامع الأصول ( ٤/١٨١).

العالي، وهو الّذي ليس فوقه شيء، ويقال: هو الّذي علا الخلق فقهرهم بقدرته، وأمّا المتعالي فهو الّذي جلّ عن إفك المفترين، وتنزّه عن وساوس المتحيّرين، وقد يكون المتعالي بمعنى العالي، والأعلى هو الله الّذي هو أعلى من كل عالٍ "[٢].

فبين رحمه الله أن دلالة اسم الله العلي والمتعالي قوية وأكيدة وواضحة في إثبات علو الله على كل مخلوقاته، وأنه ليس فوقه شيء، مع دلالتها على معاني أخرى مثل القهر والغلبة.

وقال ابن فارس أيضاً: " العين واللّام والحرف المعتلّ ياءً كان أو واوًا أو ألفًا، أصلٌ واحدٌ يدلّ على السّموّ والارتفاع، لا يشذّ عنه شيءٌ "[٣].

- والعلو يطلق على معاني ثلاثة[٤]:

_ علو الذات.

_ علو القهر والغلبة والسلطان.

_ علو القدر والمنزلة والشرف.

لكن ابن الأثير رحمه الله قد دل كلامه السابق على معنيين من هذه المعاني وهما آخر معنيين، فقوله: " فالعلي الذي ليس فوقه شيء في المرتبة "، فالمراد به علو المنزلة والشرف وهو المعنى الثاني، وأما المعنى الثالث فأشار إليه بقوله : " ليس فوقه شيء في المرتبة والحكم "، فإن علو الحكم هو علو القهر والسلطان.

والحق أن اسم الله العلي والمتعالي يدل على المعاني الثلاثة بدون أدنى ريب، وخاصةً أولها وهو ما عليه السلف ومن بعدهم من أئمة أهل السنة، وقد تواترت نصوص الكتاب والسنة تواترا لفظيا، ومعنويا على إثبات العلو لله تبارك وتعالى، حتى ذكر بعض أهل العلم أن أدلة ذلك تزيد على ألف دليل[٥].

ومن خلال كلام ابن الأثير السابق في اسم الله العلي والمتعالي لا يحكم حكماً نهائياً أنه ينفي علو الله، لأنه لم يصرح بذلك في كلامه السابق، ولأنه أيضاً قال في اسم الله الظاهر: " هو الّذي ظهر فوق كلّ شيءٍ وعلا عليه "، لكن عند جمع كلامه من بين ثنايا كتبه يتبين رأيه النهائي، الذي

---

(١) هو العلامة أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري، الهروي اللغوي الشافعي، كان جامعا لشتات اللغة مطلعا على أسرارها ودقائقها، والأزهري: بفتح الهمزة وسكون الزاي وفتح الهاء، هذه النسبة إلى جده أزهر المذكور، من مصنفاته: كتاب (تهذيب اللغة) المشور، و(تفسير ألفاظ المزني) ، و(علل القراءات)، توفي رحمه الله سنة ٣٧٠هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٣١٥/١٦).

(٢) تهذيب اللغة- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور- تحقيق: محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط١، ٢٠٠١م- (٣/ ١١٨).

(٣) مقاييس اللغة (٤/ ١١٢).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ١٥٥)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٢٤)، ومدارج السالكين (١/ ٥٥)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي- تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة- ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م- (ص٧٣٣، ٩٤٦).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٥/ ١٢١)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٧٩).

صرح به في هذه المسألة حيث يقول عند شرحه لحديث رسول الله ﷺ، أنّه كان إذا قام إلى الصّلاة، قال: " **وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ [ص:٥٣٥] الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ** "(١): " تعاليت: تفاعلت من العلو والمراد به علو القدرة لا علو المكان "(٢)، فصرح هنا بنفي صفة العلو عن الله وفسرها بعلو القدرة فخالف أهل السنة فيما ذهبوا إليه من إثبات صفة العلو لله جل وعلا كما سبق.

**٥٤،٥٥_ الغفّار والغفور:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الغفّار والغفور " وهما من أبنية المبالغة، ومعناهما السّاتر لذنوب عباده وعيوبهم، المتجاوز عن خطاياهم وذنوبهم، وأصل الغفر: التّغطية، يقال: غفر الله لك غفراً وغفراناً ومغفرة، والمغفرة: إلباس الله تعالى العفو للمذنبين"(٣).

**٥٦،٥٧_ الغني والمغني:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الغنيّ " هو الّذي لا يحتاج إلى أحد في شيءٍ، وكلّ أحدٍ يحتاج إليه، وهذا هو الغنيّ المطلق، ولا يشارك الله تعالى فيه غيره، ومن أسمائه " المغني " وهو الّذي يغني من يشاء من عباده "(٤).

**٥٨- الفتاح:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الفتّاح " هو الّذي يفتح أبواب الرّزق والرّحمة لعباده، وقيل: معناه الحاكم بينهم، يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما، والفاتح: الحاكم، والفتّاح: من أبنية المبالغة "(٥).

**٥٩,٦٠,٦١_ القادر والمقتدر والقدير:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " القادر، والمقتدر، والقدير " فالقادر: اسم فاعلٍ، من قدر يقدر، والقدير: فعيل منه، وهو للمبالغة، والمقتدر: مفتعل، من اقتدر، وهو أبلغ "(٦).
"(٦).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم١٦٩٦، (ص: ٣٥٥).

(٢) الشافي (١/ ٥٣٦).

(٣) النهاية (ص: ٦٧٤)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٧).

(٤) النهاية (ص: ٦٨١).

(٥) النهاية (ص: ٦٨٩)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٧).

(٦) النهاية (ص: ٧٣٥).

**٦٢- القاهر:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " القاهر " هو الغالب جميع الخلائق، يقال: قهره يقهره قهرا فهو قاهر، وقهار للمبالغة "[١].

**٦٣- القدوس:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " القدّوس " هو الطّاهر المنزّه عن العيوب، وفعّول:
من أبنية المبالغة، وقد تفتح القاف، وليس بالكثير، ولم يجيء منه إلّا قدّوس، وسبّوح "[٢].

**٦٤- القيوم:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " القيّوم: من أسماء الله تعالى المعدودة، وهو القائم بنفسه مطلقاً لا بغيره، وهو مع ذلك يقوم به كلّ موجودٍ، حتّى لا يتصوّر وجود شيءٍ ولا دوام وجوده إلّا به "[٣].

**٦٥- القوي:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " " القوي ": القادر، وقيل: التام القدرة والقوة، الذي لا يعجزه شيء "[٤].

**٦٦-٦٧ الكبير والمتكبر:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المتكبّر والكبير " أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل: المتعالي عن صفات الخلق، وقيل: المتكبّر على عتاة خلقه، والتّاء فيه للتّفرّد والتّخصّص لا تاء التّعاطي والتّكلّف، والكبرياء: العظمة والملك، وقيل: هي عبارة عن كمال الذّات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلّا الله تعالى... وهما من الكبر، بالكسر وهو العظمة، ويقال: كبر بالضّمّ يكبر: أي عظم، فهو كبير "[٥].

**٦٨- الكريم:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الكريم " هو الجواد المعطى الّذي لا ينفذ عطاؤه، وهو الكريم المطلق، والكريم الجامع لأنواع الخير والشّرف والفضائل "[٦].

**٦٩- اللطيف:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " اللّطيف " هو الّذي اجتمع له الرّفق في الفعل، والعلم بدقائق المصالح وإيصالها إلى من قدّرها له من خلقه، يقال: لطف به وله، بالفتح، يلطف لطفا، إذا رفق به، فأمّا لطف بالضّمّ يلطف، فمعناه صغر ودقّ "[٧].

---

(١) المصدر السابق (ص: ٧٨٠).

(٢) النهاية (ص: ٧٣٦)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٦).

(٣) النهاية (ص: ٧٨٢)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٦).

(٤) جامع الأصول (٤/ ١٨٠).

(٥) النهاية (ص: ٧٨٨)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٧).

(٦) النهاية (ص: ٧٩٨).

(٧) المصدر السابق (ص: ٨٣٥).

وقال في موضع آخر:" " اللطيف ": الذي يوصل إليك أربك في رفق، وقيل: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية "[1].

**٧٠-٧١ الماجد والمجيد:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المجيد، والماجد " المجد في كلام العرب: الشّرف الواسع، ورجلٌ ماجد: مفضال كثير الخير شريفٌ، والمجيد: فعيل منه للمبالغة، وقيل: هو الكريم الفعال، وقيل: إذا قارن شرف الذّات حسن الفعال سمّي مجداً، وفعيلٌ أبلغ من فاعل، فكأنّه يجمع معنى الجليل والوهّاب والكريم "[2].

أما تسمية الله باسم المجيد فهو حق وصواب لأن الله قال في كتابه: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج: ١٤، ١٥]، فسمى الله نفسه في هاتين الآيتين بالمجيد.

وأما تسمية الله بالماجد فهو غير صحيح، لانه لم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة، وما ورد به من نصوص إنما ورد في حديث تفصيل أسماء الله التسعة والتسعين وقد سبق بيان ضعفه[3].

وكذلك ورد في حديث قدسي، يقول النبي ﷺ: " **إنّ الله تَبَارَك وَتَعَالى، يقول: يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، وَمَنْ عَلِمَ أَنِّي أَقْدِرُ عَلَى الْمَغْفِرَةِ فَاسْتَغْفَرَنِي بِقُدْرَتِي غَفَرْتُ لَهُ، وَلَا أُبَالِي، وَكُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ، فَاسْأَلُونِي أُغْنِكُمْ. وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبٍ مِنْ قُلُوبِ عِبَادِي، مَا نَقَصَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، مَا زَادَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا، فَسَأَلَنِي كُلُّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ مِنْهُمْ مَا سَأَلَ، مَا نَقَصَنِي، كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِشَفَةِ الْبَحْرِ فَغَمَسَ فِيهِ إِبْرَةً ثُمَّ انْتَزَعَهَا، كَذَلِكَ لَا يَنْقُصُ مِنْ مُلْكِي، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ صَمَدٌ، عَطَائِي كَلَامٌ، وَعَذَابِي كَلَامٌ، إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ** ".

وهو ضعيفٌ أيضاً[4]. فعلى ذلك اسم الماجد ليس من أسماء الله.

**٧٢- المانع:**

---

(١) جامع الأصول (٤/ ١٧٨)

(٢) النهاية (ص: ٨٥٧)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٩).

(٣) انظر: (ص: ٣٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٥/ ٢٩٥)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، حديث رقم٤٢٥٧، (ص: ٧٠٥)، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب منه، حديث رقم٢٤٩٥، (ص: ٥٦٢)، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الضعيفة (٦٢٩/١١) :" ضعيف، أخرجه أحمد ... وأصله في "صحيح مسلم" من طريق أخرى عن أبي ذر بلفظ:" قال الله تعالى: يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي ... " الحديث بطوله، وليس فيه مما في حديث الترجمة إلا الاستغفار". فالحديث ضعيف بهذا السياق.

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المانع " هو الّذي يمنع عن أهل طاعته، ويحوطهم وينصرهم، وقيل: يمنع من يريد من خلقه ما يريد، ويعطيه ما يريد "(١).

اسم المانع ليس من أسماء الله لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة(٢).

**٧٣- المحصي:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المحصي " هو الّذي أحصى كلّ شيءٍ بعلمه وأحاط به، فلا يفوته دقيق منها ولا جليل، والإحصاء: العدّ والحفظ "(٣).

الراجح أن المحصي ليس من أسماء الله لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة(٤).

والذي قد جاء في القرآن إنما ورد بصيغة الفعل مثل قوله تعالى: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، وأفعال الله لا يشتق منها أسماء كما تقرر ذلك مسبقاً(٥).

**٧٤- المجيب:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المجيب " وهو الّذي يقابل الدّعاء والسؤال بالقبول والعطاء، وهو اسم فاعلٍ من أجاب يجيب "(٦).

**٧٥،٧٦_ المعز والمذل:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " من أسماء الله تعالى " المعزّ " وهو الّذي يهب العزّ لمن يشاء من عباده "(٧).

وقال في اسم المذل: " في أسماء الله تعالى " المذل " هو الذي يلحق الذل بمن يشاء من عباده، وينفي عنه أنواع العز جميعها "(٨).

المعز والمذل ليسا من أسماء الله، لأنهما لم يردا في القرآن ولا في السنة الصحيحة(١)، والذي جاء ذكره في القرآن هو صيغة الفعل من هذين الاسمين، قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، والأفعال لا يشتق منها أسماء كما سبق(٢).

---

(١) النهاية (ص: ٨٨٤)، وانظر: جامع الاصول (٤/ ١٨٢).

(٢) ورد تسمية الله بالمانع في حديث تفصيل أسماء الله وقد سبق بيان ضعفه (ص: ٣٧)، ومن العلماء الذين أثبتوا هذا الاسم لله يقرنوه باسم المعطي، والذي قام عليه الدليل أن المعطي من أسماء الله، كما في حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، حديث رقم٣١١٦، (٢/ ٣٦٣)، فيسمى الله بالمعطي ولا يسمى بالمانع، ولم يرد في كلام ابن الأثير تسمية الله بالمعطي.

(٣) النهاية ؛(ص: ٢١٣)، وانظر: جامع الاصول (٤/ ١٨٠).

(٤) ورد تسمية الله بالمحصي في حديث سرد أسماء الله وقد سبق بيان ضعفه. انظر: (ص: ٣٧).

(٥) انظر: (ص: ٣٩).

(٦) النهاية (ص: ١٧١)، وانظر: جامع الاصول (٤/ ١٧٩).

(٧) النهاية (ص: ٦١٢).

(٨) المصدر السابق (ص: ٣٢٩).

٧٧- **المصور:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المصور " وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها، فأعطى كل شيء منها صورة خاصة، وهيئة منفردة يتميز بها على اختلافها وكثرتها "(٣).

وقال في موضع آخر: " المصوّر: هو الذي أنشأ خلقه على صور مختلفة، ومعنى التصوير: التخطيط والتشكيل "(٤).

٧٨- **المتين:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المتين " هو القوي الشديد، الذي لا يلحقه في أفعاله مشقة، ولا كلفة ولا تعب، والمتانة: الشدة والقوة، فهو من حيث إنه بالغ القدرة تامها قوي، ومن حيث إنه شديد القوة متين "(٥).

٧٩- **المعيد:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المعيد " هو الذي يعيد الخلق بعد الحياة إلى الممات في الدنيا، وبعد الممات إلى الحياة يوم القيامة "(٦).

٨٠- **المقسط:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المقسط " هو العادل. يقال: أقسط يقسط فهو مقسط، إذا عدل "(٧).

الصحيح أن المقسط ليس من أسماء الله، لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة النبوية الصحيحة(٨).

٨١- **المقيت:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المقيت " هو الحفيظ.، وقيل: المقتدر، وقيل: الذي يعطي أقوات الخلائق "(٩).

٨٢- **المنان:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المنان " هو المنعم المعطي، من المن: العطاء، لا من المنة "(١٠).

---

(١) ورد تسمية الله بالمعز والمذل في حديث سرد أسماء الله وقد سبق بيان ضعفه. انظر: (ص: ٣٧).

(٢) انظر: (ص: ٣٩).

(٣) النهاية (ص: ٥٢٩).

(٤) جامع الأصول (٤/ ١٧٧).

(٥) النهاية (ص: ٨٥٥)، وانظر: جامع الاصول (٤/ ١٨٠) .

(٦) النهاية (ص: ٦٤٨)، وانظر: جامع الاصول (٤/ ١٨١).

(٧) النهاية (ص: ٧٥١)، وانظر: جامع الاصول (٤/ ١٨٢).

(٨) ورد تسمية الله بالمقسط في حديث سرد أسماء الله، وقد سبق بيان ضعفه. انظر: (ص: ٣٧).

(٩) النهاية (ص: ٧٧٦)، وانظر: جامع الاصول (٤/ ١٧٨) .

(١٠) النهاية (ص: ٨٨٤)، وانظر: جامع الاصول (٤/ ١٧١) .

٨٣- **المنتقم:**

قال ابن الأثير: " في أسماء الله تعالى " المنتقم " هو المبالغ في العقوبة لمن يشاء، مفتعل، من نقم ينقم: إذا بلغت به الكراهية حد السخط "[(١)].

الصحيح أن المنتقم ليس من أسماء الله الحسنى، لأنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة الصحيحة[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " واسم " المنتقم " ليس من أسماء الله الحسنى الثابتة عن النبي صلى الله عليه و سلم وإنما جاء في القرآن مقيداً كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾. والحديث الذي في عدد الأسماء الحسنى الذي يذكر فيه " المنتقم " فذكر في سياقه " البر التواب المنتقم العفو الرؤوف ": ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي صلى الله عليه و سلم "[(٣)].

٨٤- **المهيمن:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " المهيمن " هو الرقيب، وقيل: الشاهد، وقيل: المؤتمن، وقيل: القائم بأمور الخلق، وقيل: أصله: مؤيمن، فأبدلت الهاء من الهمزة، وهو مفيعل من الأمانة "[(٤)].

٨٥- **النور:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " النور " هو الذي يبصر بنوره ذو العماية، ويرشد بهداه ذو الغواية، وقيل: هو الظاهر الذي به كل ظهور، فالظاهر في نفسه المظهر لغيره يسمى نورا، ... وقال بعض أهل العلم: النور جسم وعرض، والباري جل وعز ليس بجسم ولا عرض "[(٥)].

الكلام الذي ذكره ابن الأثير بالإضافة إلى أنه لم يكن دقيقًا وواضحا في بيان معنى اسم الله النور، فإنه كذلك ينفي صفة النور عن الله سبحانه وتعالى، وهذا الذي ذهب إليه مخالف لصريح نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وكلام علماء أهل السنة والجماعة[(٦)].

قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر: ٦٩].

---

(١) النهاية (ص: ٩٣٩)، وانظر: جامع الاصول (٤/ ١٨٢) .

(٢) ورد تسمية الله بالمنتقم في حديث سرد أسماء الله وقد سبق بيان ضعفه. انظر: (ص: ٣٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/ ٩٦).

(٤) النهاية (ص: ١٠١٢)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٦).

(٥) النهاية (ص: ٩٤٥)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٨٢).

(٦) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٥): " قد قدمنا أن ابن كلاب والأشعري وغيرهما ذكرا ذكرا أن نفي كونه نورا في نفسه هو قول الجهمية والمعتزلة وأنهما أثبتا أنه نور وقررا ذلك هما وأكابر أصحابهما فكيف بأهل الحديث وأئمة السنة. وأول هؤلاء المؤمنين بالله وبأسمائه وصفاته رسول الله ﷺ".

وصحيح البخاري عن ابن عباس قال: **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ قَالَ: " اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ..."** [1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "... النص في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ قد سمّى الله نور السماوات والأرض، وقد أخبر النص أنّ الله نور، وأخبر أيضاً أنه يحتجب بالنور؛ فهذه ثلاثة أنوار في النص، وقد تقدم ذكر الأول، وأمّا الثاني؛ فهو في قوله: وأشرقت الأرض بنور ربّها وفي قوله : مثل نوره، وفيما رواه مسلم[2] في صحيحه[3] عن عبد الله بن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ، وَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ، فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى بِهِ، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ** "[4].

وقال كلاماً آخر فيه زيادة توضيح فقال: " وقد أخبر الله في كتابه أنّ الأرض تشرق بنور ربها، فإذا كانت تشرق من نوره؛ كيف لا يكون هو نوراً؟! ولا يجوز أن يكون هذا النور المضاف إليه إضافة خلق وملك واصطفاء؛ ..." [5].

وأما ما يذكر في التفاسير من أن معنى" الله نور السموات والارض" أي هادي اهل السموات والأرض، أو منور السموات والأرض فإنه لا يمنع من أن يكون في نفسه نورًا، وفي ذلك يقول شيخ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: {ومن الليل فتهجد به نافلة لك} [الإسراء: ٧٩]، حديث رقم١١٢٠، (١/ ٣١٢).

(٢) هو الإمام، الكبير، الحافظ، المجود، الحجة، الصادق، مسلم بن الحجاج بن مسلم، أبو الحسين القشيري النيسابوري الحافظ صاحب "الصحيح "، وهو من أصح الكتب بعد كتاب الله، آخر تلميذ بقي مع البخاري في المحنة التي تعرض لها، لم يعمر فتوفي سنة ٢٦١هـ، عن عمر٥٥ سنة رحمه الله رحمة واسعة. انظر: تاريخ الإسلام (٢٠/ ١٨٢)، وسير أعلام النبلاء(١٢/ ٥٥٧)، ووفيات الأعيان (١٩٤/٥).

(٣) لم يجده الباحث في صحيح مسلم، وهو حديث صحيح، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة= كتاب السنة- أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م- (١٠٧/١)، وقال الألباني في تحقيقه: إسناده صحيح، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٤٣)، والآجري في الشريعة= الشريعة- أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرّيّ البغدادي- تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي- دار الوطن، الرياض- ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م- (٧٥٧/٢)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين= المستدرك على الصحيحين- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري - تحقيق: : مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠م- (٨٤/١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٠٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٨٦، ٣٨٧).

(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٢)، وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- تحقيق: عواد عبد الله المعتق- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض- ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م- (٤٤/٢، ٤٥)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١٧٠/٢- ١٧٧).

الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " هذا القول الذي قاله بعض المفسرين في قوله: {الله نور السماوات والأرض} أي هادي أهل السموات والأرض لا يضرنا ولا يخالف ما قلناه فإنهم قالوه في تفسير الآية التي ذكر النور فيها مضافا؛ لم يذكروه في تفسير نور مطلق ... ثم قول من قال من السلف: هادي أهل السموات والأرض لا يمنع أن يكون في نفسه نورا، فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض " صفات المفسر " من الأسماء أو بعض أنواعه؛ ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات للمسمى "(١).

**٨٦- الوارث:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الوارث " هو الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم "(٢).

**٨٧- الواسع:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الواسع " هو الذي وسع غناه كل فقير، ورحمته كل شيء، يقال: وسعه الشّيء يسعه سعةً سعةً فهو واسعٌ "(٣).

**٨٨- الواجد:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الواجد " هو الغنيّ الّذي لا يفتقر، وقد وجد يجد جدةً: أي استغنى غنىً لا فقر بعده "(٤).

الواجد ليس من أسماء الله الحسنى، لأنه لم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة.

يقول العلامة ابن القيم: " فأما الواجد فلم تجئ تسميته به إلا في حديث تعداد الأسماء الحسنى، والصحيح: أنه ليس من كلام النبي ﷺ، ومعناه صحيح، فإنه ذو الوجد والغنى، فهو أولى بأن يسمى به من الموجود ومن الموجد "(٥).

**٨٩، ٩٠_ الولي والوالي:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الولى " هو الناصر، وقيل: المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٠)، وانظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي- تحقيق: سيد إبراهيم- دار الحديث، القاهرة- ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م- (ص: ٣٦٥)، حيث حرر المنقول عن السلف والصحيح منه والضعيف الذي لا يصح نسبته إليهم، واجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٤٩) وما بعدها ففيها من الفوائد ما لا يخفى على قارئه.

(٢) النهاية (ص: ٩٦٧)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٨٢).

(٣) النهاية (ص: ٩٧٢)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٩).

(٤) النهاية (ص: ٩٦٠)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٨٠).

(٥) مدارج السالكين (٣/ ٣٨٤)، وقال رحمه الله في شفاء العليل (ص: ١٣٢): "ووقع في أسمائه الواجد وهو بمعنى الغنى الذي له الوجد ".

ومن أسمائه عز وجل " الوالي " وهو مالك الأشياء جميعها، المتصرف فيها، وكأن الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي "(١).

اسم الله الوليّ من الأسماء الثابتة لله والتي جاء فيها نص، قال الله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨].

أما اسم الوالي فإنه لم يرد في القرآن ولا في السنة الصحيحة(٢).

**٩١- الودود:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الودود " هو فعول بمعنى مفعول، من الود: المحبة، يقال: وددت الرجل أوده ودا، إذا أحببته، فالله تعالى مودود: أي محبوب في قلوب أوليائه، أو هو فعول بمعنى فاعل: أي أنه يحب عباده الصالحين، بمعنى أنه يرضى عنهم "(٣).

قول ابن الأثير رحمه الله في معنى اسم الله الودود أنه فعول بمعنى مفعول أي محبوب، أو أنه فعول بمعنى فاعل أي يحب عباده صحيح، أما قوله في معنى محبة الله لعباده أي أنه يرضى عنهم فغير صحيح؛ بل هو قول المؤولة وسيأتي مزيد بيان لذلك عند الحديث عن صفة المحبة.

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله في معنى اسم الله الودود: " قوله: (وهو الغفور الودود) يقول تعالى ذكره: وهو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه، وذو المحبة له "(٤).

وقال أيضًا: " ودود، يقول: ذو محبة لمن أناب وتاب إليه، يودّه ويحبّه "(٥).

**٩٢- الوكيل:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الوكيل " هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يستقل بأمر الموكول إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] "(٦).

**٩٣- الوهاب:**

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الوهاب " الهبة: العطية الخالية عن الأعواض والأغراض، فإذا كثرت سمي صاحبها وهابا، وهو من أبنية المبالغة "(٧).

**٩٤- الهادي:**

---

(١) النهاية (ص: ٩٨٩)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٨٠، ١٨١).

(٢) ورد اسم الولي في حديث تفصيل أسماء الله، وقد سبق بيان ضعفه، انظر: (ص: ٣٧).

(٣) النهاية (ص: ٩٦٤)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٩).

(٤) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٤٦).

(٥) المصدر السابق (١٥/ ٤٥٦).

(٦) النهاية (ص: ٩٨٧)، وانظر: جامع الأصول (٤/ ١٧٩).

(٧) النهاية (ص: ٩٩١).

قال ابن الأثير رحمه الله: " في أسماء الله تعالى " الهادي " هو الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقروا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى ما لا بد له منه في بقائه ودوام وجوده "[١].

**المطلب الثاني: منهجه في صفات الله تعالى:**

عرض ابن الأثير رحمه الله لبعض المسائل المتعلقة بصفات الله تعالى، كما أنه تكلم عن بعض الصفات وبين ما يعتقده فيها، وبيان ذلك كله في المسائل التالية:

**المسألة الأولى: قوله بان نصوص الصفات من المجاز.**

حكم الإمام ابن الأثير غفر الله له على الكثير من الصفات الإلهية الواردة في الكتاب والسنة بأنها من قبيل المجاز، التي يراد بها غير ظاهرها، ومن الأمثلة على ذلك:

قوله في شرح حديث " **خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ** ..."[٢]: " لما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به، كما يستمسك القريب بقريبه، والنسيب بنسيبه، والحقو فيه مجاز وتمثيل، ومنه قولهم: عذت بحقو فلان إذا استجرت به واعتصمت "[٣].

وقال أيضًا عند شرحه حديث" **قَلْبُ المُؤْمِنِ بَيْن أُصْبُعِينِ مِنْ أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُه كَيْفَ يَشَاء** "[٤]: "[٤]: الأصابع ... من صفات الأجسام، ... وإطلاقها عليه مجاز كإطلاق اليد، واليمين، والعين، والسمع، وهو جار مجرى التمثيل والكناية عن سرعة تقلب القلوب "[٥].

وعند حديثه في كتابه النهاية عن مادة عجب، ذكر الأحاديث التي فيها عجب ربك، ثم علق عليها إما بتاويلها، وإما باعتبارها مجازًا، فمثلًا قال عند شرحه حديث " **عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ** "[٦]: " أي عظم ذلك عنده وكبر لديه، ... وقيل: معنى عجب ربك: أي رضي رضي وأثاب، فسماه عجبا مجازا، وليس بعجب في الحقيقة والأول الوجه "[٧].

---

(١) المصدر السابق (ص: ١٠٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب {وتقطعوا أرحامكم} [محمد: ٢٢]، حديث رقم ٤٨٣٠، (٣/ ٣٩٢).

(٣) النهاية (ص: ٢٢٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب تصريف الله القلوب كيف يشاء، حديث رقم٦٦٤٥، (ص: ١٣٠٧)، وفيه: " من أصابع الرحمن " بدل " من أصابع الله ".

(٥) النهاية (ص: ٥٠٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل، حديث رقم٣٠١٠، (٢/ ٣٣١)، بلفظ: " عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ ".

(٧) النهاية (ص: ٥٩٣، ٥٩٤).

وعند مادة عطف ذكر ابن الأثير حديث " **سُبْحَانَ مَن تَعَطَّفَ العِزَّ وَقَالَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ المَجْدَ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الفَضْلِ وَالنِّعَمِ** "(١)، ثم قال _ رحمه الله _: " ... والتعطف في حق الله تعالى مجاز يراد به الاتصاف، كأن العز شمله شمول الرداء "(٢).

وعند شرحه حديث " **أَغْيَظُ الأسْمَاءِ عندَ اللهِ رجلٌ تَسمَّى مَلِكُ الأمْلاكِ** "(٣) قال: " هذا من مجاز الكلام معدول عن ظاهره، فإن الغيظ صفة تغير في المخلوق عند احتداده، يتحرك لها، والله يتعالى عن ذلك الوصف "(٤).

وكذلك عند شرحه حديث " **إِنَّ اللهَ وَاضِعٌ يَدَهُ لِمُسِيءِ اللَّيْلِ لِيَتُوبَ بِالنَّهَارِ، وَلِمُسِيءِ النَّهَارِ لِيَتُوبَ بِاللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا** "(٥) قال: " ... وهو مجاز في البسط واليد..." (٦).

ولقد قال كلمة عامة حول نصوص الصفات، وذلك عند شرحه حديث " وكلتا يديه يمين "(٧) قال: قال: "..وكل ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد والأيدي، واليمين وغير ذلك من أسماء

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب الدعوات، باب منه، حديث رقم٣٤١٩، (ص: ٧٧٦)، وابن خزيمة في صحيحه= صحيح ابن خزيمة- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري- تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي- المكتب الإسلامي - بيروت-(١٦٥/٢)، والطبراني في المعجم الكبير= المعجم الكبير- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- تحقيق: الشيخ حمدي السلفي- دار الصميعي، الرياض- ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م- (٢٨٣/١٠)، والمروزي في مختصر قيام الليل= قيام رمضان- أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي- اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي- حديث أكادمي، باكستان- ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م- (ص:٢٦٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني- أشرف على طبعه: زهير الشاويش- المكتب الإسلامي- (ص:١٦٩).

(٢) النهاية (ص: ٦٢٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الادب، باب تحريم التسمي بملك الاملاك وبملك الملوك، حديث رقم٥٥٠٤، (ص: ١٠٧٨)، بلفظ:" أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ " .

(٤) النهاية (ص: ٦٨٥، ٦٨٦).

(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد= الزهد والرقائق- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي- دار الكتب العلمية - بيروت- (ص:٣٨٥)، وابن خزيمة في التوحيد (٤٥/١)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وان تكررت الذنوب والتوبة، حديث رقم٦٨٨٣، (ص: ١٣٥٢)، بلفظ:" إنّ الله عزّ وجلّ يبسط يده باللّيل ليتوب مسيء النّهار، ويبسط يده بالنّهار ليتوب مسيء اللّيل، حتّى تطلع الشّمس من مغربها".

(٦) النهاية (ص: ٩٧٧).

(٧) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، حديث رقم٤٦١٥، (ص: ٩٢٩).

الجوارح إلى الله تعالى فإنما هو على سبيل المجاز والاستعارة، والله منزه عن التشبيه والتجسيم "[١].

هذه بعض الأمثلة التي ذكرها ابن الأثير، والتي تبين أن ابن الأثير غفر الله له يرى أن صفات الله تعالى التي وردت في الكتاب والسنة إنما هي من قبيل المجاز[٢] لا الحقيقة، ومعنى ذلك أن حقائق تلك الصفات منفيّة عن الله عز وجل، وظاهرها المتبادر منها غير مراد.

وهذا مخالف لمذهب السلف الصالح من الصحابة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان في صفات الله سبحانه وتعالى، قال أبو عمر بن عبد البر[٣] رحمه الله: " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع الجهمية[٤] والمعتزلة[٥] كلها كلها والخوارج[٦] فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه

---

(١) النهاية (ص: ١٠٢٧)، وانظر الشافي (٣/ ١٤٢، ١٤٣).

(٢) القائلين بالحقيقة والمجاز يعرفونه: بأن الحقيقة هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له. و " المجاز ": هو المستعمل في غير ما وضع له. انظر مجموع الفتاوى (٧/ ٩٦)

(٣) هو العلّامة العلم الحافظ، أبو عمر بن عبد البرّ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ بن عاصم النّمري القرطبي، المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، طال عمره، وعلا سنده، ألّف في "الموطأ " كتبا مفيدة، منها كتاب "التمهيد"، توفي رحمه الله سنة ٤٦٣هـ، عن عمر ٩٥ سنة. انظر: شذرات الذهب (٥/ ٢٦٦)، وسير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨)، ووفيات الأعيان (٦٦/٧).

(٤) الجهمية: هم طائفة من اهل البدع، ينتسبون إلى الجهم بن صفوان، من بدعهم: القول بنفي الاسماء والصفات عن الله تعالى، وأن العبد مجبور على فعله ولا قدرة له ولا اختيار، وأن الإيمان إنما هو المعرفة، وأنه لا يزيد ولا ينقص، وغيرها. انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع– محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملطي العسقلاني– تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري– المكتبة الأزهرية للتراث، مصر– (ص: ٩٦)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين– أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل الأشعري– تحقيق: نعيم زرزور– المكتبة العصرية– ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م– (١/ ٢١٩)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية– عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي– دار الآفاق الجديدة، بيروت– ط٢، ١٩٧٧م– (ص: ١٩٩)، الملل والنحل– أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني– مؤسسة الحلبي– (١/ ٨٦)، الفصل في الملل والأهواء والنحل– أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري– مكتبة الخانجي، القاهرة– (٤/ ١٥٥).

(٥) المعتزلة: هي فرقة ظهرت في القرن الثاني، رأسها واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، قدمت العقل على النقل، وجعلته حاكما عليه، أصولهم خمسة هي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل أصل له معنى خاص عندهم غير أهل السنة. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٠)، الملل والنحل (١/ ٤٣)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين– طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر– تحقيق: كمال يوسف الحوت– عالم الكتب، لبنان– ط١، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م– (ص: ٦٣)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين– أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري– تحقيق: علي سامي النشار– دار الكتب العلمية ، بيروت– (ص: ٣٨).

(٦) الخوارج هم طائفة من أهل البدع، حذر منهم النبي ﷺ، وأمر بقتلهم، خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقاتلهم، وقتل كبيرهم ذا الثدية الذي أخبر عنه النبي ﷺ، وهم فرق كثيرة يكفرون بعض، يجتمعون على: تكفير

وهم عند من أقر بها نافون للمعبود، والحق فيها ما قال القائلون: بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم أئمة الجماعة والحمد لله "[1].

وقال الإمام الهمام، صاحب العقيدة السلفية الصافية، من القرون المفضلة، الإمام الدارمي رحمه الله: " ونحن قد عرفنا بحمد الله تعالى من لغات العرب هذه المجازات التي اتخذتموها دلسة وأغلوطة على الجهال، تنفون بها عن الله حقائق الصفات بعلل المجازات، غير أنا نقول: لا يحكم للأغرب من كلام العرب على الأغلب، ولكن نصرف معانيها إلى الأغلب حتى تأتوا ببرهان أنه عنى بها الأغرب، وهذا هو المذهب الذي إلى العدل والإنصاف أقرب، لا أن تعترض صفات الله المعروفة المقبولة عند أهل البصر، فنصرف معانيها بعلة المجازات "[2].

فيتبين من كلام هذين الإمامين الجبلين أن حمل نصوص الصفات على المجاز لا على الحقيقة هو طريق الجهمية والمعتزلة ومن شاكلهم من أهل البدع.

وإذا نظر القارئ فيما ذكره ابن الأثير رحمه الله، وجد أنه مبني على أساس باطل، وهو جعله المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلًا لا يليق بالله، وهو التشبيه والتجسيم، فاستحال على ذلك حمل هذه النصوص على ظاهرها، فقالوا: النصّ قد ثبت بالنقل، فلا يمكن رده، وحمله على ظاهره تشبيه وتجسيم فلا يجوز، وما دامت اللغة العربية قد وردت بالحقيقة والمجاز، تتخرج هذه النصوص على المجاز تخلصًا من المحذورين: محذور ردّ النص، ومحذور التشبيه والتجسيم[3].

فيعلم بهذا أن الموضوع كلّه باطل، قائم على باطل، فإن القول بالمجاز قول مبتدع محدث لا أصل له في اللغة ولا في الشرع، فأئمة اللغة المتقدمون كالخليل بن أحمد[4]، وسيبويه[5]، وأبي

---

علي وعثمان رضي الله عنهم والحكمين، ومن رضي بالتحكيم، وأصحاب الجمل، تكفير مرتكب الكبيرة، وجوب الخروج على الإمام الجائر. انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٤٧)، مقالات الإسلاميين (١/ ٨٤)، الملل والنحل (١/ ١١٤).

(١) نقله عنه ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٤).

(٢) الرد على المريسي (٢/٨٥٥).

(٣) انظر: الشافي (١٤٥/٣).

(٤) هو: الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، ومخرجه إلى الوجود، أحد الأعلام، مات ولم يتمم كتاب العين، ولكن العلماء يغرفون من بحره، وكان الخليل رجلاً صالحاً عاقلاً، حليماً وقوراً، ومن كلامه: لا يعلم الإنسان خطأ معلمه حتى يجالس غيره، مات: سنة بضع وستين ومائة، وقيل: بقي إلى سنة سبعين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٢٩)، ووفيات الأعيان (٢/ ٢٤٥).

(٥) هو: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي، ثم البصري، وسيبويه لقب ومعناه رائحة التفاح، حجة العرب، أول من انشأ علم النحو، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيها كتابه الكبير " كتاب سيبويه في النحو"، وأخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد وغيره، وقعت مناظرة بينه وبين الكسائي مات ١٨٠هـ. انظر: معجم الأدباء (٥/ ٢١٢٢)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥١).

عمرو بن العلاء[١] لم يتكلموا فيها ولا يوجد فيما وصل إلينا من كتبهم وكلامهم أدنى إشارة إلى هذا الاصطلاح! أو حتى إلى تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز، كما لا يوجد هذا التقسيم عند أئمة الفقهاء، والأصوليين، فالشافعي[٢] رحمه الله أول من تكلم في علم الأصول وقد وصل إلينا أهم كتبه في هذا العلم وهو (الرسالة) ولا يوجد في كتابه هذا أدنى إشارة إلى هذا التقسيم لا من قريب ولا من بعيد، كما أنه لم ينقل هذا التقسيم عن أي واحد من الأئمة كمالك[٣] وأبي حنيفة[٤] والثوري[٥] والأوزاعي[٦] وغيرهم.[٧]

وعلى هذا فالقول بالمجاز الذي هو قسيم الحقيقة قول محدث وقد حدث بعد القرون المفضلة، يقول ابن القيم: " وإذا علم أن تقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز ليس تقسيما شرعيا ولا عقليا ولا لغويا

---

(١) هو: أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ثم المازني، البصري، شيخ القراءة والعربية في البصرة، اختلف في اسمه على أقوال: أشهرها: زبان، وقيل: العريان، اشتهر بالفصاحة، والصدق، مدحه الأصمعي والفرزدق، وغيرهما كثير، توفي رحمه الله سنة ١٥٧هـ. انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة (٤/ ١٣١)، وسير أعلام النبلاء(٦/ ٤٠٧).

(٢) هو: الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي، المكي، اتفق مولده بغزة، نشأ في مكة يتيما، أقبل على العربية والشرع، فبرع في ذلك، ثم حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه، تتلمذ على يد الإمام مالك، وعاصر الإمام أحمد، مصنفاته كثيرة وتأصيلية للعلوم، ومنها الرسالة، وغيرها كثير، توفي سنة ٢٠٤هـ رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥)، ووفيات الاعيان (١٦٣/٤)، وطبقات الشافعية الكبرى (٧١/٢).

(٣) هو: الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك، الأصبحي، المدني إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأعلام، أخذ القراءة عرضا عن نافع، وسمع الزهري ونافعا مولى ابن عمر، ولد ومات في المدينة، كان صلبًا في دينه، يهابه الملوك والأمراء، من أشهر مصنفاته: الموطأ، صنفت في مناقبه الكتب، توفي رحمه الله سنة ١٧٩هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٣٥)، وسير أعلام النبلاء(٤٨/٨).

(٤) هو: الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الفقيه الكوفي، كان خزازاً يبيع الخز،اختلف في رؤيته وإدراكه للصحابة، وكان عاملاً زاهداً عابداً ورعاً تقياً كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى، وكان قويّ الحجة، من أحسن الناس منطقا، قال الإمام مالك، يصفه: رأيت رجلا لو كلمته في السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته! توفي رحمه الله سنة ١٥٠هـ شهيدا.انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٤٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٤٠٣)، والأعلام للزركلي (٨/ ٣٦)

(٥) هو: الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه. ولد ونشأ ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم، فأبى. وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً، له كتاب (الجامع) في الحديث، توفي رحمه الله سنة ١٦١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٠)، وفيات الأعيان (٣٨٦/٢).

(٦) هو: الإمام عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي، كان يسكن بمحلة بمحلة الأوزاع بدمشق، وهي العقيبة الصغيرة، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات سنة ١٥٧هـ، روى عنه الزهري ومالك وغيرهما كثير، كان مولده في حياة الصحابة. انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، ووفيات الأعيان (٣/ ١٢٧).

(٧) انظر: الإيمان– تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي– تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني– المكتب الإسلامي، عمان، الأردن– ط٥، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م– (ص٧٣، ٧٤).

فهو اصطلاح محض وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين "[١].

وأما زعمهم أن حمل النصوص على معانيها الحقيقية يستلزم التجسيم والتشبيه فإنه باطل إذ إنه من المعلوم لكل مسلم أن كل ما أخبر به الله يستحيل أن يلزم عليه باطل، ... ولا يخفى على أحد أن الذي يقول إن الاستواء على العرش يلزمه مشابهة الحوادث أن إلزامه هذا اعتراض صريح على من أخبر بالاستواء وهو الله عز وجل، ومن ظن أن ظواهر آيات الصفات دالة على اتصافه تعالى بصفات تشبه صفات الخلق فهو مخطئ بل ظاهرها اتصافه بتلك الصفات المنزهة عن مشابهة صفات المخلوقين، ومن أوضح الأدلة على أن آيات الصفات لم يرد بها شيء من المعاني التي يحملها عليه المتأولون أنها لو كان يراد بها ذلك لبادر النبي ﷺ إلى بيانه لأنه لا يؤخر البيان عن وقت الحاجة إليه كما تقرر في الأصول ولا سيما في العقائد[٢].

ومما يدل على فساد القول بالمجاز قول القائلين به: " أن كل مجاز يجوز نفيه ويكون نافيه صادقا في نفس الأمر فتقول لمن قال رأيت أسدا يرمي ليس هو بأسد وإنما هو رجل شجاع فيلزم على القول بأن في القرآن مجازا أن في القرآن ما يجوز نفيه، وبناًء عليه يكون قول القائل: ليس لله يد، ولا وجه، ولا ينزل، ولا يضحك، ولا يرضى، ولا يجئ، أصح من قوله: لله يد، ووجه، وينزل، ويضحك، ويجئ، وهذا عين المحادة لله، بل هو تكذيب صريح لله ولرسوله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً.

ولا شك أنه لا يجوز نفي شيء من القرآن وهذا اللزوم اليقيني الواقع بين القول بالمجاز في القرآن وبين جواز نفي بعض القرآن قد شوهدت في الخارج صحته وأنه كان ذريعة إلى نفي كثير من صفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن العظيم، وعن طريق القول بالمجاز توصل المعطلون لنفي ذلك فقالوا لا يد ولا استواء ولا نزول ونحو ذلك في كثير من آيات الصفات لأن هذه الصفات لم ترد حقائقها بل هي عندهم مجازات فاليد مستعملة عندهم في النعمة أو القدرة، والاستواء في الاستيلاء، والنزول نزول أمره، ونحو ذلك فنفوا هذه الصفات الثابتة بالوحي عن طريق القول بالمجاز !![٣].

والقول بالمجاز يصح كما يقول شيخ الإسلام: " لو علم أن الألفاظ العربية وضعت أولا لمعان ثم بعد ذلك استعملت فيها فيكون لها وضع متقدم على الاستعمال وهذا إنما يصح على قول من يجعل اللغات اصطلاحية فيدعي أن قوما من العقلاء اجتمعوا واصطلحوا على أن يسموا هذا بكذا وهذا بكذا ويجعل هذا عاما في جميع اللغات ... والمقصود هنا أنه لا يمكن أحد أن ينقل عن

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٢٨٧).

(٢) انظر: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز– محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي– تحقيق : من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي – دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة– (ص: ٥٠).

(٣) انظر: منع جواز المجاز (ص٧)، الاشاعرة في ميزان اهل السنة نقد لكتاب أهل السنة الأشاعرة : شهادة علماء علماء الأمة وأدلتهم– فيصل بن قزار الجاسم– المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة ، الكويت–ط١، ١٤٢٨هـ–٢٠٠٧م– (ص:١٦٠).

العرب بل ولا عن أمة من الأمم أنه اجتمع جماعة فوضعوا جميع هذه الأسماء الموجودة في اللغة ثم استعملوها بعد الوضع وإنما المعروف المنقول بالتواتر استعمال هذه الألفاظ فيما عنوه بها من المعاني(١).

**المسألة الثانية: ترجيحه التأويل للصفات:**

ذكر الإمام ابن الأثير رحمه الله أن الصفات التي ورد النص بإثباتها لله تعالى مما لا سبيل للعقل إلى إثباتها الواجب فيها الإيمان بها، ثم إما التفويض، وإما التأويل، وقد رجح ابن الأثير التأويل.

وقرر هذا في عديد من الصفات التي تكلم عليها، ومن الأمثلة على ذلك:

قوله عند شرح حديث " **مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمرةٍ مِن كَسْبٍ طيبٍ، وَلَا يَقبَلُ اللهُ إِلَا الطَّيِّب، وَإِنَّ اللهَ يَتقبَّلُهَا بِيَمِينِه، ...**"(٢): " ويد الرحمن لا يجوز حملها على ظاهرها، ...، وقد وردت هي وغيرها من الأسماء الموضوعة بإزاء الجوارح، كالعين، والوجه، والإصبع، والساق، وكل شيء من ذلك فإنما يطلق على الله من طريق المجاز، والناس في أمثال هذه الاسماء على ثلاثة أقسام:..."(٣). فذكر الأقسام الثلاثة، وعلق عليها، وهي كالتالي:

**القسم الأول:** وهم الذين أجروها على ظاهرها اللغوي، فجعلوا لله عينًا ووجهًا ويدًا وقدما وساقا، وكذلك كل ما جاء في ذلك من القرآن والسنة، ثم علق عليهم بأن هؤلاء هم المجسمة والمشبهة.

**أما القسم الثاني:** وهم الذين أجروا هذه الأسماء والصفات على ما جاءت عليه من غير تعرض إلى ما يراد بها، ولا لتأويل معناها، وأنهم مع ترك تأويلها ينفون التجسيم والتشبيه، ويقولون: إن هذه الأسماء هي صفات الله منها ما يسمى يدًا، ومنها ما يسمى وجهًا ونحو ذلك، ونسب هذا القول لأكثر أهل الحديث وخلق كثير من السلف، وعلق عليه بأن هذا طريق صالح حميد العاقبة، مأمون الغائلة، وصاحبه غير مؤاخذ بجريمة، ولا مطالب بعظيمة.

**أما القسم الثالث:** وهم الذين أتوا هذا دار العلم من بابها، فتسنى لهم حصول الطلب، وأنهم هم الذين مدحهم الله وأثنى عليهم بقوله : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]،

---

(١) انظر: الإيمان لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص: ٧٦-٧٨)، وللاطلاع على المزيد من بطلان تقسيم الكلام الى حقيقة ومجاز، وبيان خطأ العلماء من أهل السنة ممن قال بالمجاز، والرد على شبهات القائلين بالمجاز بالتفصيل، وبيان المقصود بالمجاز الذي الذي ذكره الإمام أحمد وغيره، انظر: كتاب الايمان (ص: ٧٣-٨٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم ٢٢٣١، (ص: ٤٦٠).

(٣) الشافي (٣/ ١٤٢، ١٤٣).

وطريقتهم في نصوص الصفات كانت: أنه ما لا يحيله العقل ولا الشرع ولا دل على خلافه دليل ثابت، أجروها على ما دلت عليه لأنه لم يفض إلى مستحيل تنكره العقول.

وما لم يكن حاله كذلك، أولوه بضرب من التأويل تحتمله اللغة والشرع معا، ولم يخرجوه عن مدلولها، وأنهم بذلك جمعوا بين دليلي العقل والشرع.

ثم ضرب مثالًا على ذلك كلمة يد– أو يمينه –[1] الواردة في الحديث السابق، وذكر لها أكثر من عشرة معاني تحتملها اللغة، ثم رجح أنها بمعنى القدرة أو النعمة[2].

ثم بين ابن الأثير غفر الله له السبب الذي دفعه لأن يسلك هذا المسلك في نصوص الصفات، وهو مسلك التأويل فقال: " لما دل الدليل القطعي على ان الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن يكون جسمًا ولا جوهرًا ولا عرضًا، ولا يجوز أن يجري عليه أحكام الأجسام والجواهر من الحلول والاستقرار[3]، وغير ذلك مما أوجب العقل الصحيح والدليل الصريح نفيه عنه، وجاءت لفظة اليد

---

(١) ذكر في كلامه أن تأويل اليد ينطبق على تأويل كلمة اليمين. انظر الشافي (٣/ ١٥٠).

(٢) انظر: الشافي شرح مسند الشافعي (٣/ ١٤٢–١٤٥).

(٣) سبق ذكر بعض هذه الألفاظ في المباحث السابقة من هذه الرسالة، مثل: المكان، والعرض، والجوهر وغيرها، وسيرد في المباحث القادمة أيضا ألفاظ أخرى مثل: الحلول، والاستقرار، والحركة، والسكون وغيرها.

وها هنا يجمل الحديث عن هذه الألفاظ فيقال: إن هذه الألفاظ المجملة المتشابهة المحدثة الكلامية لا تقبل مطلقاً ولا ترد مطلقاً قبل أن يعلم مراد قائلها، بل لابد أن يستفسر قائلها عن مراده؛ فإن أراد معنًى حقاً موافقاً للكتاب والسنة قبل قوله، وإن أراد معنى باطلا رد.

قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: " للناس في إطلاق مثل هذه الألفاظ ثلاثة أقوال: فطائفة تنفيها، وطائفة تثبتها، وطائفة تفصل، وهم المتبعون للسلف... لأن المتأخرين قد صارت هذه الألفاظ في اصطلاحهم فيها إجمال وإبهام كغيرها من الألفاظ الاصطلاحية، فليس كلهم يستعملها في نفس معناها اللغوي، ولهذا كانت النفاة ينفون بها حقاً وباطلاً... وبعض المثبتين لها يدخل لها معنى باطلاً مخالفاً لقول السلف... وليس لنا أن نصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصف به رسوله ﷺ نفياً وإثباتاً وإنما نحن متبعون لا مبتدعون، فالواجب أن ينظر في هذا الباب، أعني باب الصفات فما أثبته الله ورسوله ﷺ أثبتناه، وما نفاه الله ورسوله ﷺ نفيناه... وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحاً قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب به ونحو ذلك". شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢١٨)، وانظر: منهاج السنة النبوية– أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس– تحقيق : د. محمد رشاد سالم– مؤسسة قرطبة– ط١، ١٤٠٦هـ– (٢/ ٣٢٢، ٣٤٩)، والتدمرية (ص: ٦٥).

وقال ابن أبي العز أيضاً بعد ما أكد أن يجعل الكتاب والسنة أصلاً ودليلاً: "ويجعل أقوال الناس التي توافقه أو تخالفه متشابهة مجملة، فيقال: لأصحابها هذه الألفاظ يحتمل كذا وكذا، فإن أرادوا بها ما يوافق خبر رسول الله ﷺ قبل، وإن أرادوا بها ما يخالفه رد، وهذا مثل لفظ المركب والجسم، والحيز، والجوهر والجهة، والحيز، والعرض، ونحو ذلك... وإذا وقع الاستفسار والتفصيل تبين الحق من الباطل". شرح الطحاوية (ص: ٢٠٦)

احتجنا أن نحملها على وجه يجمع فيه بين الأمرين، وعلى ذلك جاء في الرواية الاخرى: " كما يضعها في كف الرحمن "[١] يريد بالكف: ما أراد باليد لأن الكف بعض اليد. والله أعلم "[٢].

وكذلك عند بيانه لمعنى قول النبي ﷺ: " **والْخَيْرُ بِيَدَيْك** "[٣] قال: " واليد وإطلاقها على الله تعالى من قبيل التشبيه المحض، إذا أريد بها الجارحة ونعوذ بالله من ذلك، وإنما يراد بها القدرة والاستيلاء والحكم "[٤].

وعند شرحه لآية ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، نقل كلام الزمخشري[٥] في تأويله للآية فقال: " قال الزمخشري: ... وفي قراءة عبد الله " بل يداه بسطان " جعل بسط اليد كناية عن الجود وتمثيلا، ولا يد ثم ولا بسط، تعالى الله عن ذلك "[٦].

والذي يظهر من كلام ابن الأثير في أكثر من موضع أنه يعتبر التفويض والتأويل أصح الطرق في فهم وبيان معاني الأسماء والصفات، وأنهما " أي التفويض والتأويل " منهجان لأهل السنة والجماعة في صفات الله، مع ترجيحه للتأويل واعتباره طريق المحققين.

فإنه يقول : " وأما الاستواء على العرش فالمسلمون فيه مختلفون، والذي ذهب إليه أهل السنة والجماعة فيه مذهبان: ... " [٧]، ثم ذكر المذهبين: وهما التفويض والتأويل، ورجح التأويل، ثم اعتبر الإثبات هو طريق المجسمة والمشبهة، وسيأتي مزيد بيان وتوضيح لذلك.

---

ثم ذكر رحمه الله أنه لا يوافق هؤلاء على هذه التسميات ولا كرامة فإن سموا إثبات الصفات تركيباً مثلاً، فنقول لهم: العبرة للمعاني لا للألفاظ سموه ما شئتم، ولا يترتب على التسمية بدون المعنى حكم، فلو اصطلح على تسمية اللبن خمراً لم يحرم بهذه التسمية. انظر: شرح الطحاوية (ص: ٢٠٧).

فإذن من يسمي صفات الله تعالى من العلو والنزول والاستواء والوجه واليد، والقدم، والغضب، والرضا، والمحبة، يقال له: سم ما شئت فلا يجوز إبطال صفات الله تعالى بالتسميات المبتدعة والألقاب الشنيعة من الحيز، والجهة، والمكان، وحلول الأعراض، والتشبيه، والتجسيم وغيرها؛ فالعبرة للمعاني لا للمباني.

(١) أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم ٢٢٣١، (ص: ٤٦٠).

(٢) الشافي (٣/ ١٤٦).

(٣) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها ووقتها، حديث رقم ٢٧٠٣، (ص: ٥٤٩).

(٤) الشافي (١/ ٥٣٥). وقال في موضع آخر:" واليد عبارة عن العطاء والإنعام" الشافي (٣/ ٤٢٨).

(٥) هو العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري، الخوارزمي، النحوي، صنف التصانيف الكثيرة: منها الكشاف في تفسير القرآن العزيز، والفائق في تفسير الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، سافر إلى مكة، وجاور بها زماناً، فصار يقال له " جار الله " لذلك، وكان هذا الاسم علماً عليه، وكان داعية إلى الاعتزال، الله يسامحه. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٥١)، وفيات الأعيان (٥/ ١٦٨).

(٦) النهاية (ص: ٧٧).

(٧) الشافي (٢/ ١٥١-١٥٣)، وانظر كلامه في تفسيره= الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله- دار الكتاب العربي، بيروت- ط٣ ، ١٤٠٧ هـ- (١/ ٦٥٤).

والأمثلة التي تبين تبني ابن الأثير للتأويل في الصفات كثيرة جدا، وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل في المسألة الثالثة.

والطريق التي اختارها ابن الأثير غفر الله له في فهم الصفات، نتيجة طبيعية لموقفه من الحكم على نصوص الصفات بكونها من باب المجاز، فالتأويل ملازم للمجاز.

فمن حكم عليها بأنها من باب المجاز، لزم أن يصرفها عن ظاهرها إلى المعنى المجازي فيها، وهذا هو التأويل.

فعلم أن هذه الأمور مرتب بعضها على بعض، وقد تبين – فيما سبق – أن القول بأن نصوص الصفات من باب المجاز قول باطل، وما بني على باطل فهو باطل، فالتأويل ويلحقه التفويض باطلان، وهما مخالفان لمذهب السلف في صفات الله تعالى.

وفيما يلي مناقشة التأويل والتفويض في صفات الله تعالى وبيان بطلانهما:

**أولًا: التفويض:**

**التفويض لغةً:** مأخوذ من قولهم: فوض الأمر إليه، إذا رده وصّيره إليه، وجعله الحاكم فيه[١].

**وأما في الاصطلاح:** فالتفويض هو رد العلم بنصوص الصفات إلى الله تعالى[٢].

وهو قسمان[٣]:

الاول: تفويض الكيفية، وهو تفويض السلف، وهو الإيمان بألفاظ نصوص الصفات، واعتقاد ما دلت عليه من المعاني اللائقة بالله تعالى، وتفويض كيفية اتصاف الله تعالى بهذه الصفات.

الثاني: تفويض المعنى، وهو تفويض الخلف، وهو الإيمان بألفاظ نصوص الصفات، مع تفويض ما دلت عليه من معاني إلى الله تعالى – الجهل بما دلت عليه من معاني – وهو الذي كان ينسبه ابن الأثير إلى السلف.

والتفويض بالمعنى الأخير باطل، ونسبته إلى السلف أيضاً باطل: لوجوه كثيرة:

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين، بيروت- ط٤، ١٤٠٧ هـ١٩٨٧م- (١٠٩٩/٣)، مقاييس اللغة (٤٦٠/٤)، لسان العرب (٢١٠/٧)، والنهاية (ص: ٧٢٠)، تاج العروس من جواهر القاموس- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي- تحقيق: مجموعة من المحققين- دار الهداية- (٤٩٦/١٨).

(٢) انظر: القواعد المثلى (ص: ٣٧، ٣٨)، تقريب التدمرية- محمد بن صالح بن محمد العثيمين- دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودسة- ط١، ١٤١٩هـ- (ص: ٦٩)، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات- أحمد بن عبد الكريم القاضي- دار ابن الجوزي- ط٢، ١٤٢٤هـ- (ص: ١٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٩/٥)، والمصادر السابقة.

١ــ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " من المعلوم أن الله تعالي أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا علي عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟ ... فعلي قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون، وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه، لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه "[(١)].

٢ــ أن أئمة السلف قد فسروا كثيرا من آيات الصفات، ونقل تفاسيرهم لها غير واحد، مما يدل أنهم فهموا معانيها، فالإمام البخاري رحمه الله عقد بابا في صحيحه باسم " باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، ثم ذكر تفاسير السلف في استواء الله على العرش، فقال: " قال أبو العالية[(٢)]: {استوى إلى السماء} " ارتفع " ، وقال مجاهد[(٣)]: {استوى}: "علا " {على العرش} "[(٤)].

وكذلك ابن جرير الطبري قال: " وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: " ثم استوى إلى السماء فسوّاهن ":علا عليهن وارتفع، فدبرهنّ بقدرته، وخلقهنّ سبع سموات، والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، الذي هو بمعنى العلو والارتفاع! "[(٥)].

٣ــ وكذلك السلف كانوا يميزون بين صفة وصفة وكانوا يصرحون بأن هذه الصفة غير تلك الصفة، وليست عينها، ولا يجوزون تفسير أحداها، بالأخرى، يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله: " وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال إن يده قدرته أو نعمته لأن فيه إبطال الصفة وهو قول أهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفات الله تعالى بلا كيف "[(٦)].

---

(١) درء التعارض (١/ ٢٠١، ٢٠٢)

(٢) هو: رفيع بن مهران الرياحي البصري، المقرئ، الحافظ، المفسر، أبو العالية الرياحي، أحد الأعلام، أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، وسمع من: عمر، وعلي، وأبي، وأبي ذر، وابن مسعود، وعائشة، وأبي موسى، وابن عباس، وعدة.وحفظ القرآن، وقرأه على: أبي بن كعب، توفي سنة ٩٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧).

(٣) هو: الإمام مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، شيخ القراء والمفسرين، من كبار التابعين، روى عن: ابن عباس، وعائشة، وأبو هريرة وغيرهم كثير، اختلف في سنة وفاته ، والأغلب أنه مات بعد المائة، قال:عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقفه عند كل آية، أسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩)، معجم الأدباء (٥/ ٢٢٧٢).

(٤) انظر: درء التعارض (١/ ٢٧٨).

(٥) تفسير الطبري (١/ ٤٣٠).

(٦) الفقه الأكبر- أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه- مكتبة الفرقان، الإمارات العربية- ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م- (ص: ٢٧).

٤ـ يلزم من التفويض لوازم باطلة، منها:

❖ استجهال السلف من الصحابة والتابعين وأتباعهم وجعلهم بمنزلة الأميين الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني(١).

❖ القدح في الرب سبحانه وتعالى، وفي النبي ﷺ، وذلك بأن يكون الله قد أنزل كلاما لا يفهمه الناس، ولا يعقلون معناه، وأن يكون النبي ﷺ لم يبلغ البلاغ المبين، ولم يبين للناس ما أنزل إليهم(٢).

❖ استطالة نفاة المعاد وغيرهم من الملاحدة على المفوضة فيقول الواحد منهم: الحق هو ما علمته برأيي أنا وعقلي، وليس فيما ذكر في النصوص، لأن تلك النصوص مشكلة لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم معناه لا يجوز الاستدلال به، فبذلك يبقى مذهب التفويض ساداً لباب الهدى والبيان، وفاتحاً لباب الزيغ والضلال(٣).

**ثانياً: التأويل:**

**التأويل لغةً:** ماخوذ من الأول، يقال: آل يؤول إذا رجع، وأوّل الكلام إذا فسره.

وكلمة التأويل تدور على معنيين رئيسيين:

أحدهما: العاقبة، والمرجع، والتفسير، والثاني: التفسير، والتدبر، والبيان(٤).

**وأما في الاصطلاح:** فالسلف يطلقون التاويل ويريدون به أحد المعنيين السابقين، وهما: العاقبة والتفسير(٥).

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله: " وأما معنى " التأويل " في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير "(٦).

وأما في اصطلاح المتاخرين فقد ابتدعوا له تعريفا لم يكن معروفاً عند السلف، فقالوا: هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح(٧).

---

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ١٩٠)

(٢) انظر: درء التعارض (١/ ٢٠٤)

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٢٠٢– ٢٠٥).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٢٩، ٣٣٠)، الصحاح (٤/ ١٦٢٧)، مقاييس اللغة (١/ ١٥٨، ١٥٩)، النهاية (ص: ٥٣)، مختار الصحاح (ص: ٢٥)

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٥/٣٤٧– ٣٥٠)(١٣/٢٨٨، ٢٨٩) (١٧/ ٣٦٤– ٣٧٢)، درء التعارض (١/١٤، ١٥)، الصواعق المرسلة (١/ ١٧٧، ١٧٨)، وأضواء البيان (١/١٨٩، ١٩٠).

(٦) تفسير الطبري (٦/ ٢٠٤)

(٧) انظر: الإحكام في أصول الأحكام– أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري– تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر– دار الآفاق الجديدة، بيروت– (١/ ٤٢)، المستصفى– أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي– تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي– دار الكتب العلمية– ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م– (٢/ ٤٨) وما بعدها، الإحكام في أصول الأحكام– أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي– تحقيق: عبد الرزاق عفيفي– المكتب الإسلامي– بيروت، لبنان– (٣/ ٥٢– ٥٤)، التعريفات– علي بن

وعند تأمل تعريف المتأخرين للتأويل تظهر الصلة الوثيقة بينه وبين المجاز، فالمجاز قريب جدا من التاويل، وفي ذلك يقول الغزالي[1] _ رحمه الله_:

" ويشبه أن يكون كل تأويل صرفا للفظ عن الحقيقة إلى المجاز "[2].

والقول بالتأويل في نصوص الصفات – بمعنى: صرف اللفظ من الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح – باطل؛ وبيان ذلك من أوجه كثيرة ذكرها اهل العلم، ومنها:

١- أن التأويل بهذ المعنى اصطلاح متاخر بعد عصر السلف، فلم يكن معروفا عند الصحابة والتابعين بهذا الاصطلاح[3].

٢- أن المتأولين للصفات في أمر مريج، فإنهم قد عجزوا عن بيان الفرق بين ما يجوز تأويله من الصفات وبين ما لا يجوز، بل ربما زعم أحدهم ان العقل جوز أو أوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله[4].

٣- أن التأويل بهذا المعنى المتأخر مبني على أساس فاسد، وهو ظنهم أن ظاهر نصوص الصفات باطل لا يليق بالله تعالى، وهذا جناية على النصوص حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله تعالى، ولا مراد له[5].

٤- أن المتأولين ليسوا جازمين بالمعنى الذي عينوه، وصرفوا اللفظ إليه، فيكون تأويلهم من القول على الله بلا علم، وهو محرم لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] [6].

٥- أنه يلزم من التأويل محاذير عظيمة، منها:

---

محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني- ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلمية بيروت، لبنان- ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م- (ص: ٥٠)، إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني- تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية- دار الكتاب العربي، دمشق – ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م- (٢/ ٣٢، ٣٣)، والنهاية (ص: ٥٣).

(١) هو الإمام محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزّالي ( بفتح الغين، وتشديد الزاي)، أبو حامد، زين الدين، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان ، صاحب ذكاء مفرط، أدخله سيلان ذهنه في مضايق الكلام، ومزال الأقدام، ولله سر في خلقه، من مصنفاته: الوسيط والبسيط والوجيز في الفقه، وإحياء علوم الدين، وفي الأصول المستصفى، توفي رحمه الله سنة ٥٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢)، وفيات الأعيان (٤/ ٢١٧)، وجامع الأصول (١٢/ ٧٦٥).

(٢) المستصفى (ص: ١٩٦)، وانظر: الصواعق المرسلة (١/ ١٧٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤٠٨/١٦)، درء التعارض (٢٣٥/٥).

(٤) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٢٧٢)، الصواعق المرسلة (١/ ٢٢٠).

(٥) انظر: التدمرية (ص: ٦٩).

(٦) انظر: درء التعارض (١/ ١٢).

❖ أن لا يكون الكتاب والسنة هدى وشفاءً وبياناً للناس، بل يكون الكتاب والسنة سبب للاختلاف والتنازع بينهم، ويكون تركهم بلا كتاب وسنة أنفع لهم من وجودهما[(١)].
❖ أن يكون الله تعالى قد كلف عباده ألا يفهموا من النصوص ظواهرها وحقائقها، وإنما كلفهم أن يفهموا منها ما لا تدل عليه، ولم يجعل معها قرينة تفهم ذلك، وهذا عذاب عظيم للعقول والقلوب[(٢)].
❖ أن من أول ظواهر نصوص الصفات وزعم أن الحق في تأويله، يلزمه استجهال السلف من الصحابة والتابعين، أو أنهم كتموا الحق ولم يوصلوه إلى الناس، وكلا الأمرين يجمعان بين الظلم والضلال[(٣)].
❖ أن القائلين بالتأويل يلزمهم فتح باب التاويل في باقي النصوص، كنصوص المعاد والجنة والنار، وقبول تأويل من أولها، إذ الموجب لتأويلها وصرفها عن ظاهرها واحد، وهو الزعم بإحالة العقل لظاهرها، وحينئذ يفتح على مصراعيه لكل من شاء أن يقول في نصوص الكتاب والسنة ما شاء بحجة العقل[(٤)].

وبما سبق يتبين بطلان التاويل في نصوص الصفات، وإن الحق الذي لا مرية فيه هو ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها من إجراء النصوص على ظاهرها اللائقة بالله تعالى، وترك التاويل فيها، وممن حكى الإجماع على ذلك:

الإمام محمد بن الحسن الشيباني– [(٥)(٦)] – صاحب أبي حنيفة –. والإمام إسماعيل بن يحيى يحيى المزني[(٧)(١)]. والإمام أبو نصر الكلّاباذي[(٢)(٣)]، والحافظ ابن خزيمة[(٤)]، والإمام محمد بن أبي

---

(١) انظر: درء التعارض (٥/ ٢١٤)، الصواعق المرسلة (١/ ٣١٦).

(٢) انظر: التمهيد (٧/ ١٣١)، والصواعق المرسلة (١/ ٣١٤).

(٣) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ١٦٥)، الفتوى الحموية الكبرى (ص: ١٩٠).

(٤) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٢٨٢، ٢٨٥)، الصواعق المرسلة (١/ ٣٤٨ وما بعدها).

(٥) هو العلامة محمد بن الحسن بن فرقد أبو عبد الله الشيباني، فقيه العراق، صاحب أبي حنيفة، روى عن أبي حنيفة، والأوزاعي، ومالك بن أنس وغيرهم، وروى عنه الشافعي وغيره، توفي رحمة الله سنة تسع وثمانين ومائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣٤)، وفيات الأعيان (٤/ ١٨٥).

(٦) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة– أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي– تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي– دار طيبة، السعودية– ط٨، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م– (٣/ ٤٨٠).

(٧) هو الإمام، العلامة، أبو إبراهيم، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، المزني، المصري، تلميذ الشافعي، امتلأت البلاد بـ (مختصره) في الفقه، بحيث يقال: كانت البكر يكون في جهازها نسخة منه، صنف كتبا كثيرة منها: الجامع الكبير، والجامع الصغير، قال الشافعي: المزني ناصر مذهبي، وكان يغسل الموتى احتسابا، وهو الذي غسل الشافعي، توفي: في رمضان، سنة٢٦٤هـ. انظر: جامع الأصول (١٢/ ١٨٠)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢).

أبي زمنين[٥][٦]، والإمام أبو عمر احمد بن محمد الطلمنكي[٧][٨]، وأبو نصر السجزي[٩][١٠]، والقاضي أبو يعلى[١١][١]، وابن أبي يعلى[٢][٣]، وابن عبد البر[٤]، والإمام ابن قدامة[٥][٦]، وشيخ وشيخ الإسلام ابن تيمية[٧]، وغيرهم.

---

(١) انظر: شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني- إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني- تحقيق: جمال عزون- مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية- ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م- (ص: ٨٩).

(٢) هو الإمام، الحافظ، أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين البخاري، الكلاباذي، وكلاباذ: محلة من بخارى، صنّف رجال "صحيح البخاري " وغيره، توفي: في جمادى الآخرة سنة ٣٩٨هـ. انظر: شذرات الذهب (٤/ ٥١٤)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٩٤).

(٣) انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف- أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي- دار الكتب العلمية، بيروت- (ص: ٣٥).

(٤) انظر: ذم التأويل- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة، الشهير بابن قدامة المقدسي- تحقيق: بدر بن عبد الله البدر- الدار السلفية، الكويت- ط١، ١٤٠٦هـ- (ص: ١٨)، ولم يجد الباحث كلامه في كتبه.

(٥) هو الإمام، القدوة، الزاهد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى، الأندلسي، شيخ قرطبة، المعروف بابن أبى زمنين، اختصر المدونة، وله منتخب الأحكام مشهور، وكتاب أصول السنة، وكان من حملة الحجة، وزمنين بفتح الميم، ثم كسر النون توفي سنة ٣٩٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٨)، تاريخ الإسلام (٢٧/ ٣٧٩).

(٦) انظر: أصول السنة- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زمنين المالكي- تحقيق: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري- مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية- ط١، ١٤١٥ هـ- (ص: ١١٠).

(٧) هو الإمام، المقرئ، المحدث، الحافظ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري، الطلمنكي، وطلمنك - بفتحات ونون ساكنة -:مدينة استولى عليها العدو قديما، صنف كتبا حسانا نافعة على مذاهب السنة، ظهر فيها علمه، واستبان فهمه، توفي سنة ٤٢٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٦٦)، تاريخ الإسلام (٢٩/ ٢٥٣).

(٨) نقله عنه شيخ الاسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى ( ٥/٥١٩)، العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمه- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي- تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود- مكتبة أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م- (ص: ٢٤٦).

(٩) هو الإمام، العالم، الحافظ، المجود، شيخ السنة، أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي، البكري، السجستاني، شيخ الحرم، ومصنف (الإبانة الكبرى) في أن القرآن غير مخلوق، وهو مجلد كبير، دال على سعة علم الرجل بفن الأثر، توفي أبو نصر: بمكة، في المحرم، سنة ٤٤٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٦٥٤)، تاريخ الإسلام (٣٠/ ٩٦).

(١٠) انظر: رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت- عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر- تحقيق: محمد با كريم با عبد الله-عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- ط٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م- (ص: ١٧٨).

(١١) هو الإمام، العلامة، شيخ الحنابلة، القاضي، أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي، الحنبلي، ابن الفراء، جمع كتاب (إبطال تأويل الصفات)، ألف كتاب أحكام القرآن، والرد على الجهمية،

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله رحمة واسعة، وجمعنا به في عليين مع النبيين: " وأما الذي أقوله الآن وأكتبه – وإن كنت لم أكتبه فيما تقدم من أجوبتي وإنما أقوله في كثير من المجالس – أن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة وما رووه من الحديث ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار أكثر من مائة تفسير فلم أجد – إلى ساعتي هذه – عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئا من آيات الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف؛ بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته وبيان أن ذلك من صفات الله ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله، وكذلك فيما يذكرونه آثرين وذاكرين عنهم شيئا كثيرا "[٨].

**تنبيه هام:**

عندما تكلم ابن الأثير رحمه الله عن مذاهب الناس في نصوص الصفات، ذكر مذهب التفويض، وذكر أنه قول أكثر أهل الحديث وخلق كثير من السلف، ثم قال: " حتى إن أحمد بن حنبل[٩][١] – رحمه الله – لم يؤول من الأحاديث الواردة في هذا الفن إلا ثلاثة أحاديث:

---

والكلام في الاستواء، والعدة في أصول الفقه وكان متعففا، كبير القدر، ثخين الورع، توفي: سنة ٤٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٨٩).

(١) انظر: إبطال التأويلات لأخبار الصفات– القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء– تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي– دار إيلاف الدولية، الكويت– (ص: ٧١).

(٢) هو الإمام، الفقيه، القاضي، أبو الحسين محمد ابن القاضي الكبير أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلي، البغدادي، تفقه بعد موت أبيه، وبرع وناظر، ودرس وصنف، وكان يبالغ في السنة، ويلهج بالصفة، كان له بيت فيه مال فعدي عليه من الليل، فقتل وأخذ ماله ليلة عاشوراء، سنة ٥٢٦هـ، ثم أظهر الله عز وجل على قاتله فقتلوه. انظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٠١)، البداية والنهاية (١٦/ ٢٩٤).

(٣) انظر: الاعتقاد– أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد– تحقيق : محمد بن عبد الرحمن الخميس– دار أطلس الخضراء– ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م– (ص: ٣١).

(٤) انظر: التمهيد (٧/ ١٤٥).

(٥) هو الشيخ، الإمام، القدوة، المجتهد، موفق الدين، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، الجماعيلي، ثم الدمشقي، الصالحي، الحنبلي، صاحب (المغني)، صنف المغني، والكافي، ومسألة العلو، والاعتقاد، وذم التأويل وأشياء، انتقل إلى رحمة الله يوم السبت، يوم الفطر، ودفن من الغد، سنة ٦٢٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ١٦٥).

(٦) انظر: تحريم النظر في كتب الكلام– أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي– تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية– عالم الكتب، الرياض– ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م– (ص: ٥٠).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤).

(٨) المصدر السابق (٦/ ٣٩٤).

(٩) قال ذلك لأنه يعتبر الإمام أحمد من المفوضة.

أحدها: قوله ﷺ : " **قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَينَ أُصْبُعينِ مِن أَصَابِعْ الرَّحمَنِ** "[٢].
والثاني: قوله ﷺ: " **إنّي لَأَجدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِن قِبَلِ اليَمَنِ** "[٣].
والثالث: قوله ﷺ: " **الْحَجرُ الْأَسْودُ يَمِينُ اللهِ فِي الأَرْضِ** "[٤].
ثم قال: وما لتخصيص هذه الأحاديث بالتأويل معنى تنفرد به عن غيرها من أحاديث الصفات، على أن هذا طريق صالح حميد العاقبة مأمون الغائلة "[٥].

فنسب ابن الأثير رحمه الله القول بالتاويل في بعض الصفات للإمام أحمد، وأنه مادام أن الإمام أحمد قد أول بعض الصفات فالتأويل إذا محمود، وأنه مادام أن الإمام أحمد قد أول بعض الصفات فإنه لا يمنع التأويل في باقي الصفات.

وهذه شبهة – أو قل فرية – يتناقلها أهل التاويل جيلاً عن جيل، متمسكين بها، متواصين بها، ليستدلوا بها على صحة مذهبهم في تأويل الصفات، وأنهم غير مخالفين لمذهب السلف.

والعجيب منهم أنهم يعظمون مثل هذه النقول – مع ما فيها من كلام – أما النصوص والروايات المشهورة المنقولة عن الإمام أحمد في إثبات الصفات، والرد على الجهمية، فهذه لا حجة فيها عندهم.

فهذا عبد الله[١] ابن الإمام أحمد يحدث في كتابه السنة عما يعتقده والده، فإنه لما سئل عما جحدت الجهمية من رؤية الله تعالى يوم القيامة قال: " رأيت أبي رحمه الله يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ في الرؤية ويذهب إليها وجمعها أبي رحمه الله في كتاب وحدثنا بها "[٢].

---

(١) هو الإمام، وشيخ الإسلام، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، الذهلي، الشيباني، أحد الأئمة الأعلام، تتلمذ على الشافعي وغيره، حدث عنه مسلم، وأبو داوود وغيرهم كثير، من أشهر مصنفاته المسند، امتحن في مسألة خلق القرآن وحبس وعذب ولكنه ثبت على الحق رحمه الله، توفي ضحوة نهار الجمعة، سنة إحدى وأربعين ومائتين ببغداد. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧)، وفيات الأعيان (١/ ٦٤).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٦٣).

(٣) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين= مسند الشامين – سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني– تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي– مؤسسة الرسالة، بيروت– ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م– (٢/ ١٤٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧/ ١٠٩٩).

(٤) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة = أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار– أبو الوليد محمد بن عبد الله بن عقبة بن الأزرق المكي المعروف بالأزرقي– تحقيق: رشدي الصالح ملحس– دار الأندلس للنشر، بيروت– (١/ ٣٢٥)، والفاكهي في أخبار مكة = أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه– أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي– تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش– دار خضر، بيروت– ط٢، ١٤١٤هـ– (١/ ٨٨)، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٣٩٠): " منكر"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "روي عن النبي ﷺ بإسناد لا يثبت" مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٧).

(٥) الشافي (٣/١٤٤).

ولما سئل عما جحدته الجهمية من كلام رب العالمين قال: " سألت أبي رحمه الله عن قوم، يقولون: لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت فقال أبي: " بلى إن ربك عز وجل تكلم بصوت هذه الأحاديث نرويها كما جاءت "(٣).

ويقول أبو بكر الخلال(٤) رحمه الله: " حدثنا أبو بكر المروذي(٥)، رحمه الله قال: سألت أبا عبد الله عن الأحاديث التي تردها الجهمية في الصفات، والرؤية، والإسراء، وقصة العرش، فصححها أبو عبد الله، وقال: " قد تلقتها العلماء بالقبول، نسلم الأخبار كما جاءت، قال: فقلت له: إن رجلا اعترض في بعض هذه الأخبار كما جاءت فقال: يجفى، وقال: ما اعتراضه في هذا الموضع؟، يسلم الأخبار كما جاءت "(٦).

وقال أبو يعلى رحمه الله: " وقال في رواية أبي طالب(٧) – القائل الإمام أحمد بن حنبل – : " قلب العبد بين أصبعين "(٨)،... وكلما جاء الحديث مثل هذا قلنا به "(٩).

---

(١) هو: الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، أبو عبد الرحمن ابن شيخ العصر أبي عبد الله الذهلي الشيباني، المروزي، ثم البغدادي، روى عن أبيه شيئا كثيرا، من جملته المسند كله، والزهد، وكان صينا دينا صادقا، صاحب حديث واتباع وبصر بالرجال، مات: في رجب سنة ٢٩٤هـ رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦).

(٢) السنة– أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني– تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني– دار ابن القيم، الدمام– ط١، ١٤٠٦هـ– (١/ ٢٢٩).

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد (١/ ٢٨٠)، والكتاب فيه كثير من النقولات عن علماء السلف في إثباتهم للصفات والرد على الجهمية، وكثير من الأحاديث التي تحدثت عن الصفات من طريق الإمام أحمد رحم الله الجميع.

(٤) هو: الإمام، الحافظ، شيخ الحنابلة، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال، ألف كتاب (السنة، وألفاظ أحمد، والدليل على ذلك من الأحاديث)، ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل، حتى تتبع هو نصوص أحمد، ودونها، وبرهنها بعد الثلاث مائة، فرحمه الله تعالى، توفي يوم الجمعة في شهر ربيع الأول سنة ٣١١هـ. انظر سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٩٧)، البداية والنهاية (١٥/ ٧).

(٥) هو: الإمام، القدوة، الفقيه، المحدث، أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي، نزيل بغداد، وصاحب الإمام أحمد وأجل أصحابه، وكان إماما في السنة، شديد الاتباع، له جلالة عجيبة ببغداد، توفي أبو بكر: في جمادى الأولى، سنة ٢٧٥هـ، ودفن قريبا من قبر أحمد بن حنبل رحمهما الله. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٣)، تاريخ الإسلام (٢٠/ ٢٧٥).

(٦) السنة– أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلّال البغدادي الحنبلي– تحقيق: د.عطية الزهراني – دار الراية، الرياض– ط١، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م– (١/ ٢٤٦).

(٧) هو: الإمام أحمد بن حميد أبو طالب الفقيه صاحب أحمد بن حنبل، فقير صالح، خير، عالم، له مسائل، روى عنه: أبو محمد فوزان، وزكريا بن يحيى، توفي سنة ٢٤٤هـ. انظر: تاريخ الإسلام (١٨/ ٣٩).

(٨) سبق تخريجه (ص: ٦٣).

(٩) إبطال التأويلات (ص: ٤٥).

ونقل في موضع آخر تنصيص الإمام أحمد على منع التأويل، وعلى قبول ظاهر الأحاديث مع نفي التشبيه، فقال: " وقال في رواية حنبل[١]: يضحك الله[٢]، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول وقال: المشبهة تقول: بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي، ومن قال ذلك فقد شبه الله بخلقه فقد نص أحمد على القول بظاهر الأخبار من غير تشبيه ولا تأويل "[٣].

فهذه الآثار عن الإمام أحمد وغيرها كثير تثبت أن الإمام أحمد رحمه الله لا يقول بالتأويل، بل يعتبره – تأويل الصفات – قول الجهمية، فهو منه بريئ والحمد لله[٤].

أما عن كلام ابن الأثير غفر الله له أن الإمام أحمد قال بالتأويل في النصوص الثلاثة السابقة، فإن هذه الشبهة ممن قال بها: الإمام الغزالي رحمه الله – في معرض حديثه عن الإمام أحمد ومنعه من التأويل – حيث قال: " سمعت بعض أصحابه يقول: إنه حسم باب التأويل إلا لثلاثة ألفاظ: قوله ﷺ: " **الْحَجرُ الْأَسْودُ يَمِينُ اللهِ فِي أَرْضِه** "[٥]، وقوله ﷺ: " **قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَينَ أُصْبُعينِ مِن أَصَابِعْ الرَّحمَنِ** "[٦]، وقوله ﷺ: " **إِنّي لَأَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِن جَانِب اليَمَنِ...**"[٧]"[٨].
**اليَمَنِ...**"[٧]"[٨].

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه الشبهة، وبين أنه لا حجة للمعطلة فيها، فقال: " وأما ما حكاه أبو حامد الغزالي عن بعض الحنبلية: أن أحمد لم يتأول إلا ثلاثة أشياء ...، فهذه الحكاية كذب على أحمد لم ينقلها أحد عنه بإسناد؛ ولا يعرف أحد من أصحابه نقل ذلك عنه، وهذا الحنبلي الذي ذكر عنه أبو حامد مجهول لا يعرف لا علمه بما قال ولا صدقه فيما قال "[٩].

**والخلاصة:**

١- أن هذا النقل وهذه النسبة إلى الإمام أحمد غير صحيحة.
٢- أن النقول الكثيرة والمتواترة عن الإمام أحمد تدل على إثباته للصفات، ومنعه من التأويل.

---

(١) هو الإمام، الحافظ، المحدث، حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، أبو علي، ابن عم الإمام أحمد، وتلميذه، سمع المسند من الإمام أحمد، توفي في جمادى الأولى، سنة ٢٧٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١)، شذرات الذهب (٣/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم، ثم يسلم، فيسدد بعد ويقتل، حديث حديث رقم ٢٨٢٦، (٢/٢٨٤)، بلفظ: " يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنّة ...".

(٣) إبطال التأويلات (ص: ٤٥).

(٤) موضوع نسبة التاويل للامام أحمد من المواضيع المهمة التي ينبغي دراستها بدقة وتحقيق الروايات فيها، لانها من الشبه الكبيرة التي يستند اليها المؤولة.

(٥) سبق تخريجه (ص: ٧٩).

(٦) سبق تخريجه (ص: ٦٣).

(٧) سبق تخريجه (ص: ٧٩).

(٨) إحياء علوم الدين– أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي– دار المعرفة، بيروت– (١/ ١٠٣، ١٠٤).

(٩) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٨).

**المسألة الثالثة: نماذج لبيان موقفه من الصفات:**

أشار الإمام ابن الأثير رحمه الله في مواضع عديدة إلى ان صفات الله تعالى نوعان: صفات ذات، وصفات فعل[(١)].

وتقسيم الصفات إلى ذاتية وفعلية، باعتبار تعلقها بالله جل وعلا تقسيم صحيح، قد دلّ استقراء النصوص عليه، ولهذا قسم علماء أهل السنة الصفات إلى هذين النوعين[(٢)].

والصفات الذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال الله متصفا بها، فهي قائمة بذاته، لازمة لها، لا تنفك عنها بحال من الأحوال، كالعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والوجه، واليدين، ونحوها.

والصفات الفعلية: هي الصفات المتعلقة بمشيئة الله واختياره إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالنزول، والغضب، والفرح، والضحك، ونحوها[(٣)].

والتأويل في الصفات – في كلا القسمين – وقع من ابن الأثير غفر الله له، وبيان ذلك كالتالي:

**أولاً: الصفات الذاتية:**

**١- صفة البصر ( العين):**[(٤)]

**٢- صفتا الحجزة والحقو:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه حديث " **إنَّ الرَّحِمَ آخِذَةٌ بِحُجْزَةِ الرَّحْمَنِ، يَصِلُ مَنْ وَصَلَهَا، وَيَقْطَعُ مَنْ قَطَعَهَا** "[(٥)]: " أي اعتصمت به والتجأت إليه مستجيرة، ويدل عليه قوله في الحديث " **هَذا مَقامُ العائِذِ بِكَ مِن القَطِيْعَةِ** "[(٦)]، وقيل: معناه أن اسم الرحم مشتق من اسم الرحمن، الرحمن، فكأنه متعلق بالاسم آخذ بوسطه، كما جاء في الحديث الآخر " **الرَّحِمُ شَجِنَةٌ مِن الرَّحْمَنِ** "[(٧)]، وأصل الحجزة: موضع شد الإزار، ثم قيل للإزار حجزة للمجاورة.

واحتجز الرجل بالإزار إذا شده على وسطه، فاستعاره للاعتصام والالتجاء والتمسك بالشيء والتعلق به"[(٨)].

وقال عند شرحه حديث " **خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ**

---

(١) انظر: الشافي (٤٥٣/١، ٤٥٤)، جامع الأصول (٣٩٣/٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦٨/٦، ٢١٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٦٨/٦، ٢١٧)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٢٤).

(٤) سبق الحديث عنها عند اسم الله البصير. انظر: (ص: ٤٠).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢١٨)، وأحمد في مسنده (٥/ ١١٠)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند في الموضع نفسه.

(٦) جزء من حديث سبق تخريجه. انظر: (ص: ٦٣).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، حديث رقم ٥٩٨٨، (١٥٥/٤).

(٨) النهاية (ص: ١٨٨، ١٨٩).

**وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ، قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَاكِ** "[1]: " الحقو: مشد الإزار من الإنسان، وقد يطلق على الإزار، ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك بها والأخذ، كما يستمسك القريب من قريبه، والنسيب من نسيبه "[2].

الحجزة والحقو صفتان ذاتيان ثابتتان لله جل وعلا بالسنة الصحيحة، ومنها الأحاديث السابقة.

والذي يظهر من ابن الأثير غفر الله له تأويله هاتين الصفتين، وجعلهما من باب الاستعارة والتمثيل لا على الحقيقة بما يليق بالله جل جلاله، كما هو مذهب أهل السنة والجماعة.

قال أبو يعلى الموصلي: " اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن الحقو والحجزة صفة ذات، ... وذكر شيخنا أبو عبد الله رحمه الله في كتابه هذا الحديث وأخذ بظاهره وهو ظاهر كلام أحمد "[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الرازي عندما قال: " لابد من تأويل حديث الرحم وتعلقها بحقو الرحمن ": " يقال له بل هذا من الأخبار التي يقره من يقر نظيره والنزاع فيه كالنزاع في نظيره فدعواك أنه لابد فيه من التأويل بلا حجة تخصه لا يصح "[4].

وبهذا يتبين إثبات هاتين الصفتين لله جل وعلا على الحقيقة كما يليق بربنا تبارك وتعالى، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل.

**٣- صفة الساق:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه حديث " **يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا** "[5]: " يكشف عن ساقه: الساق في اللغة: الأمر الشديد، وكشف الساق مثل في شدة الأمر، وأصله في الروع، كما يقال للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل، وإنما هو مثل في البخل، وكذلك هذا: لا ساق هناك ولا كشف "[6].

قول ابن الأثير السابق مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من اعتبارهم صفة الساق من صفات رب العالمين الذاتية التي ثبتت في الكتاب والسنة الصحيحة.

أما الدليل من الكتاب: فهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٦٣).

(٢) جامع الأصول (٦/ ٤٨٧، ٤٨٨).

(٣) إبطال التأويلات (ص: ٤٢٠).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٦/ ٢٠٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب يوم يكشف عن ساق، حديث رقم ٤٩١٩، (٣/٤٣١). (٣/٤٣١).

(٦) جامع الأصول (٢/ ٤١٣)، وانظر: النهاية (ص: ٤٥٤).

أما الدليل من السنة: فهو الحديث السابق " **يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا...**".

ولقد حصل خلاف بين الصحابة في اعتبار الاية السابقة دالة على صفة الساق أم لا، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان هذا الخلاف: " ... أن جميع ما في القرآن من آيات الصفات فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها، ... وتمام هذا أني لم أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ فروي عن ابن عباس وطائفة أن المراد به الشدة أن الله يكشف عن الشدة في الآخرة وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في الصفات؛ للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين "[1].

ثم قال: " ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن هذه من الصفات فإنه قال: ﴿**يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ**﴾ نكرة في الإثبات لم يضفها إلى الله ولم يقل عن ساقه فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر ومثل هذا ليس بتأويل إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف؛ "[2].

وبهذا يعلم أن ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من تفسير الآية بالشدة والكرب، ليس من جنس تأويلات المتكلمين، لأن ابن عباس وغيره يثبتون صفة الساق لله تعالى بالحديث الصحيح الذي دل عليها، ولكنهم لم يفهموا من الآية دلالة عليها، ففسروها بعيدة عن كونها دالة على صفة من صفات الله تعالى.

ويقول ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر الخلاف بين الصحابة في الآية: " ولا يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات أم لا في غير هذا الموضع وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أن ذلك صفة لله لأنه سبحانه لم يضف الساق إليه وإنما ذكره مجردا عن الإضافة منكرا والذين أثبتوا ذلك صفة كاليدين والإصبع لم يأخذوا ذلك من ظاهر القرآن وإنما أثبتوه بحديث ...." فيكشف الرب عن ساقه فيخرون له سجدا "، ... قالوا وحمل الآية على الشدة لا يصح بوجه فإن لغة القوم في مثل ذلك أن يقال كشفت الشدة عن القوم لا كشف عنها كما قال الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ** ﴾ [الزخرف٥٠]،... فالعذاب والشدة هو المكشوف لا المكشوف عنه "[3].

ومما يقوي الرأي الثاني ويرجحه – وهو اعتبار الآية دالة على صفة الساق – ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْعِبَادَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، نَادَى مُنَادٍ: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَلْحَقُ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَيَبْقَى النَّاسُ عَلَى حَالِهِمْ، فَيَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ: مَا بَالُ النَّاسِ ذَهَبُوا وَأَنْتُمْ هَا هُنَا؟ فَيَقُولُونَ: نَنْتَظِرُ إِلَهَنَا، فَيَقُولُ: هَلْ**

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٣٩٤، ٣٩٥).

(٣) الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢، ٢٥٣).

تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: إِذَا تَعَرَّفَ إِلَيْنَا، عَرَفْنَاهُ، فَيَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ سَاقِهِ فَيَقَعُونَ سُجُودًا، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢] يَبْقَى كُلُّ مُنَافِقٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْجُدَ، ثُمَّ يَقُودُهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ " "(١).

فهذا الحديث تفسير نبوي فاصل في هذه المسألة، ولهذا قال الإمام الشوكاني: " وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله ﷺ كما عرفت، وذلك لا يستلزم تجسيما ولا تشبيها فليس كمثله شيء "(٢).

قال القاضي أبو يعلى – بعد أن ذكر هذا الحديث وقول من أول الساق على معنى الشدة – : " قيل هذا غلط لوجوه:

**أحدها:** أنه قال: " **فيتمثل لهم الرب وقد كشف عن ساقه** " والشدائد لا تسمى رباً.

**والثاني:** أنهم التمسوه ليتبعوه فينجوا من الأهوال والشدائد التي وقع فيها من كان يعبد غيره، وإذا كان كذلك لم يجز أن يلتمسوه على صفة تلحقهم فيها الشدة والأهوال.

**الثالث:** أنه قال: " **فيخرون سجدا** " والسجود لا يكون للشدائد، وهذا جواب أبي بكر(٣)"(٤).

وبتمام هذه النقول والأقوال يتبين أن قول ابن الأثير رحمه الله هو تأويل للصفة، ومخالف بذلك ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، وما ارتضوه وما اعتقدوه.

٤- **صفة السمع:** سبق الحديث عنها(٥).

**٥- صفة الصورة:**

قال ابن الأثير رحمه الله في شرح حديث " **أَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا " قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ – أَوْ قَالَ: نَحْرِي – فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، يَخْتَصِمُونَ فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ وَالدَّرَجَاتُ؟ قَالَ: الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ**

---

(١) أخرجه الدارمي في مسنده= مسند الدارمي- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن عبد الصمد الدارمي- تحقيق: حسين سليم أسد الداراني- دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- ط١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م- (٣/ ١٨٤٨) وقال الشيخ حسين سليم أسد: إسناده صحيح، وابن منده في الإيمان= الإيمان- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي- تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي- مؤسسة الرسالة، بيروت- ط٢، ١٤٠٦هـ- (٢/ ٧٩٤).

(٢) فتح القدير- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني- دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت- ط١، ١٤١٤ هـ- (٥/ ٣٣١، ٣٣٢).

(٣) وهو أبو بكر الخلال سبقت ترجمته. انظر: (ص: ٨٠).

(٤) إبطال التأويلات (ص: ١٥٩).

(٥) انظر: (ص: ٤٨).

**الصَّلَوَاتِ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِبْلَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً، أَنْ تَقْبِضَنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، قَالَ: وَالدَّرَجَاتُ: بَذْلُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ...**"[1]: " الصورة ترد في كلام العرب: على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا، أي: هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا، أي: صفته، فيكون المراد بها بما جاء في الحديث: أنه أتاه في أحسن صفة، ويجوز أن يعود المعنى إلى النبي ﷺ أي: أتاني ربي وأنا في أحسن صورة، ويجري في معاني الصورة كلها عليه إن شئت ظاهر الصورة والهيئة والحقيقة أو الصفة، فأما إطلاق ظاهر الصورة على الله، فلا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا "[2].

من كلام ابن الأثير السابق يظهر أنه يتأول حديث الصورة، ويمنع إطلاق ظاهره على الله، وأنه على معنيين: إما بمعنى الصفة، أو أن كلمة الصورة تعود على النبي ﷺ.

وكلا التأويلين باطل، فالذي عليه أهل السنة والجماعة إثبات هذه الصفة لله رب العالمين على الوجه الذي يليق به، كما جاء في الأحاديث الصحيحة الدالة على ذلك، منها:

- الحديث السابق: " **أَتَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ اللَّيْلَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟** " .

- حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الطويل في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وفيه: " **حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا...**"[3].

قال ابن قتيبة[4] رحمه الله: " والذي عندي – والله تعالى أعلم – أن الصّورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حدٍّ "[1] .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٤٣٧)، والدارمي في سننه (٢/ ١٣٦٦)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٥٣٣)، والآجري في الشريعة (٣/ ١٥٤٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٧/ ٥٠٢).

(٢) جامع الأصول (٩/ ٥٤٩)، وانظر: النهاية (ص: ٥٢٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ (٢٢) إلى ربّها ناظرةٌ} [القيامة: ٢٢، ٢٣]، حديث رقم ٧٤٣٨، (٤/٥٥١).

(٤) هو العلامة، الكبير، أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الدينوري. له مصنفات كثيرة منها: مشكل القرآن، ومشكل الحديث، توفي في رجب سنة ٢٧٦هـ رحمه الله. انظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦)، وفيات الأعيان (٣/ ٤٣).

وقال أبو يعلى الفراء رحمه الله في التعليق على حديث "رأيت ربي في أحسن صورة ": " اعلم أن الكلام في هذا الخبر يتعلق به فصول: أحدها جواز إطلاق الصّورة عليه "[٢].

وقال شيخ الإسلام: " والوجه الخامس: أن الأحاديث مع آيات القرآن أخبرت بأنه يأتي عباده يوم القيامة على الوجه الذي وصف، وعند هؤلاء هو كل آتٍ، وما في الدنيا والآخرة، وأما أهل الإلحاد ... فقد يتأولون أيضاً هذا الحديث ... لكونه قال: فيأتيهم الله في صورة، لكن يقال لهم: لفظ الصّورة في الحديث - يعني رحمه الله: حديث أبي سعيد- كسائر ما ورد من الأسماء والصفات التي قد يسمى المخلوق بها على وجه التقييد، وإذا أطلقت على الله مختصة به؛ مثل العليم والقدير والرحيم والسميع والبصير، ومثل خلقه بيديه واستوائه على العرش ونحو ذلك "[٣].

وفي رده رحمه الله على من قال أن الصورة بمعنى الصفة قال: " الصورة هي الصورة الموجودة في الخارج ولفظ ص ور يدل على ذلك وما من موجود من الموجودات إلا له صورة في الخارج... فلابد لكل موجود قائم بنفسه من صورة يكون عليها ويمتنع أن يكون في الوجود قائم بنفسه ليس له صورة يقوم عليها "[٤].

وأما قول ابن الأثير أن المعنى يعود إلى رسول الله ﷺ، فهذا يلزم منه الإضمار في الكلام والأصل في الكلام عدمه، وان يحمل على ظاهره بلا زيادة ولا نقصان، وأيضا لذكره عليه الصلاة والسلام فهو أفصح العرب وأنصحهم لأمته.

وبهذا يتضح أن الصّورة صفةٌ من صفات الله عزّ وجلّ الذاتية كسائر الصفات الثابتة بالأحاديث الصحيحة.

٦- **صفة العلو:** سبق الحديث عنها[٥].

٧- **صفة القدم:**

قال ابن الأثير غفر الله له عند شرحه حديث " **لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ الجبار فِيهَا قَدَمَهُ** "[٦]: " المشهور في تأويله: أن المراد بالجبار الله تعالى، ويشهد له قوله في

---

(١) تأويل مختلف الحديث- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- المكتب الاسلامي، مؤسسة الإشراق- ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م- (ص: ٣٢٢).

(٢) إبطال التأويلات (ص: ١٢٦).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٧/ ١٣٠، ١٣١).

(٤) المصدر السابق (٦/ ٤٦٠).

(٥) انظر: (ص: ٥٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى {وهو العزيز الحكيم} - {سبحان ربك رب العزة عما يصفون} - {ولله العزة ولرسوله} حديث ٧٣٨٤، (٤/ ٥٣٤) عن أنس، عن النبي ﷺ بلفظ: " لاَ يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالَمِينَ قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ تَقُولُ: قَدْ، قَدْ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلاَ تَزَالُ الجَنَّةُ تَفْضُلُ، حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الجَنَّةِ ".

الحديث الآخر " **حتَّى يَضَعَ ربُّ الْعِزّةِ فِيهَا قَدَمَه** "[1]، والمراد بالقدم: أهل النار الذين قدمهم الله تعالى لها من شرار خلقه، كما أن المؤمنين قدمه الذين قدمهم للجنة، وقيل أراد بالجبار هاهنا المتمرد العاتي "[2].

وقال في موضع آخر: " وفي صفة النار: حتى يضع الجبار فيها قدمه: أي الذين قدمهم لها من شرار خلقه، فهم قدم الله للنار، كما أن المسلمين قدمه للجنة، وقيل: وضع القدم على الشيء مثل للردع والقمع، ... وقيل: أراد به تسكين فورتها، كما يقال للأمر تريد إبطاله: وضعته تحت قدمي "[3].

وكل هذا الذي ذكره ابن الأثير في صفة القدم أن المراد أهل النار الذين قدمهم الله للنار، أو الجبار بمعنى العاتي، أو وضع القدم هو مثال للردع بأمر الله، أو هو تسكين لها هو من باب التاويل والتحريف، وكان يسعه في ذلك ما وسع الأئمة من قبله، فهو الداعي لاتباعهم واقتفاء أثرهم، فبأي كتاب أم بأي سنة حمّلت هذه الصفة ما حملت؟ مع أن المتكلم بها صلوات الله وسلامه عليه أفصح الناس نطقا وأبينهم حديثا، ولو كانت تحتمل ما ذكره لبينه النبي ﷺ، وبمقتضى هذه النصوص الصحيحة الواضحة قال السلف واعتقدوا وهو أن لله قدمين حقيقيتين تليقان به جل وعلا.

_ فعن ابن عباس رضي الله عنه؛ قال: " الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره "[4].

_ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه؛ قال: " الكرسي موضع القدمين، وله أطيطٌ كأطيط الرّحل "[5].

قال أبو يعلى الفراء: " اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأن المراد به قدم هو صفة لله تعالى "[6].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، حديث رقم٦٦٦١، (٤/ ٣٢٧).

(٢) النهاية (ص: ١٣٦)، وانظر: جامع الأصول (١٠/ ٥٢٣).

(٣) النهاية (ص: ٧٣٦).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٨)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (١/ ٣٠١)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٢)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في مختصر العلو= مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي- تحقيق واختصار: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- ط٢،١٤١٢هـ-١٩٩١م (ص ١٠٢).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في السنة (١/ ٣٠٣)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة= العظمة- أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني- تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري- دار العاصمة، الرياض- ط١، ١٤٠٨هـ- (٢/ ٦٢٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٢٩٧)، وصحح إسناده موقوفاً الألباني رحمه الله في مختصر العلو (ص ١٢٣-١٢٤).

(٦) إبطال التأويلات (ص: ١٩٥)، وانظر: (ص: ١٩٦ – ٢٠٢) من نفس الكتاب للاطلاع على مزيد من التفصيل في الرد على تأويلات المتكلمين في هذه المسألة، وكتاب التوحيد لابن خزيمة (١/ ٢٠٢).

وقال : " وقال في رواية حنبل: قال النبي ﷺ: " يضع قدمه " نؤمن به ولا نرد على رسول الله ﷺ فقد نص على الأخذ بظاهر ذلك لأنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه "(١).

وقد فند القاضي رحمه الله بعض ما ذكر من تأويلات في صفة القدم فقال: " فإن قيل: معنى القدم هاهنا المتقدم من المشركين يضعه في النار، لأن العرب تقول للشيء المتقدم: قدم ... قيل: هذا غلط لوجهين:

**أحدهما:** أن قوله: " يضع قدمه " هاء كناية، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور، والمذكور في الخبر الله سبحانه، وفي لفظ آخر " الجبار " وفي لفظ آخر " رب العزة "، فوجب أن يرجع إليه، فأما المتقدم من الكفار فلم يتقدم ذكرهم، فلا يجب رجوع الهاء إليهم.

**والثاني:** أن هذا يسقط فائدة التخصيص بالنار، لأن المتقدم بفعل الخير يضعه في الجنة، فلو كان المراد بالقدم المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة، فوجب حمله على ظاهره ليفيد فائدة "(٢).

وقد غلّط شيخ الإسلام ابن تيمية من أوَّل القدم بنوع من الخلق، أو الذين تقدم في علم الله أنهم من أهل النار فقال: " وغلطهم من وجوه:

فإن النبي ﷺ قال: " حتى يضع "، ولم يقل: " حتى يلقى " كما قال في قوله: " لا يزال يلقى فيها ".

الثاني: أن قوله: " قدمه " لا يفهم منه هذا، لا حقيقة ولا مجاز كما تدل عليه الإضافة.

الثالث: أن أولئك المؤخرين إن كانوا من أصاغر المعذبين فلا وجه لانزوائها واكتفائها بهم، فإن ذلك إنما يكون بأمر عظيم، وإن كان من أكابر المجرمين فهم في الدرك الأسفل، وفي أول المعذبين لا في أواخرهم.

الرابع: أن قوله: " فينزوي بعضها إلى بعض " دليل على أنها تنضم على من فيها، فتضيق بهم من غير أن يلقى فيها شيء.

الخامس: أن قوله: " لا يزال يلقى فيها وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع فيها قدمه " جعل الوضع الغاية التي إليها ينتهي الإلقاء، ويكون عندها الانزواء، فيقتضي ذلك أن تكون الغاية أعظم مما قبلها "(٣).

وبهذه الأحاديث، والآثار الصحيحة، والنقولات السلفية نثبت لله عزّ وجلّ صفة القدم، ونرد ما قيل فيها من تأويلات، وأن لله عزّ وجلّ قدمين – كما في أثر ابن عباس وأبي موسى رضي الله عنهما – تليقان به وبعظمته ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

---

(١) إبطال التأويلات (ص: ١٩٦).

(٢) إبطال التأويلات (ص: ١٩٧).

(٣) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية- محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ- تحقيق: محمد حامد الفقي- دار ابن القيم، الدمام- ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م- (ص: ٦٤٧).

٨- **صفة الكنف:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه حديث: " **يَدْنُو المُؤْمِنُ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الآخَرُونَ - أَوِ الكُفَّارُ - فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ: {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود: ١٨]** "(١): " كنفه: كنف الإنسان: ظله وجانبه، والمراد به: قرب الله تعالى ودنو رحمته وفضله من العبد، وتقول: أنا في كنف فلان، أي: في ظله وجانبه "(٢).

وقال في موضع آخر: " أي يستره، وقيل: يرحمه ويلطف به، والكنف بالتحريك: الجانب والناحية، وهذا تمثيل لجعله تحت ظل رحمته يوم القيامة "(٣).

قال الباحث: الكنف صفة ثابتة لله تعالى بالسنة الصحيحة ومنها الحديث السابق.

والكنف لغة: الجانب، والناحية، والستر، والظل، والحرز.(٤)

قال البخاري: " قال ابن المبارك: " كنفه: يعني ستره "(٥).

وقال ابن تيمية رحمه الله: " قال الخلال في كتاب السنة باب يضع كنفه على عبده تبارك وتعالى، ... قلت لأبي عبد الله ما معنى قوله ﷺ: " إن الله يدني العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه "، قال: هكذا يقول يدنيه ويضع كنفه عليه كما قال "(٦).

وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله كما ذكر شيخ الإسلام في كتابه بيان تلبيس الجهمية: " فجملة هذه المسائل مذهب إمامنا فيها - يقصد الإمام أحمد - الإيمان والتصديق بها والتسليم والرضا، وأن الله يضع كنفه على عبده تقريبًا له إلى أن يضع كنفه عليه، وذلك صفة ذاته لا يدري ما التكييف فيها ولا ماذا صفتها، ..."(٧).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [هود: ١٨]، حديث رقم٤٦٨٥، (٣/ ٢٩٨).

(٢) جامع الأصول (١٠/ ٤٥٦).

(٣) النهاية (ص: ٨١٤).

(٤) انظر: القاموس المحيط- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى- تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م- (ص: ٨٥٠).

(٥) خلق أفعال العباد (ص: ٧٨).

(٦) بيان تلبيس الجهمية (٨/ ١٩٣).

(٧) المصدر السابق (٦/ ٢١٢).

فادعاء ابن الأثير التمثيل في كنف الله تعالى – على معنى جانبه أو ناحيته – مردود، لأن ذلك من معنى اللفظ في اللغة، ولا محذور من إثباتها لله تعالى على هذا المعنى، وقد ورد عن السلف تفسير الكنف في حق الله عز وجل بالناحية، وبالستر[1]، والله أعلم.

٩- **صفة النور:** سبق الحديث عنها[2].

١٠- **صفة اليد** وما يتعلق بها من صفات ذاتية أو فعلية مثل: الذراع، واليمين، والكف، والأصابع، والبسط، والأخذ، والحثو.

قال ابن الأثير غفر الله له عند بيانه لمعنى قول النبي ﷺ: " **والخير بيديك** "[3] قال: " واليد وإطلاقها على الله تعالى من قبيل التشبيه المحض، إذا أريد بها الجارحة ونعوذ بالله من ذلك، وإنما يراد بها القدرة والاستيلاء والحكم "[4].

وقال في موضع آخر : " ويد الرحمن لا يجوز حملها على ظاهرها "[5].

وعند شرحه لآية ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، نقل كلام الزمخشري في تأويله للآية فقال: " قال الزمخشري: ... وفي قراءة عبد الله " بل يداه بسطان " جعل بسط اليد كناية عن الجود وتمثيلا، ولا يد ثم ولا بسط، تعالى الله عن ذلك "[6].

وقال ابن الأثير عند شرحه حديث " **كَثَافَةُ جِلْدِ الكَافِرِ أَرْبَعُونَ ذراعاً بِذِراعِ الجبَّارِ** "[7] : " أراد به هاهنا الطويل، وقيل الملك، كما يقال بذراع الملك "[8].

وقال ابن الأثير غفر الله له عند شرحه حديث " **يَمِينُ اللهِ مَلْأَى سَحَّاءُ، لَا يَغِيضُهَا شَيْءٌ، اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**"[9]: " واليمين هاهنا كناية عن محل عطائه، ووصفها بالامتلاء لكثرة منافعها، فجعلها كالعين الثرة التي لا يغيضها الاستقاء ولا ينقصها الامتياح "[10].

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (٢/ ٤٢٢).

(٢) انظر: (ص: ٥٩).

(٣) سبق تخريجه (ص: ٧١).

(٤) الشافي (١/ ٥٣٥). وقال في موضع آخر:" واليد عبارة عن العطاء والإنعام" الشافي (٣/ ٤٢٨).

(٥) المصدر السابق (٣/ ١٤٢).

(٦) النهاية (ص: ٧٧).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦/ ٥٤٣) بنحوه، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٧٦) وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٧١) وقال الألباني في تحقيقه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٨) النهاية (ص: ١٣٦).

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب " وكان عرشه على الماء" " وهو رب العرش العظيم"، حديث حديث رقم٧٤١٩، (٤/ ٥٤٤).

(١٠) النهاية (ص: ٤١٩).

وقال في موضع آخر: " واليمين أيضا في حكم التأويل كحكم اليد "[1].

وقال أيضا: " وكل ما جاء في القرآن والحديث من إضافة اليد والأيدي، واليمين وغير ذلك من أسماء الجوارح إلى الله تعالى فإنما هو على سبيل المجاز والاستعارة. والله منزه عن التشبيه والتجسيم "[2].

وقال ابن الأثير غفر الله له عند شرحه حديث " ... **وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، وَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ** "[3]: " كف الرحمن: كناية عن محل قبول الصدقة، لأن من عادة الفقير: أن يأخذ الصدقة بكفه، فكأن المتصدق قد وضع صدقته في محل القبول والإثابة، وإلا فلا كف لله ولا جارحة، تعالى الله عما يقول المشبهون والمجسمون علوا كبيرا "[4].

وقال في موضع آخر: " وقد تكرر ذكر الكف والحفنة واليد في الحديث، وكلها تمثيل من غير تشبيه "[5].

وقال ابن الأثير غفر الله له عند شرحه حديث " ... **إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحمن**، ..."[6]: " أصابع الرحمن: الأصابع: جمع إصبع، وهي الجارحة، وذلك من صفات الأجسام، والله يتعالى عن ذلك، وإطلاقها عليه على سبيل التمثيل، وهي كناية عن إجراء القدرة والبطش، لأن البطش باليد، والأصابع أجزاؤها "[7].

وقال في موضع آخر : " الأصابع ... من صفات الأجسام، ... وإطلاقها عليه مجاز كإطلاق اليد، واليمين، والعين، والسمع، وهو جار مجرى التمثيل والكناية عن سرعة تقلب القلوب "[8].

وقال ابن الأثير غفر الله له عند بيانه لمعنى قول الله تعالى: ﴿ **أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ** ﴾ [التوبة: ١٠٤]: " ... استدل بالآية أنه يأخذ الصدقات وهذا في معرض التمثيل، وإلا فلا يد جارحة هناك ولا أخذ "[9].

وقال ابن الأثير غفر الله له عند بيانه لحديث " **وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سبعين أَلْفًا وَثَلَاثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي** "[1]: " هو كناية عن المبالغة في الكثرة، وإلا فلا كف ثم ولا حثي، جل الله عن ذلك وعز "[2].

---

(١) الشافي (٣/ ١٥٠).
(٢) النهاية (ص: ١٠٢٧).
(٣) سبق تخريجه (ص: ٦٩)
(٤) جامع الأصول (٩/ ٥١٩)، وانظر: النهاية (ص: ٨٠٨).
(٥) النهاية (ص:٨٠٨).
(٦) سبق تخريجه (ص: ٦٣).
(٧) جامع الأصول (٤/ ٣٤٢).
(٨) النهاية (ص: ٥٠٧).
(٩) الشافي (٣/ ١٥٠).

ومن خلال الكلام السابق يتبين أن ابن الأثير غفر الله له سار على منهج التأويل في صفة اليد وما يتعلق بها.

فأول صفة اليد بالقدرة والاستيلاء وغير ذلك، وأول صفة الذراع مع صحة الحديث واعتبر الذراع أنها صفة لملك من ملوك الأرض، وكذلك الحال في صفة اليمين أولها أنها كناية عن محل عطائه، وأول صفة الكف أنها كناية عن محل قبول الصدقة، وأول صفة الأصابع أنها كناية عن إجراء القدرة والبطش، وكذلك أول صفة البسط وأنها كناية عن الجود، وأول صفة الأخذ وأنها للتمثيل لا الحقيقة، وأول صفة الحثو أنها كناية عن الكثرة.

وجميع الصفات السابقة اعتبر اطلاقها على الله من قبيل المجاز، أو من قبيل الاستعارة، أو الكناية.

وهذا مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة الذي دلت عليه النصوص الكثيرة والمتواترة من قرآن وسنة من اثبات هذه الصفات لرب العالمين، وحملها على ظاهرها على الوجه الذي يليق بربنا جل وعلا، وسوف يناقش الباحث كل صفة على حدة.

**أولاً: صفة اليد:**

الدليل من الكتاب:

١ – قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة: ٦٤] .

٢– وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص: ٧٥] .

وهاتان الآيتان كافيتان وصريحتان في إثبات صفة اليد لله رب العالمين.

الدليل من السنة:

١– حديث الشفاعة، وفيه: "... **أَنَا سَيِّدُ الْقَوْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ، إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٦/ ٦٣٩)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦١) وقال الألباني في الموضع نفسه إسناده صحيح.

(٢) الشافعي (٣/ ١٥٠).

**بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ ...**"[1].

٢- حديث: " **إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**"[2].

**٣-** حديث: " **يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ [ص:١٢٣] وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ**"[3].

وهذه بعض الأحاديث التي تثبت صفة اليد لله رب العالمين، وظاهر هذه النصوص هو ما فهمه السلف الصالح وقالوا به، ومن اقوال الأئمة في ذلك:

قال الإمام أبو الحسن[4] الأشعري رحمه الله : " وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين ... وأن يديه تعالى غير نعمته "[5]. فهذا إجماع في إثبات هذه الصفة، وعدم صحة تأويلها بالنعمة.

وقال في رده على من أوّل اليد بالنعمة، واحتج بورودها في اللغة واللسان العربي: " وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: " بيدي" النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يدي، بمعنى لي عليه نعمتي، ... فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يثبت اليد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [نوح: ١]، حديث رقم٣٣٤٠، (٢/ ٤٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، حديث رقم٧٥١٨، (٤/ ٥٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {لما خلقت بيديّ} [ص: ٧٥]، حديث رقم٧٤١١، (٤/ ٥٤٣).

(٤) هو: العلامة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل الأشعري، اليماني، البصري، كان معتزلياً في بداية حياته ثم تركه، وقال بمذهب السلف في آخر حياته، توفي رحمه الله سنة ٣٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)

(٥) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري- تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي- عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- ١٤١٣هـ- (ص: ١٢٧).

نعمة من قبلها؛ لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالى: "بيدي" نعمتي فليس المسلمون على ما ادعى متفقين، وإن روجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: بيدي يعني نعمتي، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه، ولن يجد له سبيلا "[١].

ورد كذلك رحمه الله على من أول اليد بالقدرة فقال: " وقد اعتل معتل بقوله تعالى: "والسماء بنيناها بأيد" قالوا: الأيد القوة، فوجب أن يكون معنى قوله تعالى: "بيدي" بقدرتي، قيل لهم: هذا التأويل فاسد من وجوه:

أحدها: أن الأيد ليس جمع لليد؛ لأن جمع يد أيدي، وجمع اليد التي هي نعمة أيادي، وإنما قال تعالى: " لما خلقت بيدي "، فبطل بذلك أن يكون معنى قوله: " بيدي " معنى قوله: " بنيناها بأيد ".

وأيضا فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتي، وهذا ناقض لقول مخالفنا، وكاسر لمذهبهم؛ لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة، فكيف يثبتون قدرتين.

وأيضا فلو كان الله تعالى عنى بقوله: " لما خلقت بيدي " القدرة لم يكن لآدم ﷺ على إبليس مزية في ذلك، والله تعالى أراد أن يرى فضل آدم ﷺ عليه؛ إذ خلقه بيديه دونه "[٢].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي رحمه الله أيضا كلاما نفيسا في اثبات هذه الصفة فقال: " ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز، الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين: اليدان، ثم ذكر الآيات والأحاديث الدالة على ذلك، ثم قال: " فلا نقول: يد كيد، ولا نكيف، ولا نشبه، ولا نتأول اليدين على القدرتين كما يقول أهل التعطيل والتأويل، ... ولا على النعمتين، فإن نعم الله عز وجل لا تحصى "[٣].

وقال ابن تيمية رحمه الله: " إن لله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله؛ وأنه سبحانه خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس "[٤].

وقال رادا على من أول آية خلق الله لآدم بيديه، أو نفاها: " إذا أضاف الفعل إلى الفاعل وعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله: {لما خلقت بيدي} فإنه نص في أنه فعل الفعل بيديه، ... ولست تجد في كلام العرب ولا العجم – إن شاء الله تعالى – أن فصيحا يقول: فعلت هذا بيدي أو فلان فعل هذا بيديه إلا ويكون فعله بيديه حقيقة، ولا يجوز أن يكون لا يد له، أو أن يكون له يد والفعل وقع بغيرها "[٥].

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة– أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري– تحقيق: د. فوقية حسين محمود– دار الأنصار، القاهرة– ط١، ١٣٩٧هـ– (ص: ١٢٦) وما بعدها، وقد ذكر في الكتاب نفسه وجوه كثيرة في رد تأويل اليد بالنعمة أو القدرة.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (ص: ١٢٩) وما بعدها.

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد– عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد– تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي– مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة– ط١، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م– (ص:١١٢ – ١١٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٣).

(٥) المصدر السابق (٦/ ٣٦٦).

ويبين ابن القيم رحمه الله لم يمتنع حمل اليد على غير الحقيقة فيقول: " ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا متصرفا فيه مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات "(١).

وبهذا يتبين أن صفة اليدين ثابتة لله جل وعلا كما يليق به، من غير تمثيل أو تحريف أو تأويل، وأن هذا ما جاء به القرآن والسنة، وما قاله أهل السنة وأجمعوا عليه.

**ثانيًا: صفة الذراع:**

الدليل من السنة: قال النبي ﷺ: " **ضِرْسُ الْكَافِرِ مِثْلُ أُحُدٍ، وَفَخِذُهُ مِثْلُ الْبَيْضَاءِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ كَمَا بَيْنَ قُدَيْدٍ إِلَى مَكَّةَ، وَكَثَافَةُ جِلْدِهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا بِذِرَاعِ الْجَبَّارِ**"(٢).

وبناءً على ثبوت الحديث فإن أهل السنة أثبتوا هذه الصفة لرب العالمين كما يليق بجلاله وعظمته، لأن من أصول أهل السنة في باب الأسماء والصفات: إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل.

ولذلك أورد ابن أبي عاصم هذا الحديث ضمن أبواب أحاديث الصفات في كتاب السنة(٣)، مما يدلّ على أنه عنده من أحاديث الصفات.

قال القاضي أبو يعلى: " اعلم أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه لأنا ... نثبت ذلك صفة، كما أثبتنا الوجه واليدين وغيرهما من الصفات فإن قيل: المراد بالجبار المتجبر من خلقه، لأن حمله على الله سبحانه يوهم الجارحة والعضو في صفته ويوهم الطول عليه قيل: هذا غلط ...لأنه ذكر الجبار بالألف واللام والألف واللام يدخلان للعهد أو للجنس، وليس يمكن حمله على الجنس لأنه يقتضي كل جبار وليس هاهنا معهود من الخلق يشار إليه، فلم يبق إلا أن يحمل عليه سبحانه، لأنه أعرف المعارف "(٤).

فإذن الأصل حمل الكلام على ظاهره، وعدم صرفه إلا بدليل وليس هناك دليل، بل الدليل دل على إثبات الذراع صفة لله جل وعلا حقيقة كسائر الصفات، لا كيف ولا تأويل.

**ثالثًا: صفة اليمين:**

توصف يد الله عز وجل باليمين، وهذا ثابت بالكتاب والسنة:

فمن الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر: ٦٧].

ومن السنة:

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٠٥). وانظر في الكتاب نفسه (ص ٣٩١) فقد رد فيه على من أول اليد بالقدرة أو النعمة من عشرين وجها.

(٢) سبق تخريجه (ص: ٩١).

(٣) انظر: السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٧١).

(٤) إبطال التأويلات (ص: ٢٠٤).

قال رسول الله ﷺ: " **مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**"[(١)].وقال ﷺ: " **يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**"[(٢)].

إلى غير ذلك من الأحاديث المثبتة لربنا جل وعلا صفة اليمين، تقدست أسماؤه وصفاته.

وبهذه النصوص الصحيحة الصريحة أثبت أهل السنة هذه الصفة كغيرها من الصفات، بلا تعطيل لمعناها ولا تشبيه، أو تمثيل لكيفيتها.

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله:" نحن نقول: لله جل وعلا يدان كما أعلمنا الخالق البارئ في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه المصطفى ﷺ، ونقول: كلتا يدي ربنا عز وجل يمين، على ما أخبر النبي ﷺ، ونقول: إن الله عز وجل يقبض الأرض جميعا بإحدى يديه، ويطوي السماء بيده الأخرى، وكلتا يديه يمين، لا شمال[(٣)] فيهما ..."[(١)].

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس في سبيل الله، حديث رقم٢٨١٢، (٢/ ٢٨٠).

(٣) اختلف أهل السنة في هذه المسألة فبما أن احدى يديه يمين، فهل توصف الأخرى بالشمال؟ أم أن كلتا يديه يمين؟

وسبب الاختلاف في ذلك يرجع لأمرين :

الأول: اختلافهم في ثبوت لفظة الشمال التي رواها مسلم في صحيحه(٢٧٨٨)(ص١٣٧٣)، فمن أثبتها أثبت له سبحانه يدين، يمين وشمال، ومن ضعفها وقال أنها شاذة، فقد نفى عنه الشمال، وقال له يدان، كلاهما يمين.

الثاني: هل إثبات الشمال لله عز وجل يلزم منه النقص في حق الله؟ فمن رأى أنه يلزم منه إثباتها النقص نفى عنه الشمال؛ وذلك لأن الشمال في العادة أضعف من اليمين، وهذا ممتنع في حق الله .

ومن رأى أنه لا يلزم من إثباتها النقص؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، فيده الشمال سبحانه وتعالى ليست كاليد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليمين، أثبتها.

وممن أثبتها: الإمام الدارمي في رده على المريسي (٢/ ٦٩٧)، وأبو يعلى في ابطال التأويلات (ص: ١٧٦)، ...

وممن نفاها: الإمام ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ١٥٩)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٣٩)، ...

والراجح أنه لا تعارض بين الأحاديث ، فالله سبحانه وتعالى توصف يداه باليمين والشمال باعتبار الاسم ، أما من جهة المعنى ، فكلاهما يمين مباركة.

يقول الشيخ بن باز رحمه الله: " والمقصود من الآيات والأحاديث بيان أن الله سبحانه وتعالى له يمين وشمال من جهة الاسم، أما من جهة الفضل فكلتاهما يمين مباركة، ليس فيهما نقص بوجه من الوجوه، بل له سبحانه الكمال المطلق، في كل شيء بإجماع أهل السنة والجماعة، وهم أصحاب النبي ﷺ وأتباعهم بإحسان". مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله– عبد العزيز بن عبد الله بن باز – أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر– (٢٥/ ١٢٧).

ويقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بعد أن ذكر الخلاف في المسألة، وفي تصحيح لفظة " بشماله ": " وعلى كلٍ، فإن يديه سبحانه اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى، وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال، فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليمني، بل كلتا يديه يمين.

وتأويل ابن الأثير غفر الله له لصفة اليمين بأنها كناية عن محل عطائه لا يستقيم، لأنه جاءت نصوص تصف اليمين بأن السموات مطويات بها، وكون المقسطين على يمين الرحمن، فهل يصح أن يكون عن يمين محل عطائه، أو أن السموات مطويات في محل عطائه ... ، فهذا كله باطل يرفضه العقل واللسان العربي المبين[٢].

**رابعًا: صفة الكف:**

وهي صفة ذاتية ثبتت لله تعالى بالحديث الصحيح ومنها قول النبي ﷺ : " **مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، وَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ** "[٣].

وكذلك في قول النبي ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: وَهَكَذَا وَجَمَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: هَكَذَا وَجَمَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ عُمَرُ: حَسْبُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: دَعْنَا يَا عُمَرُ، مَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنَا اللَّهُ الْجَنَّةَ كُلَّنَا. فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنْ شَاءَ أَنْ يُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ بِكَفٍّ وَاحِدٍ فَعَلَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: صَدَقَ عُمَرُ** "[٤].

قال ابن القيم: " فصدقه في إثبات الكف لله وسعتها وعظمتها "[٥].

وقال قوام السنة الأصبهاني بعد سرده لجملة من أحاديث الصفات: " وقوله: إن أحدكم يأتي بصدقته فيضعها في كف الرحمن " ... وأمثال هذه الأحاديث، فإذا تدبره متدبر، ولم يتعصب بان له صحة ذلك وأن الإيمان واجب، وأن البحث عن كيفية ذلك باطل "[٦].

ثم قال بعد ذلك: " وقوله: " حتى يضع الجبار فيها قدمه "، وقوله: " حتى يضعه في كف الرحمن "، وللقدم معان، وللكف معان، وليس يحتمل الحديث شيئا من ذلك إلا ما هو المعروف في كلام العرب فهو معلوم بالحديث مجهول الكيفية "[٧]. وهذا أمر دقيق منه رحمه الله فقد بين أمرين:

**الأول:** أن هذه الصفات: الكف والقدم ... جاء ذكرها في الأحاديث في سياق لا يحتمل إلا معنى واحدا، وهذا المعنى هو ما فهمته العرب من ظاهر النصوص.

---

والواجب علينا أن نقول: إن ثبتت عن رسول الله ﷺ، فنحن نؤمن بها، ولا منافاة بينها وبين قوله: " كلتا يديه يمين " كما سبق، وإن لم تثبت، فلن نقول بها" مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٦٥).

(١) التوحيد (١/ ١٩٣).

(٢) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٩١) وما بعدها.

(٣) سبق تخريجه (ص: ٦٩).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٠/ ١٢١) وصحح الأرنؤوط إسناده في تحقيقه، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٦٢)، وقال الألباني في الموضع نفسه:" إسناده صحيح على شرط مسلم".

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٣٩٥).

(٦) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٧٦).

(٧) المصدر السابق (٢/ ٢٧٨، ٢٧٩ ).

**الثاني:** أن هذه الصفات الكف والقدم و... مفهومة معلومة المعنى، مجهولة الكيفية، وهذا ما يدندن حوله أهل السنة كثيرا في حربهم مع أهل التاويل، وهو أنهم يعلمون معاني الصفات، ويجهلون أو يفوضون الكيفيات.

وقول ابن الأثير غفر الله له أن الكف كناية عن قبول الصدقة، هو تأويل ظاهر لصفة الكف، وهو نتيجة طبيعية لكل من أول صفة اليد، فعامة من أول صفة اليد أول معها ما يتعلق بها من البسط، واليمين، والكف، والأصابع، ... وغيرها.

**خامسًا: صفة الأصابع:**

الأصابع من صفات الله تعالى الذاتية الخبرية الثابتة في السنة الصحيحة، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: " **أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالخَلاَئِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ. «فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ**"، **ثمّ قرأ:** ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، وفي رواية: عن عبد الله: " **فضحك رسول الله ﷺ تعجّبًا وتصديقًا له** "(١).

ففي هذا الحديث إثبات صفة الأصابع لله سبحانه وتعالى، وجاء ذلك أيضا في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: " **إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ". ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**"(٢).

وقد أخذ أهل السنة بظاهر هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة وقالوا: إن لله تعالى أصابع حقيقة، نثبتها له كما أثبتها له نبيه ﷺ.

قال ابن خزيمة رحمه الله: " باب إثبات الأصابع لله عز وجل من سنة النبي ﷺ قيلا له، لا حكاية عن غيره"، وذكر بأسانيده ما يثبت ذلك "(٣).

وقال أبو يعلى:" وقال في رواية أبي طالب- القائل الإمام أحمد -:" قلب العبد بين أصبعين"،"وخلق آدم بيده"، وكلما جاء الحديث مثل هذا قلنا به "(٤).

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: " وندين الله عز وجل بأنه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابعه، وأنه سبحانه يضع السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، كما جاءت الرواية عن رسول الله ﷺ من غير تكييف "(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {لما خلقت بيديّ} [ص: ٧٥]، حديث رقم٧٤١٤، (٤/ ٥٤٢).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٦٣).

(٣) التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٨٧).

(٤) إبطال التأويلات (ص: ٤٥).

(٥) الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٢٦، ٢٧).

وكلام السلف في ذلك كثير، وهذا يبين فهم السلف لهذا الحديث وحملهم له على ظاهره المتبادر منه للأذهان، دون زعم المجاز فيه أو تحريف المعاني له.

ثم إن قول ابن مسعود رضي الله عنه في الرواية الثانية: " إن النبي ﷺ ضحك تعجبا لقول الحبر وتصديقا له، ليدل دلالة واضحة على رضى النبي صلى الله عليه عما قاله هذا الحبر، ورضاه كذلك عن الفهم الذي فهمه.

فإنه عليه الصلاة والسلام لا يضحك من كلام باطل وكفر بواح يتفوه به يهودي يشبّه فيه رب العالمين بمخلوقاته، ولو كان هذا – وحاشاه عليه الصلاة والسلام من ذلك – لنزل في الحين وحي في تخطئة اليهودي وتنزيه الباري.

ولهذا قال ابن خزيمة رحمه الله: " وقد أجل الله قدر نبيه ﷺ عن أن يوصف الخالق البارئ بحضرته بما ليس من صفاته، فيسمعه فيضحك عنده، ويجعل بدل وجوب النكير والغضب على المتكلم به ضحكا تبدو نواجذه، تصديقا وتعجبا لقائله لا يصف النبي ﷺ بهذه الصفة مؤمن مصدق برسالته "(١).

وما ذكره ابن الأثير غفر الله له من تأويل اليد بالقدرة والأصابع بأجزاء القدرة أو البطش، مردود ولا تقبله اللغة، قال الدارمي في الرد على المريسي – في تأويله الأصابع بالقدرة – : " فيقال لك أيها المعجب بجهالته: في أي لغات العرب وجدت أن أصبعيه قدرتيه؟ فأنبئنا بها، فإنا قد وجدناها خارجة من جميع لغاتهم إنما هي قدرة واحدة قد كفت الأشياء كلها وملأتها واستنطقتها، فكيف صارت للقلوب من بين الأشياء قدرتان؟ وكم تعدها قدرة؟ فإن النبي ﷺ قال: " بين أصبعين "، وفي دعواك: هي أكثر من قدرتين وثلاث وأربع، وحكمت فيها للقلوب قدرتين وسائرها لما سواها، ففي دعواك هذا أقبح محال، وأبين ضلال "(٢).

وبهذا البيان من سنة رسول الله ﷺ، وكلام سلف الأمة، وما يقتضيه لسان العرب يتبين أن لله أصابع على الحقيقة، كما يليق بجلاله وعظمته ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

**سادسًا: صفة البسط(٣):**

يوصف الله عزّ وجلّ بالبسط، وتوصف يده بالبسط، وهي صفةٌ فعلية خبريّةٌ ثابتةٌ بالكتاب والسنة.

فمن الكتاب:

١_ قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

٢_ وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] .

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٧٨).

(٢) الرد على المريسي (١/ ٣٦٩، ٣٧٠).

(٣) صفة البسط وإن كانت من الصفات الفعلية، لكن ذكرت هنا لتعلقها بصفة اليد.

٣_ وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ [الإسراء: ٣٠].

ومن السنة:

حديث نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا، وفيه: " **يَنْزِلُ اللهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ، أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: «مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ، وَلَا ظَلُومٍ**"[١].

وأيضا قول النّبيّ ﷺ: " **إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا** "[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ووصف نفسه – أي الله – ببسط اليدين، فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾، ووصف بعض خلقه ببسط اليد، في قوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾، وليس اليد كاليد، ولا البسط كالبسط، ... فلا بد من إثبات ما أثبته الله لنفسه، ونفي مماثلته لخلقه "[٣]. ومما أثبته الله لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ هو البسط.

ويقول ابن القيم رحمه الله : " ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا متصرفا فيه مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط ..."[٤].

وهذا الذي ذكره ابن القيم يرد تأويل ابن الأثير غفر الله له للبسط بأنه كناية عن الجود، كما في قوله تعالى: " بل يداه مبسوطتان "، فهذا لا يصح فيه المجاز، بل لابد من حمل الكلام على الحقيقة.

**سابعًا: صفة الأخذ[٥]:**

يوصف الله عزّ وجلّ بالأخذ، وتوصف يده بالأخذ، وهي صفةٌ فعلية خبريّةٌ ثابتةٌ بالكتاب والسنة.

أما من الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] .

وأما من السنة:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء، حديث رقم ١٦٦٠، (ص: ٣٤٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، حديث رقم ٦٨٨٣، (ص: ١٣٥٢).

(٣) التدمرية (ص: ٢٩، ٣٠).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٠٥).

(٥) صفة الأخذ وإن كانت من الصفات الفعلية، لكن ذكرت هنا لتعلقها بصفة اليد.

قال رسول الله ﷺ: " **يَأْخُذُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا اللهُ – وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا** [1] – **أَنَا الْمَلِكُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟**"[2].

وقال رسول الله ﷺ: " **مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً، فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْجَبَلِ، وَيُرَبِّيهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ، أَوْ فَصِيلَهُ**"[3].

فهذه النصوص صريحة في إثبات هذه الصفة الفعلية لرب العالمين على الحقيقة، كما يليق بجلاله وعظمته، وأما قول ابن الأثير أنها للتمثيل لا الحقيقة فغير صحيح ومردود لغة وشرعا.

قال ابن فارس رحمه الله: " أخذ: الهمزة والخاء والذال أصل واحد تتفرع منه فروع متقاربة في المعنى، أما أخذ: فالأصل حوز الشيء وجبيه وجمعه. تقول أخذت الشيء آخذه أخذا. قال الخليل: هو خلاف العطاء، وهو التناول "[4].

فالأخذ إمّا أن يكون خلاف العطاء، وهو ما كان باليد كالعطاء، وإما أخذ قهر[5]؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ [ النازعات: ٢٥] ، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [ هود: ١٢]، والمعنيّ هنا المعنى الأوّل وكلاهما صفة لله تعالى.

ويقول ابن القيم رحمه الله: " ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا متصرفا فيه مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط ...، وأخذ الصدقة بيمينه يربيها لصاحبها، ... وأنه يطوي السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يطوي الأرض باليد الأخرى "[6].

**ثامنًا: صفة الحثو[7]:**

يوصف الله عزّ وجلّ بالحثو، وتوصف يده بالحثو، وهي صفةٌ فعلية خبريّةٌ ثابتةٌ بالسنة الصحيحة.

قال النّبيّ ﷺ: " **وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ، وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ**"[1].

---

(١) قال النووي رحمه الله:" قال العلماء: المراد بقوله يقبض أصابعه ويبسطها النبي ﷺ." شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٣٢)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم ٦٩٤٦، (ص:١٣٧٣).

(٣) سبق تخريجه (ص: ٦٩).

(٤) مقاييس اللغة (١/ ٦٨).

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى- تحقيق: صفوان عدنان الداودي- دار القلم، الدار الشامية، دمشق- ط١، ١٤١٢ هـ- (ص: ٦٧).

(٦) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٠٥).

(٧) صفة الحثو وإن كانت من الصفات الفعلية، لكن ذكرت هنا لتعلقها بصفة اليد.

وبهذا الحديث الصحيح يعلم أن الحثو من صفات الله تعالى الفعلية المتعلقة بصفة اليد لله جل وعلا، وهي صفة حقيقية تليق به سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رحمه الله: " ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع ورودا متنوعا متصرفا فيه مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات "[٢].

وتأويل ابن الأثير غفر الله له بأن الحثو كناية عن المبالغة في الكثرة، لا يقبله سياق الحديث وظاهره، والأصل في الكلام أن يحمل على الحقيقة لا المجاز.

ومما مضى من نصوص شرعية صريحة وصحيحة، ونقول سلفية مبنية على هذه النصوص، يتبين أن صفة اليد وما يتعلق بها من صفات ذاتية، أو فعلية، هي صفات حقيقية ثابتة لله جل وعلا على ما يليق بجلاله وكماله، وعظيم صفاته ونعوته، مع تبرئتها وإبعادها عن ساحة التعطيل والتمثيل، ونبذ ما قيل فيها من تأويلات مردودة، لصرفها عن حقيقة ظاهرها ومدلولها.

**ثانيًا: الصفات الفعلية:**

**١ــ صفة البشبشة والفرح:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه حديث " **لَا يُوطِنُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، إِلَّا تَبَشْبَشَ اللهُ بِهِ حِينَ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ، كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ** "[٣]: " البش: فرح الصديق بالصديق، واللطف في المسألة والإقبال عليه، وقد بششت به أبش. وهذا مثل ضربه لتلقيه إياه ببره وتقريبه وإكرامه "[٤].

قول ابن الأثير غفر الله له: أن البش هو مثل لتلقيه بالبر والإكرام هو تأويل لمعنى البشبشة، وهو بذلك يخالف ما عليه اهل السنة والجماعة، إذ أنهم أثبتوا هذه الصفة لدلالة الحديث السابق عليها، وحملوها على ظاهرها، ووكلوا كيفيتها إلى الموصوف بها جل وعلا.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله بعد حديثه عن صفة الفرح لله تعالى، وإثباته لها: " وكذلك القول في البشبشة، لأن معناه يقارب معنى الفرح، والعرب تقول: رأيت لفلان بشاشة، وهشاشة وفرحا، ويقولون: فلان هش بش فرح، إذا كان منطلقا، فيجوز إطلاق ذلك كما جاز إطلاق الفرح "[٥].

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٩٢).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٠٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥/ ٥٢٣)، وابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٣٧٩)، وابن حبان في صحيحه (٤/ ٤٨٤) وقال الأرنؤوط في الموضع نفسه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٣٢).

(٤) النهاية (ص: ٧٨).

(٥) إبطال التأويلات (ص: ٢٤٣).

وقال ابن الأثير غفر الله له عند شرحه حديث " **لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ، مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ، إِذَا وَجَدَهَا** "[1]: " الفرح هاهنا وفي أمثاله كناية عن الرضى وسرعة القبول، وحسن الجزاء، لتعذر إطلاق ظاهر الفرح على الله تعالى "[2].

وهذا الكلام من ابن الأثير غفر الله له أيضا تأويل لهذه الصفة التي ثبتت بالسنة الصحيحة، مخالفا بذلك اهل السنة في إثباتهم لهذه الصفة، وحملها على الحقيقة، مع تأكيد أهل السنة على عدم مشابهة الخالق لمخلوقاته في الصفات التي اشتركوا فيها في اللفظ.

يقول القاضي أبو يعلى: " ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، ... بل نثبت ذلك صفة، كما أثبتنا صفة الوجه واليدين والسمع والبصر "[3].

وقد رد على من أول الفرح بالرضا فقال: " فإن قيل: معنى الفرح هاهنا معنى الرضا، ومن قوله تعالى: ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [ الروم: ٣٢ ] أي: راضون لأن من سر بالشيء فقد رضيه، ويقول: هو فرح به بمعنى هو راض به، فيكون معناه: أن من وفقه الله للتوبة من معاصيه، فقد رضي أن يكون مثابا على الخير مقبولا منه الطاعة.

قيل: هذا غلط لأن هذا القائل عنده أن الرضا بمعنى الإرادة، وإرادة الله سبحانه لا تختص ما ذكر في الخبر من التوبة، لأن ضد التوبة مما كان عليه قبل ذلك، كان الله مريدا له "[4].

فتفسير الفرح بلازمه وهو الرضا، وتفسير الرضا بإرادة الثواب بدعوى ان ذلك يستحيل في حق الله، لأنه من نعوت بني آدم، وفي نسبته إلى الله تشبيه بمخلوقاته، كل ذلك في الحقيقة نفي وتعطيل لفرحه ورضاه سبحانه وتعالى، أوجبه الظن أن هذه المعاني تكون فيه كما تكون في مخلوقاته، تعالى الله عن ذلك وتقدس.

ثم يقال لابن الأثير لماذا أولت الفرح بالرضى؟! هل أنت تثبت الرضى ولا حرج عندك في إطلاق ظاهره على الله؟! فإن كان الجواب نعم، فبذلك قل في الفرح فهما من باب واحد، وإن كان لا فلماذا أولت الفرح به.

فالحق ما ذهب إليه اهل السنة، أن التاويل للصفات باطل ليس له مسوغ من شرع صحيح، ولا عقل صريح.

**٢، ٣_ صفة الرحمة والغضب:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه حديث " **لَمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**"[1]: " رحمة الله وغضبه صفتان راجعتان إلى إرادته للثواب والعقاب "[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، حديث رقم٢٦٧٥، (ص: ١٣٤٥).

(٢) النهاية (ص:٦٩٧).

(٣) إبطال التأويلات (ص: ٢٤٢).

(٤) المصدر السابق (ص: ٢٤٢، ٢٤٣).

وقال في موضع آخر: " قد تكرر ذكر " الغضب " في الحديث من الله تعالى ومن الناس، فأما غضب الله فهو إنكاره على من عصاه، وسخطه عليه، وإعراضه عنه، ومعاقبته له "(٣).

قول ابن الأثير غفر الله له أن رحمة الله وغضبه هو إرادته الثواب أو العقاب أو الإعراض،هو تأويل لمعنى هاتين الصفتين، اللتين ثبتتا في الكتاب والسنة، وأجمع عليهما علماء أهل السنة، والنصوص الواردة في إثبات صفة الرحمة والغضب لا تكاد تحصى كثرة.

أما من الكتاب:

قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧].

وقال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص: ٩].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[الأعراف: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وأما من السنة:

الحديث السابق وقول النبي ﷺ: " **اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا بِنَبِيِّهِ، يُشِيرُ إِلَى رَبَاعِيَتِهِ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** "(٤).

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: " والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى "(٥) يقول شارح الطحاوية: " ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى،..."(٦).

وقال في إيثار الحق: " وقد أجمع المسلمون على حسن اطلاق الرحمة على الله من غير قرينة تشعر بالتأويل ولا توقف على عبارة التنزيل "(٧).

وعليه فما ذكره ابن الأثير غفر الله له من تأويل الرحمة والغضب بإرادة الثواب والعقاب، غير مقبول ومردود، وهو بذلك مخالف لاهل السنة والجماعة.

وكذلك يلزمه في تاويل هاتين الصفتين ما فر منه، فإنه ما تأول الرحمة والغضب إلا لزعمه أن ظاهرها يقتضي التمثيل، فيقال له: كذلك الإرادة فإنها مما يتصف بها المخلوق فإن كان إثباتها لا يقتضي التمثيل؟ فكذلك الرحمة والغضب، وإن كان إثباتها يقتضي ذلك لزم المحظور(١).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاءء في قول الله تعالى: {وهو الّذي يبدأ الخلق ثمّ يعيده} [الروم: ٢٧]، حديث رقم٣١٩٤، (٢/ ٣٨٩).

(٢) النهاية (ص: ٦٧٥).

(٣) المصدر السابق (ص: ٦٧٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، حديث رقم٤٠٧٣، (٣/ ٩٤).

(٥) متن الطحاوية (ص: ٨٠).

(٦) شرح الطحاوية (ص: ٤٦٣).

(٧) إيثار الحق على الخلق (ص: ١٢٧).

**٤ _ صفة السخرية:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه حديث " **إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا – أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا – فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي – أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي – وَأَنْتَ المَلِكُ " فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً**"(٢): " أي أتستهزئ بي؟ وإطلاق ظاهره على الله لا يجوز، وإنما هو مجاز بمعنى أتضعني فيما لا أراه من حقي، فكأنها صورة السخرية "(٣).

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله من منع إطلاق هذا اللفظ على الله، واعتباره من قبيل المجاز، مخالف لما ذكره أهل السنة في إثباتهم لهذه الصفة على الوجه الذي يليق برب العالمين، من غير تمثيل، ولا تكييف، معتمدين في ذلك على النصوص الصريحة والصحيحة من القرآن والسنة.

أما من القرآن:

قال الله تعالى: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

وأما من السنة:

فالحديث السابق دليل على ذلك، والذي فيه أن الله يخاطب آخر أهل الجنة دخولا، فيقول له: " **اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا – أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا – فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي – أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي – وَأَنْتَ المَلِكُ** "(٤).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله بعد أن ذكر الخلاف في تفسير آية " الله يستهزئ بهم" : " والصواب في ذلك من القول والتأويل عندنا: أن معنى الاستهزاء في كلام العرب: إظهار المستهزئ للمستهزإ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهرًا، وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطنًا، وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر"(٥). ثم ذكر بعد ذلك حججا عقلية في الرد على من نفى هذه الصفات.

وقال ابن تيمية رحمه الله: " كذلك ما ادعوا أنه مجاز في القرآن كلفظ " المكر " و " الاستهزاء " و " السخرية " المضاف إلى الله وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز وليس كذلك

---

(١) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٢٣٥)، وأيضا يقال له: الإنكار من صفات المخلوق، والسخط من صفات المخلوق، ومع ذلك أنت لا تقول بالمساواة أو المشابهة بين الخالق والمخلوق، فكذلك قل في كل الصفات الواردة في النصوص.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم٦٥٧١، (٤/ ٣٠٤).

(٣) النهاية (ص: ٤٢١، ٤٢٢).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة الحالية.

(٥) تفسير الطبري (١/ ٣٠٣).

بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلما له وأما إذا فعلت بمن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلا ... كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ ﴾منهم [ التوبة: ٧٩ ]"[١].

فأهل السنة يثبتون صفة السخرية لله عزّ وجلّ كما أثبتها لنفسه، وكما أثبتها له رسوله ﷺ، ولا يخوضون في كيفيتها، ولا يشبهونها بسخرية المخلوق؛ فالله ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾.

**٥_ صفة السخط:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند بيانه لحديث " **إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسخطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ** "[٢] : " أي يكرهه لكم ويمنعكم منه ويعاقبكم عليه، أو يرجع إلى إرادة العقوبة عليه "[٣].

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله من إرجاع معنى السخط لكره الشئ، أو لإرادة العقوبة عليه مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من إثباتهم لهذه الصفة لرب العالمين على الوجه الذي يليق به، مستدلين بذلك بآيات من القرآن، وبأحاديث من كلام المصطفى العدنان ﷺ.

أما من الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ﴾[المائدة: ٨٠].

وقال الله جل وعلا: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ ﴾[محمد: ٢٨].

أما من السنة:

قال النّبيّ ﷺ: " **إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**"[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١١١) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه، حديث رقم ٤٣٧٣، (ص: ٨٦٤) .

(٣) النهاية (ص: ٤٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، حديث رقم ٧٥١٨، (٤/ ٥٧٧).

وكذلك قال رسول الله ﷺ: " **إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسخطُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ** "(١).

قال الشيخ عبد الغني المقدسي رحمه الله: " ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز، الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين ﷺ: اليدان، ... وكل ما قال الله عز وجل في كتابه، وصح عن رسوله بنقل العدل عن العدل مثل: المحبة، والمشيئة، ... والعجب، والبغض، والسخط، والكره، والرضا، وكل ما صح عن الله ورسوله ﷺ، وإن نبت عنها أسماع بعض الجاهلين واستوحشت منها نفوس المعطلين "(٢).

فأثبت الصفة رحمه الله بناءً على الأصول التي طالما ذكرها أهل السنة وأكدوها، وهو إثبات الصفات التي ثبتت بالقرآن والسنة، من غير تأويل، ولا تحريف، ولا تكييف.

وقال ابن تيمية رحمه الله: " والرسل صلوات الله عليهم أجمعين إنما جاءوا بإثبات هذا الأصل وهو أن الله يحب بعض الأمور المخلوقة ويرضاها ويسخط بعض الأمور ويمقتها وأن أعمال العباد ترضيه تارة وتسخطه أخرى، قال تعالى: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ** ﴾ [محمد: ٢٨] "(٣).

فما ذكره ابن الأثير عفا الله عنه من تأويل السخط بإرادة العقوبة، غير مقبول، ومخالف لظواهر النصوص، وللأصول التي أثبتها الأنبياء، ومن بعدهم أهل السنة.

وكذلك يلزمه في تاويل صفة السخط من الله نظير ما فر منه، فإنه ما تأول السخط إلا لزعمه أن ظاهرها يقتضي التمثيل، فيقال له: كذلك الإرادة فإنها مما يتصف بها المخلوق فإن كان إثباتها لا يقتضي التمثيل؟ فكذلك السخط، وإن كان إثباتها يقتضي ذلك لزم المحظور، وهذا مما لا يقوله.

**٦_ صفة العجَب:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند حديث: " **عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ قَوْمٍ يُساقُونَ إِلَى الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ** "(٤): " أي عظم ذلك عنده وكبر لديه، أعلم الله تعالى أنه إنما يتعجب الآدمي من الشيء إذا عظم موقعه عنده وخفي عليه سببه، فأخبرهم بما يعرفون ليعلموا موقع هذه الأشياء عنده، وقيل: معنى عجب ربك: أي رضي وأثاب، فسماه عجبا مجازا، وليس بعجب في الحقيقة، والأوّل الوجه، ...

(١) سبق تخريجه في الصفحة الحالية.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد (ص: ١١٢- ١٢٣).

(٣) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الأسارى في السلاسل، حديث رقم ٣٠١٠، (٢/ ٣٣١) بلفظ:" عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ " .

وإطلاق التعجب على الله مجاز، لأنه لا تخفى عليه أسباب الأشياء. والتعجب مما خفي سببه ولم يعلم "[1].

وقال أيضا عند شرحه لقول الله تعالى: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾[2] [الصافات: ١٢] بالضم، : " عجبت من ضم تاء " عجبت " ردها إلى الله تعالى: أي عجبت من أن ينكروا البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون بمن يصف الله بالقدرة عليه، والتعجب من الله: أن يجري لمعنى الاستعظام، أو على تقدير الفرض "[3].

ما ذكره ابن الأثير غفر الله له من أن معنى التعجب من الله، هو الرضى، أو الإثابة وأنها تطلق على الله من قبيل المجاز، مخالف لما ذكره أهل السنة والجماعة في إثباتهم لهذه الصفة لرب العالمين على الوجه الذي يليق به من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكييف.

فأهل السنة والجماعة وصفوا الله بهذه الصفة بمقتضى النصوص الصريحة والصحيحة من القرآن والسنة.

أما من الكتاب:

قال الله جل جلاله: ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد: ٥] .

أما من السنة:

الحديث السابق، وكذلك حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: **أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ "**[4].

---

(١) النهاية (ص: ٥٩٤ ).

(٢) قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره (٢١/ ٢٢، ٢٣) في تفسير هذه الآية هذه الآية:" اختلف القرّاء فى قراءة ذلك، فقرأه عامة قراء الكوفة: (بل عجبت ويسخرون) بضم التاء من عجبت، ... وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة (بل عجبت) بفتح التاء بمعنى: بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن. والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان في قراء الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ".

(٣) جامع الأصول (٢/ ٤٩٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الحشر: ٩]، حديث رقم ٤٨٨٩، (٣/ ٤١٦).

قال الفراء[١] رحمه الله: " والعجب وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد، ألا ترى أنه قال " فيسخرون منهم سخر الله منهم " وليس السخرية من الله كمعناه من العباد وكذلك قوله "الله يستهزئ بهم " ليس ذلك من الله كمعناه من العباد "[٢]. فإثبات الصفات لله لا يستلزم مشابهتها لصفات المخلوق.

وقد فند القاضي أبو يعلى رحمه الله كل التأويلات التي ذكرها ابن الأثير رحمه الله وغيره، وردها بحجج عقلية قوية، فقال رحمه الله – بعد أن ساق أحاديث تثبت هذه الصفة –: " اعلم أن الكلام في هذا الحديث، كالكلام في الذي قبله، وأنه لا يمتنع إطلاق ذلك عليه، وحمله على ظاهره إذ ليس في ذلك ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نثبت عجبا هو تعظيم لأمر استعظمه لم يكن عالما به، لأنه مما لا يليق بصفاته .... فإن قيل: ... يحتمل أن يكون المراد به الرضا له والقبول، لأن من أعجبه الشيء فقد رضيه، ولا يصح أن يعجب مما يسخطه ويكرهه.قيل: ... وما ذكروه من التأويل لا يصح، لأن الله تعالى راض بذلك قبل وجود هذه الأفعال منهم، ومعظم لها قبل وجودها، فرضاه وتعظيمه لا يختص ما ذكر في الأخبار، فلم يصح حملها عليه، لأنه حمل على ما لا يفيد "[٣].

وكذلك يلزمه في تاويل صفة العجب نظير ما فر منه، فإنه ما تأول العجب إلا لزعمه أن ظاهرها يقتضي التمثيل، فيقال له: كذلك الرضى فإنها مما يتصف بها المخلوق فإن كان إثباتها لا يقتضي التمثيل؟ فكذلك العجب، وإن كان إثباتها يقتضي ذلك لزم المحظور.

فالقول السليم المحكم – إذا– هو الإثبات الحقيقي لهذه الصفة المصاحب للتنزيه، المبرأ من التعطيل، واعتقاد أنها من صفاته الفعلية التي تتجدد حسب مشيئته واختياره سبحانه وتعالى.

**٧_ صفة الغيظ:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند بيانه لحديث " **أَغْيَظُ الأَسْمَاءِ عِندَ اللهِ رَجلٌ تَسمَّى مَلِكُ الْأَمْلَاكِ** "[٤]: " هذا من مجاز الكلام معدول عن ظاهره، فإن الغيظ صفة تغير في المخلوق عند احتداده، يتحرك لها، والله يتعالى عن ذلك الوصف، وإنما هو كناية عن عقوبته للمتسمي بهذا الاسم: أي أنه أشد أصحاب هذه الأسماء عقوبة عند الله "[٥].

---

(١) هو: العلامة يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي، الفراء، أبو زكريا، صاحب التصانيفرالبديعة، منها: معاني القران، والفصيح، توفي رحمه الله سنة ٢٠٧هـ وهو بطريقه إلى الحج. انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ١١٨)

(٢) معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٨٤).

(٣) إبطال التأويلات (ص: ٢٤٥ ، ٢٤٦).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب، باب تحريم التسمي بملك الأملاك، وبملك الملوك، حديث رقم ٢١٤٣، (ص: ١٠٧٨ ) بلفظ " أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ ".

(٥) النهاية (ص: ٦٨٦).

ما ذكره ابن الأثير غفر الله له من أن هذا الحديث من مجاز الكلام، وأنه لا يحمل على ظاهره، وأن الصفة كناية عن العقوبة، مخالف لما ذكره أهل السنة والجماعة من اعتبار هذا الحديث من أحاديث الصفات التي تمر كما جاءت، وأنه ليس شيء مما ورد في الكتاب والسنة إلا ويجب اتباع الكتاب والسنة في ذلك، وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. (١)

قال رسول الله ﷺ: " **أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ وَأَغْيَظُهُ عَلَيْهِ، رَجُلٍ كَانَ يُسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ، لَا مَلِكَ إِلَّا اللهُ** "(٢).

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله: " وقوله: " أغيظ ": فيه إثبات الغيظ لله عز وجل، فهي صفة تليق بالله عز وجل، كغيرها من الصفات، والظاهر أنها أشد من الغضب "(٣).

فالصواب والأصل هو حمل الكلام على الحقيقة، وما ذكره ابن الأثير من أن الغيظ هو صفة تغير في المخلوق عند احتداده، فإن هذا إنما يكون في المخلوق، وصفات الله تعالى لا تشبه صفات خلقه، فلكل صفة غيظ تليق به، وهذا عام في جميع الصفات التي اتفق فيها الخالق والمخلوق في الاسم العام. والله أعلم.

**٨_ صفة القرب:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه حديث " **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** "(٤) : " المراد بقرب العبد من الله: القرب بالذكر والعمل الصالح، لا قرب الذات والمكان، فإن ذلك من صفات الأجسام، والله يتعالى عن ذلك ويتقدس، والمراد بقرب الله من العبد: قرب نعمه وألطافه به، وبره وإحسانه إليه، وفيض مواهبه عليه، وترادف مننه عنده "(٥).

وقال أيضا عند شرح حديث " **إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ مِنِّي شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بُوعًا – أَوْ بَاعًا – وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي بُوعًا – أَوْ بَاعًا – أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** "(٦): " البوع والباع سواء، وهو قدر مد اليدين وما بينهما من البدن، وهو ها هنا مثل لقرب ألطاف الله تعالى من العبد إذا تقرب إليه بالإخلاص والطاعة "(٧).

---

(١) فتح المجيد– عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي – تحقيق: محمد حامد الفقي– مطبعة السنة المحمدية، القاهرة– ط٧، ١٣٧٧هـ–١٩٥٧م– (ص: ٤٣٠)

(٢) سبق تخريجه (ص: ٦٤).

(٣) القول المفيد (٢/ ٢٥٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم ٢٦٧٥، (ص: ١٣١٨).

(٥) جامع الأصول (٤/ ٤٧٧) وانظر النهاية (ص: ٧٣٩).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦/ ٣٦٢)، وقال الأرناؤوط في تحقيقه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٧) النهاية (ص: ٩٣).

ما ذكره ابن الأثير عفا الله عنه من أن معنى قرب الله من عباده هو قرب ألطافه ونعمه وإحسانه، مخالف لما ذكره أهل السنة والجماعة من حملهم هذه الصفة على الحقيقة كما يليق بالله جل وعلا، مستندين في ذلك إلى الكتاب والسنة.

أما من الكتاب:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾[هود: ٦١].

أما من السنة:

فالأحاديث السابقة دليل، ومنها كذلك حَدِيثُ أَبِي مُوسَى، **قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ» قَالَ وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ "**(١).

فهذه نصوص صريحة في إثبات القرب لله من عباده كما يليق به، وهو مستو على عرشه بائن من خلقه.

وقرب الله تعالى الوارد في النصوص نوعان:

**الأول:** قربه اللازم من عباده بعلمه وقدرته وتدبيره، وهذا المعنى يقول به جميع المسلمين.

**الثاني:** قربه بنفسه من مخلوقاته قربا لازما في وقت دون وقت؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الصفات الإختيارية به تعالى، وينفيه من عداهم(٢).

يقول ابن تيمية رحمه الله: " وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على العرش، وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر، وأول من أنكر هذا في الإسلام الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة "(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، حديث رقم ٦٧٥٦، (ص: ١٣٢٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ١٣ وما بعدها)، شرح حديث النزول- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي- المكتب الإسلامي، بيروت- ط٥، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م- (ص: ١٠٤).

(٣) شرح حديث النزول (ص: ١٠٥)، ملاحظة: ليس كل قرب ورد في القرآن أو السنة يفسر بالقرب الحقيقي، مثل مثل قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: ٨٥]، فالراجح أن القرب هنا هو قرب الملائكة كما ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٧/ ٣٩٨)، ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٦/ ١٤) :" ولا يلزم من جواز القرب عليه أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه

وقرب الله جل وعلا إنما ورد خاصا لا عاما، ولم يجئ القرب كما جاءت المعية خاصة وعامة، فليس في القرآن ولا في السنة أن الله قريب من كل أحد، وأنه قريب من الكافر والفاجر، وإنما جاء خاصًا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة: ١٨٦][١].

فمما سبق يتبين خطأ تأويل الحديث بقرب النعم والإحسان كما ذكر ابن الأثير رحمه الله، فالحديث دل على قرب الله بنفسه قربا ليس له نظير، وهو مع ذلك مستو على عرشه بائن من خلقه.

**٩_ صفة المحبة:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه حديث " **إنّ اللهَ وِتْرٌ يُحِب الوترَ، فَأَوْتِرُوا** "[٢] : " يحب الوتر: أي يثيب عليه، ويقبله من عامله "[٣].

وقال في شرح اسم الله الودود: " الودود: فعول بمعنى: مفعول من الود، فالله تعالى مودود، أي: محبوب في قلوب أوليائه، أو هو فعول بمعنى: فاعل، أي: إن الله تعالى يود عباده الصالحين، بمعنى يرضى عنهم "[٤].

الذي ذكره ابن الأثير غفر الله له من أن معنى المحبة هو القبول أو الرضى أو الإثابة مخالف لما عليه السلف رضوان الله عليهم في بيانهم لمعنى هذه الصفة، فالسلف قالوا إن الله يحب ويحب على الحقيقة كما يليق بربنا جل وعلا، من غير تشبيه ولا تكييف، معتمدين في ذلك إلى نصوص كثيرة جدا من الكتاب والسنة والإجماع في إثبات هذه الصفة.

أما من الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[البقرة: ١٩٥].

وقال الله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤].

أما من السنة:

قال رسول الله ﷺ: " **إنَّ اللهَ يُحِبَّ الْعَبدَ التَقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيّ** "[٥].

وكذلك قوله ﷺ: " **لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: أَيْنَ عَلِيٌّ؟، فَقِيلَ يَشْتَكِي**

---

بنفسه بل يبقى هذا من الأمور الجائزة وينظر في النص الوارد فإن دل على هذا حمل عليه وإن دل على هذا حمل عليه".

(١) انظر: مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٨١)، شرح حديث النزول (ص: ١٢٥).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٢١).

(٣) النهاية (ص: ٩٥٧).

(٤) جامع الأصول (٤/ ١٧٩)، وانظر: النهاية (ص: ٩٦٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم ٢٩٦٥، (ص: ١٤٥٤).

**عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** "(١).

أما الإجماع:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام "(٢).

فالمحبة شأنها شأن بقية الصفات التي وصف الله بها نفسه والتي وصفها به رسوله ﷺ، في حملها على ظاهرها كما يليق بالله. يقول شارح الطحاوية: " ومذهب السلف وسائر الأئمة إثبات صفة الغضب، والرضى، والعداوة، والولاية، والحب، والبغض، ونحو ذلك من الصفات، التي ورد بها الكتاب والسنة، ومنع التأويل الذي يصرفها عن حقائقها اللائقة بالله تعالى، كما يقولون مثل ذلك في السمع والبصر والكلام وسائر الصفات "(٣).

ويلزم ابن الأثير رحمه الله نظير ما فر منه، فإنه ما أول صفة المحبة بالرضى والقبول إلا لزعمه أن ظاهرها يقتضي التمثيل، فيقال له: كذلك الرضى والقبول مما يتصف بهما المخلوق فإن كان إثباتهما لا يقتضي التمثيل فكذلك المحبة، وإن كان إثباتهما يقتضي التمثيل لزم ذلك المحظور. وهذا مما لا يقوله.

فلا وجه سائغ للتأويلات التي ذكرها ابن الأثير رحمه الله فجميع طرق الأدلة – عقلا ونقلا وفطرة، وقياسا واعتبارا، وذوقا ووجدا – تدل على إثبات محبة العبد لربه، والرب لعبده(٤).

**١٠، ١١_ الملل والسآمة:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرح حديث " **عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: فُلاَنَةُ، تَذْكُرُ مِنْ صَلاَتِهَا، قَالَ: مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لاَ يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ** "(٥): " المراد بهذا بهذا الحديث، أن الله لا يمل أبدا، مللتم أو لم تملوا، فجرى مجرى قولهم: لا أفعله حتى يشيب الغراب، ويبيض القار.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، حديث رقم٣٠٠٩، (٢/ ٣٣٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٣٥٤).

(٣) شرح الطحاوية (ص: ٤٦٣، ٤٦٤).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٢٠)، وفي هذا الكتاب قد فصل ابن القيم رحمه الله وتكلم بتوسع عن المحبة وحقيقتها ومراتبها ومحبة الله لعبده ومحبة العبد لربه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه، حديث رقم٥٨٦١، (٤/ ١٢٨، ١٢٨، ١٢٩).

وقيل معناه: إن الله لا يطرحكم حتى تتركوا العمل له، وتزهدوا في الرغبة إليه، فسمى الفعلين مللا، وكلاهما ليس بملل، كعادة العرب في وضع الفعل إذا وافق معناه.

وقيل معناه: إن الله لا يقطع عنكم فضله، حتى تملوا سؤاله، فسمى فعل الله مللا، وليس بملل، على جهة الازدواج، كقوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾ [ البقرة: ١٩٤ ] وكقوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [ الشورى: ٤ ] وهذا شائع في العربية، وكثير في القرآن "[١].

وقال في شرح حديث " **لَا يَسْأَمُ اللهُ حَتَّى تَسْأَمُوا** "[٢]: " لا يسأم: السآمة: الضجر والملل، والمعنى مثله في قوله " **لايمل حتى تملوا** "[٣].

القاعدة عند أهل السنة والجماعة أنهم يصفون الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تمثيل، ولا تكييف، فإذا كان هذا الحديث يدل على أن لله مللا فإن ملل الله ليس كمثل مللنا نحن، بل هو ملل ليس فيه شيء من النقص، أما ملل الإنسان فإن فيه أشياء من النقص؛ لأنه يتعب نفسيا وجسميا مما نزل بعد لعدم قوة تحمله.

يقول الشيخ محمد بن ابراهيم[٤]رحمه الله: " فان الله لا يمل حتى تملوا: من نصوص الصفات، وهذا على وجه يليق بالباري لا نقص فيه، كنصوص الاستهزاء والخداع فيما يتبادر "[٥].

ولما سئل الشيخ العثيمين رحمه الله عن هذا الحديث " لا يمل الله حتى تملوا " ذكر أن العلماء في بيان معنى هذا الحديث على ثلاثة أقوال[٦]:

**الأول:** من العلماء من قال إن هذا دليل على إثبات الملل لله، لكن ملل الله ليس كملل المخلوق، إذ إن ملل المخلوق نقص، لأنه يدل على سأمه وضجره من هذا الشيء، أما ملل الله فهو كمال وليس فيه نقص، ويجري هذا كسائر الصفات التي نثبتها لله على وجه الكمال وإن كانت في حق المخلوق ليست كمالا.

---

(١) جامع الأصول (١/ ٣٠٦، ٣٠٧) وانظر: جامع الأصول (٣١٨/٦)، والنهاية (ص: ٨٨٢، ٨٨٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، حديث رقم ٧٨٥، (ص: ٣٦٠).

(٣) جامع الأصول (١/ ٣١٣).

(٤) هو: العلامة الجليل الأصولي المحدث الفقيه الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد اللطيف، مفتى الديار السعودية في حياته، ولد في الرياض، وحفظ القرآن من صغره، ودرس على علماء نجد في زمانه، توفي رحمه الله سنة ١٣٨٩هـ. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم- عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف- دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض- ط١، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م- (ص: ١٣٤).

(٥) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ- محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل آل الشيخ- تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم- مطبعة الحكومة بمكة المكرمة- ط١، ١٣٩٩ هـ - (١/ ٢٠٩).

(٦) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٧٤، ١٧٥).

**الثاني:** من العلماء من قال: إن قوله: " لا يمل حتى تملوا " يراد به بيان أنه مهما عملت من عمل فإن الله يجازيك عليه، فاعمل ما بدا لك فإن الله لا يمل من ثوابك حتى تمل من العمل، وعلى هذا فيكون المراد بالملل لازم الملل.
**الثالث:** ومن العلماء من قال: إن هذا الحديث لا يدل على صفة الملل لله إطلاقا لأن قول القائل: لا أقوم حتى تقوم لا يستلزم قيام الثاني وهذا أيضا " لا يمل حتى تملوا " لا يستلزم ثبوت الملل لله عز وجل، ... ثم قال بعد ذلك: " وعلى كل حال يجب علينا أن نعتقد أن الله تعالى منزه عن كل صفة نقص من الملل وغيره، وإذا ثبت أن هذا الحديث دليل على الملل فالمراد به ملل ليس كملل المخلوق "[1].

**١١_ صفة النزول:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرح حديث " **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ** "[2]:" النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، والله تعالى يتقدس عن ذلك، والمراد به: نزول الرحمة والألطاف الإلهية، وقربها من العباد، وتخصيصه لها بالثلث الآخر من الليل، لأن ذلك وقت التهجد وقيام الليل وغفلة الناس عمن يتعرض لنفحات رحمة الله تعالى، وعند ذلك تكون النية خالصة، والرغبة إلى الله تعالى متوفرة، فهو مظنة القبول والإجابة "[3].

ما ذكره ابن الأثير غفر الله له من استحالة وصف الله تعالى بالنزول، لأن النزول والصعود والحركة والسكون من صفات الأجسام، وبالتالي فإن معنى نزول الله جل وعلا في ثلث الليل الآخر هو نزول رحمته وألطافه، مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة من إثباتهم هذه الصفة على حقيقتها كما يليق بالله جل وعلا من غير تمثيل ولا تكييف، معتمدين في ذلك على النصوص الكثيرة والمتواترة من السنة الصحيحة الصريحة والإجماع.
أما من السنة:

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٧٥)، ملاحظة: ما يقال في صفة الملل يقال في صفة السآمة على التفصيل المذكور سابقا.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، حديث رقم ٧٤٩٤، (٤/ ٥٦٨)، تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في إثبات صفة النزول لله جل وعلا، وعدها غير واحد من أهل العلم من قبيل المتواتر: كالحافظ ابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤٣)، وعبد الغني المقدسي في الاقتصاد في الاعتقاد (ص: ١٠٠)، وابن القيم في مختصر الصواعق (ص: ٤٤٤)، والذهبي في العلو (ص: ٩٩).

(٣) جامع الأصول (٤/ ١٤٠، ١٤١)، وانظر: النهاية (ص: ٩١١).

قال رسول الله ﷺ: " **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ** "(١).

وأما الإجماع:

فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات صفة النزول لله تعالى، ونقل إجماعهم هذا كثير من العلماء، ومنهم الإمام الشافعي رحمه الله حيث يقول: " القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها، أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم، ... الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وذكر شيئا ثم قال: وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء "(٢). فهو إجماع من أهل القرون المفضلة.

ويقول الإمام الدارمي رحمه الله- بعد سياقه لأحاديث النزول- : " فهذه الأحاديث قد جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا، لا ينكرها منهم أحد ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله ﷺ برد، وتشمروا لدفعها بجد، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا: لم نكلف معرفة كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلا أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، والإيمان بقول رسول الله ﷺ في نزوله واجب "(٣).

وعليه فإن النزول ثابت لله تعالى على ما يليق بجلاله، وأما الاعتراض عليه بأن إثبات صفة النزول يلزم منه الصعود والحركة والسكون وهو من صفات الأجسام فهو مردود وغير مقبول.

فإن من منهج أهل السنة في مثل هذه الألفاظ- التي لم ترد في الشرع نفيا ولا إثباتا- التوقف في لفظها، والاستفصال في معناها، فإن أريد بها حقا قبلت، وإن أريد بها باطلا ردت.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: " لفظ الحركة والانتقال والجسم ... ونحو ذلك من الألفاظ التي تحتها حق وباطل، فهذه لا تقبل مطلقا ولا ترد مطلقا، فإن الله سبحانه لم يثبت لنفسه هذه المسميات ولم ينفها عنه، فمن أثبتها مطلقا فقد أخطأ ومن نفاها مطلقا فقد أخطأ، فإن معانيها منقسمة إلى ما يمتنع إثباته لله، وما يجب إثباته له "(٤).

ثم قال بعد ذلك: " وقد دل القرآن والسنة والإجماع على أنه سبحانه يجيء يوم القيامة، وينزل لفصل القضاء بين عباده، ويأتي في ظلل من الغمام والملائكة، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا،

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة الحالية.

(٢) أخرجه ابن قدامة في إثبات صفة العلو= إثبات صفة العلو- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي- تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي- مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م- (ص:١٨٠، ١٨١)، والذهبي في العلو (ص: ١٦٥)، وذكره ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٦٥).

(٣) الرد على الجهمية- أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني- تحقيق: بدر بن عبد الله البدر- دار ابن الأثير، الكويت- ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م- (ص: ٩٣).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٧٢، ٢٧٣).

وينزل عشية عرفة، وينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، وينزل إلى أهل الجنة، وهذه أفعال يفعلها بنفسه في هذه الأمكنة، فلا يجوز نفيها عنه بنفي الحركة والنقلة المختصة بالمخلوقين، فإنها ليست من لوازم أفعاله المختصة به، فما كان من لوازم أفعاله لم يجز نفيه عنه، وما كان من خصائص الخلق لم يجز إثباته له، وحركة الحي من لوازم ذاته، ولا فرق بين الحي والميت إلا بالحركة والشعور فكل حي متحرك بالإرادة وله شعور، فنفي الحركة عنه كنفي الشعور، وذلك يستلزم نفي الحياة "[1].

وأما تأويل ابن الأثير غفر الله لنا وله النزول الوارد في الحديث هو نزول رحمته وألطافه فباطل لأن ألفاظ أحاديث النزول كلها تدل على أن المراد نزول الرب لا نزول غيره كقوله ﷺ: " **يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ** "[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – بعد أن ذكر وجوها في الرد على من أول هذا الحديث–: " ... الثالث: أنه قال: " **يَنزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقولُ: مَنْ ذَا الْذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيب لَهُ؟ مَنْ ذَا الذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَه؟ مَن ذَا الذِي يَسْتَغْفِرنِي فَأَغْفِرَ لَه؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ** "، ومعلوم أنه لا يجيب الدعاء ويغفر الذنوب ويعطي كل سائل سؤله إلا الله، وأمره ورحمته لا تفعل شيئًا من ذلك "[3]. فلو كان النازل غير الله لكان الواجب أن يقول: من يدعو الله فيستجيب له؟ من يسأله فيعطيه، من يستغفره فيغفر له.

وكذلك مما يبطل تأويل الحديث بنزول رحمته وألطافه، أن رحمته وألطافه سبحانه وتعالى تنزلان بالليل والنهار، ولا يختص نزولهما بالثلث الأخير، ولا بوقت دون وقت، بل لا ينقطعان عن العالم السفلي والعلوي طرفة عين[4].

وبهذا يتبين أن مذهب أهل السنة والجماعة هو المذهب الحق في إثبات صفة النزول لرب العالمين كما صح في الخبر، نزولا يليق بجلاله وعظمته.

**١٢_ صفة النظر:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرح حديث " **إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ** "[5]: " معنى النظر هاهنا الاختيار والرحمة والعطف "[6].

---

(١) المصدر السابق (ص:٢٧٣).

(٢) سبق تخريجه (ص: ١١٦).

(٣) شرح حديث النزول (ص: ٦٦، ٦٧).

(٤) انظر: التمهيد (٧/ ١٤٣)، مختصر الصواعق المرسلة (ص: ٤٧٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، حديث رقم ٦٤٣٨، (ص: ١٢٧٠).

(٦) النهاية (ص: ٩٢٥).

ما ذكره الإمام ابن الأثير غفر الله لنا وله من أن معنى النظر هنا هو الاختيار والرحمة والعطف مخالف لما عليه مذهب أهل السنة والجماعة من إثبات صفة النظر حقيقة لله جل وعلا كما يليق بجلاله وعظمته ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى: ١١]، وأن الله ينظر بعينيه[١] إلى من يشاء ويصرف النظر عمن يشاء، معتمدين ومستندين في ذلك إلى الأدلة الصريحة والصحيحة من القرآن والسنة.

أما من الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٧٧].

وأما من السنة:

فبالإضافة إلى الحديث السابق، فقد قال رسول الله ﷺ: " **ثَلَاثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَجُلٌ كَانَ لَهُ فَضْلُ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ، فَمَنَعَهُ مِنَ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا، فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا سَخِطَ، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ العَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ ثمّ قرأ هذه الآية: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[آل عمران: ٧٧]** "[٢].

وكذلك قول رسول الله ﷺ: " **لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاَءَ** "[٣].

يقول شارح الطحاوية رحمه الله: " النظر له عدة استعمالات، بحسب صلاته وتعديه بنفسه؛ فإن عدي بنفسه فمعناه: التوقف والانتظار كقوله: ﴿ **انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ** ﴾ [الحديد: ١٣]، وإن عدي بـ" في " فمعناه: التفكر والاعتبار، كقوله: ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، وإن عدي بـ" إلى " فمعناه: المعاينة بالأبصار، كقوله تعالى: ﴿ **انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ** ﴾ [الأنعام: ٩٩] "[٤].

والنظر فيما سبق من أدلة متعدٍ بـ (إلى)؛ فلذلك أهل السنة والجماعة يقولون: إنّ الله عزّ وجلّ يرى ويبصر وينظر إلى ما يشاء بعينيه سبحانه وتعالى؛ كما يليق بجلاله وعظمته، ليس كمثله شيءٌ وهو السّميع البصير.

---

(١) سبق الحديث عن إثبات العينين لله جل وعلا عند الحديث عن اسم الله البصير. انظر: (ص: ٤١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب اثم من منع ابن السبيل من الماء، حديث رقم٢٣٥٨، (٢/ ١٣٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، حديث رقم٥٧٨٣، (٤/ ١١٠).

(٤) شرح الطحاوية (ص: ١٩٠).

ولذلك قال الإمام ابن منده[1] رحمه الله: " ذكر ما امتدح الله عز وجل من الرؤية والنظر إلى خلقه ودعا عباده إلى مدحه بذلك " ثم ساق الأدلة على ذلك، وقال في الباب الذي يليه: " ذكر ما يدل على أن الله عز وجل يعرض عما يكره ولا ينظر إليه قال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا** ﴾ الآية السابقة من آل عمران، ثم قال بعد ذلك: " باب آخر يدل على النظر من الله عز وجل إلى عبده وإعراضه عنه، ووعيده في الإعراض عن من سخط عليه والنظر إلى من يرضاه "، ثم ساق جملة من الأدلة على هذه الصفة[2].

فما ذكره الإمام ابن منده رحمه الله في هذه الأبواب الثلاثة وأدلتها فيه دلالة واضحة على إثبات النظر لله جل وعلا كما يليق به، وفي ذلك السلامة للمرء في دينه وعقيدته بربه جل وعلا.

**١٣_ صفة الهرولة:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرحه حديث " **يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً** "[3]: " الهرولة: بين المشي والعدو، وهو كناية عن سرعة إجابة الله تعالى، وقبول توبة العبد، ولطفه ورحمته "[4].

القاعدة عند أهل السنة والجماعة أنهم يصفون الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تمثيل، ولا تكييف، فإذا كان هذا الحديث يدل على هذه الصفة فهي ليست كمثلنا نحن.

فما دامت السنة قد جاءت بهذه الصفة على لسان رسول الله الذي هو أعلم الخلق بالله، وجب الإتباع لرسول الله ﷺ.

ولذلك لما سئلت اللجنة الدائمة: هل لله صفة الهرولة؟

---

(١) هو: الإمام، الحافظ، أبو عبد الله محمّد بن إسحاق بن محمّد بن يحيى بن مندة، العبديّ، الأصبهانيّ، صاحب التّصانيف، مولده: في سنة عشرٍ وثلاث مائةٍ، أو إحدى عشرة، ومن تصانيفه: كتاب (الإيمان) وهو من أشهرها، مات رحمه الله سنة ٣٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٧/ ٢١).

(٢) التوحيد- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي- حققه وعلق عليه: الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي- مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا- ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م- ( ٣/٥٦- ٧٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء، حديث رقم ٦٧٢٨، (ص: ١٣٢٢).

(٤) النهاية (ص: ١٠٠٧).

أجابت: " نعم، صفة الهرولة على نحو ما جاء في الحديث القدسي الشريف على ما يليق به قال تعالى: " **إِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ العَبْدُ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي مَاشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** "، وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم "[١].

ولما سئل العثيمين رحمه الله عن صفة الهرولة؟ أجاب بقوله: " صفة الهرولة ثابتة لله تعالى كما في الحديث الصحيح ... وفيه: " وإن أتاني يمشي أتيته هرولة "، وهذه الهرولة صفة من صفات أفعاله التي يجب علينا الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل؛ لأنه أخبر بها عن نفسه وهو أعلم بنفسه، فوجب علينا قبولها بدون تكييف؛ لأن التكييف قول على الله بغير علم وهو حرام، وبدون تمثيل؛ لأن الله يقول: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ "[٢].

وقال في موضع آخر: " وذهب بعض الناس إلى أن قوله تعالى في هذا الحديث القدسي " أتيته هرولة ": يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه، وأن مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العام، ... وما ذهب إليه هذا القائل له حظ من النظر، لكن القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف "[٣].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة– اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء– جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش– رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء– الإدارة العامة للطبع– الرياض– (٣/ ١٩٦)، فتوى رقم (٦٩٣٢)، وقع على هذه الفتوى كل من الشيخ: عبد الله بن قعود، عبد الله بن غديان، عبد الرزاق عفيفي، عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٨٢).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٣/ ٣٢٩)، وقال العثيمين:" ولقد تأملت هذه المسألة، وكلما هممت أن أقول بما ذهب إليه بعض الناس في هذا الحديث، وجدتني خائفا أن أقول في كلام الله عز وجل ما لا أعلم، وأن بقائي على ما يدل عليه ظاهر الحديث مع تنزيه الله عز وجل عما لا يليق به من مماثلة الخلق، ومع الكف عن تكييف صفاته أسلم في عقيدتي، وأبعد لي عن التكلف ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها ". مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١/ ١٨٨).

## المبحث الرابع: منهج ابن الأثير في توحيد الألوهية:

الألوهية مصدر أله يأله ألوهة وألوهية[1].

يقول ابن فارس: " الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد. فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود. ويقال: تأله الرجل: إذا تعبد "[2].

وهذا ما يعنيه توحيد الألوهية، فإن توحيد الألوهية هو إفراد الله بجميع أنواع العبادة وإخلاص الدين له وحده، ويسمى -هذا التوحيد أيضا- توحيد العبادة، وتوحيد الإرادة والقصد، وتوحيد الطلب[3].

ومعنى ذلك أن يتوجه العبد بأعماله التعبدية كلها، باطنها وظاهرها لله تعالى وحده بحيث لا يكون شئ منها لغيره سبحانه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وأول دعوة الرسل وآخرها، وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين أنبياء الله تعالى وأممهم، وهو معنى قول لا إله إلا الله[4].

وقد أشار ابن الأثير رحمه الله إلى هذا التوحيد وهو ما سيوضح في المطالب التالية.

### المطلب الأول: في شرح كلمة التوحيد " لا إله إلا الله":

تقدم أن توحيد الألوهية الذي هو افراد الله بالعبادة هو معنى " لا إله إلا الله "، وقد تكلم ابن الأثير رحمه الله بكلام مختصر عن ذلك وأحيانا يكون في كلامه إشارة إلى ذلك.

فمثلا: قال عند شرحه حديث " **مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ** "[5]: " وصفها بالتمام لأنها ذكر الله تعالى، ويدعى بها إلى عبادته، وذلك هو

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٢٢٢)، الصحاح (٦/ ٢٢٢٤)، لسان العرب (١٣/ ٤٦٧)، القاموس المحيط (ص: ١٢٤٢).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ١٢٧)، وقد ذكر الفيروز آبادي أن في اشتقاق لفظ الإله ومعناه عشرين قولا. انظر: القاموس المحيط (ص: ١٢٤٢).

(٣) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١٨)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٩٣)، فتح المجيد (ص: ١٢)، القول المفيد (١/ ١٤).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٣/ ٤١١)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب- تحقيق: زهير الشاويش- المكتب الاسلامي، بيروت- ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م- (ص: ٢٠).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء عند الأذان، حديث رقم ٦١٤، (١/ ٤٣٢).

الذي يستحق صفة الكمال والتمام "[١]. أي الدعوة إلى عبادة الله وحده هو الذي يستحق الكمال والتمام، بلا نقص ولا إشراك.

وعند شرحه دعاء التلبية " **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " أَنَّ تَلْبِيَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكَ** " [٢] قال: " وقوله: " الملك " بعد الحمد والنعمة، يريد تعميم أسباب الطاعة وإيضاح وجوه الانقياد والعبادة، فإن الملك الذي هو حاوي جميع الموجودات لك، وبذلك يتمخض الإخلاص في العبودية والإجابة، ثم أتبعه بقوله: " لا شريك لك " ليزول الشبه عنه ويستقل بالملك والحمد والنعمة منفردا "[٣].

وقال أيضًا في تتمة شرح التلبية: " ويريد بقوله: " والرغباء إليك " أنه لما قدم في أول الحديث ذكر التلبية، التي هي دالة على الانقياد والطاعة، وقرر ثبوت النعمة له، واستحقاق الحمد عليها، وعمم بإثبات الملك له، قال: والطلب منك فالسؤال لك، لان من كانت هذه الاشياء له تخصصت الرغبة اليه وتحقق العمل له "[٤].

وقال: " لا اله الا الله: كلمة التوحيد التي بعث بها رسول الله ﷺ وهي التي كلف الخلق بقولها، وهي العبارة الدالة على الاسلام، فكل من يتلفظ بها مع الاقرار برسالة النبي ﷺ كان مسلما له ما للمسلمين وعليه ما عليهم "[٥].

وبالذي ذكره ابن الأثير رحمه الله في اختصاص الله بالعبادة، والإخلاص له فيها، يؤكد معنى لا إله إلا الله، الذي هي إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، والبراءة من كل معبود سواه والنفي له، فمعنى لا إله إلا الله بإيجاز: لا معبود بحق إلا الله[٦].

---

(١) النهاية (ص: ١١١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب التلبية، حديث رقم ١٥٤٩، (١/ ٤٣٣).

(٣) الشافي (٣/ ٤٢٧)، ويقول الشيخ العثيمين رحمه الله في مجموع فتاواه (٧/ ٢٢): " الإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية، ... لأنه إذا كان الله وحده هو الخالق وهو المدبر للأمور وهو الذي بيده ملكوت كل شيء فالواجب أن تكون العبادة له وحده لا لغيره".

(٤) الشافي (٣/ ٤٢٨)، يقول النووي رحمه الله في شرح مسلم (٨/ ٨٨): " والرغباء إليك والعمل: ... الرغبى مثل سكرى ومعناه هنا الطلب والمسألة إلى من بيده الخير وهو المقصود بالعمل المستحق للعبادة ".

(٥) الشافي (٥/ ١٤٠).

(٦) انظر: تفسير الطبري(٥/ ٣٨٦)(١٢/ ٣٢)(١٥/ ٢٦١)(١٨/ ٤٢٧)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٠١)(١٣/ ٢٠٢)، ٢٠٢)، تفسير ابن كثير(٨/ ٥٠٨)، شرح الطحاوية (ص: ٩٢)، أضواء البيان (٤/ ٩٣)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٥٢)، فتح المجيد (ص: ٣٦)، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول- حافظ بن أحمد بن علي الحكمي- تحقيق: عمر بن محمود أبو عم- دار ابن القيم، الدمام- ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م- (١/ ٧٣)،(٢/ ٤١٦).

**المطلب الثاني: العبادة وذكر نماذج على أنواعها:**

تحدث ابن الأثير رحمه الله عن بعض أنواع العبادة، ووجوب صرفها لله تعالى دون كل من سواه، وفيما يلي بيان آرائه في هذه المسائل.

**أولاً: معنى العبادة:**

**العبادة لغةً:** مصدر عبد يعبد عبادةً.

قال ابن فارس: " العين والباء والدال أصلان صحيحان، كأنهما متضادان، والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل، والآخر على شدة وغلظ "[١].

والعبادة تطلق في اللغة على معان متعددة منها: الخضوع والذلة، والقوة والصلابة، والطاعة والمملوكية، والتنسك، والأنفة، والكراهة[٢].

والمتأمل في هذه المعاني يراها ترجع إلى الأصلين اللذين ذكرهما ابن فارس ولا تخرج عنهما.

**العبادة اصطلاحاً:** تتنوع معاني العبادة بحسب اعتبارات سياقاتها، فالعبادة باعتبار أصلها هي مصدر بمعنى التعبد، وهي بهذا المعنى التذلل لله والخضوع له بفعل الأوامر واجتناب النواهي، مع المحبة والتعظيم.

والعبادة باعتبار أفرادها هي اسم بمعنى المتعبد به، وهي بهذا المعنى اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة[٣].

وعبارات أهل العلم في تعريف العبادة وإن اختلفت وتعددت فهي لا تخرج عما سبق[٤].

**ثانيًا: أنواع العبادة:**

تبين مما سبق أن العبادة تشمل جميع أفعال الإنسان التي تعبّده الله تعالى بها من الأعمال والأقوال والاعتقادات.

فالعبادة إذا أنواع كثيرة، ومما وقفت عليه منها مما ذكره ابن الأثير ما يأتي:

**١ـ الدعاء:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرح حديث " **الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ** "[٥]: " مخ الشيء: خالصه. وإنما كان مخها لأمرين:

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٢٠٥).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٣٦-١٤١)، الصحاح (٢/ ٥٠٣) وما بعدها، لسان العرب (٣/ ٢٧٢، ٢٧٣) .

(٣) انظر: تقريب التدمرية (ص: ١١٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٣٣٣)، مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩، ١٥٣)، منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٤٨)، العبودية- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي- تحقيق: محمد زهير الشاويش- المكتب الإسلامي، بيروت- ط٧، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م- (ص: ٤٤) فإنه هام في تفصيل العبادة وما يتعلق بها فقد بسط شيخ الإسلام الكلام في الحديث عنها، تفسير ابن كثير(١/ ١٣٤)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٢٩)، فتح المجيد (ص: ١٤).

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط= المعجم الأوسط- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، الشامي، أبو القاسم الطبراني- تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني- دار

**أحدهما:** أنه امتثال أمر الله تعالى حيث قال: ادعوني أستجب لكم فهو محض العبادة وخالصها.
**الثاني:** أنه إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع أمله عما سواه، ودعاه لحاجته وحده. وهذا هو أصل العبادة "[1].

ما ذكره الإمام ابن الأثير رحمه الله في شرح الحديث هو ما يؤكده العلماء في حديثهم عن الدعاء، فذكر رحمه الله أن الدعاء هو امتثال لأمر الله وأن ذلك محض العبادة، وهذا ما ذكره الله في آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [لقمان: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، فسمى الله الدعاء عبادة.

وذكر رحمه الله أنه لا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده، وأن هذا هو أصل العبادة وحقيقتها، وهذا ما يؤكده ويبينه قول النبي ﷺ لابن عباس " **يَا غُلامُ، إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ، فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ، فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، فَقَدْ رُفِعَتِ الْأَقْلامُ، وَجَفَّتِ الْكُتُبُ، فَلَوْ جَاءَتِ الْأُمَّةُ يَنْفَعُونَكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ، لَمَا اسْتَطَاعَتْ، وَلَو أَرَادَتْ أَنْ تَضُرَّكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ لَكَ، مَا اسْتَطَاعَتْ** "[2]، فهو أمرٌ بالإخلاص لله تعالى في السؤال والاستعانة بأن لا يسأل إلاّ الله، ولا يستعان إلاّ به، وهذا أمرٌ متعيّنٌ على كلّ مسلم " لأنّ السؤال فيه إظهار الذّلّ من السائل والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودرء المضار، ولا يصلح الذّلّ والافتقار إلاّ لله وحده؛ لأنّه حقيقة العبودية "[3].

---

الحرمين، القاهرة (٣/ ٢٩٣)، والترمذي في سننه، كتاب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء، حديث رقم٣٣٧١، (ص: ٧٦٥) وضعفه الألباني في الموضع نفسه.

والحديث الصحيح في هذا الباب القريب من معنى الحديث السابق هو قول النبي ﷺ:" الدعاء هو العبادة".انظر: صحيح الترغيب والترهيب- محمد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف، الرياض- ط٥- (٢/ ١٢٧).

(١) النهاية (ص: ٨٦٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٤٨٧)، وصححه الأرنؤوط في تحقيقه للمسند في الموضع نفسه، والآجري في الشريعة (٢/ ٨٣١)، وابن منده في التوحيد (٢/ ١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع= صحيح الجامع الصغير وزياداته- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني- المكتب الإسلامي- (٢/ ١٣١٧).

(٣) انظر: جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي- تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- ط٢، ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٤ م- (١/ ٤٨١)، ويقول ابن الأثير في النهاية (ص: ٢٤٤): " الحوقلة بتقديم القاف على اللام، والمراد من هذه الكلمة إظهار الفقر إلى الله بطلب المعونة منه على ما يحاول من الأمور، وهو حقيقة العبودية ".

**٢ _ الخوف:**

قال ابن الأثير رحمه الله عند شرح حديث " **سَافَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ آمَنًا لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ** "[١]: " لما قال " آمناً " فأطلق الأمن عقبه بقوله: " لا يخاف إلا الله تعالى " فقيد ذلك الإطلاق لأنه واجب، وقد كانت حالة النبي ﷺ كذلك حتى قال في بعض أقواله: " **إنِّي أَعْرفكمْ بِاللهِ وَأَشدَّكُم لَهُ خَوفاً** "[٢] ...ثم قال: " الخوف إنما يكون في الغالب من غير رب العالمين، كالآدميين والشياطين والسباع والهوام وما يتقيه الإنسان من مضرات الحيوانات؛ فلما أطلق الأمن دخل هؤلاء فيه فلما استثنى وقال:" إلا رب العالمين " – يريد رب هذه الموجودات كلها، فإن العالمين جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى– ؛ جعل الذي يخافه ربها وأنه بمكانه من الخوف لهذا الوصف وهو الربوبية، فليس بضار مع أمنه من هذه الأشياء أن يخاف ربها"[٣].

الخوف من الله من أعمال القلوب العظيمة، ومن الدرجات العالية الرفيعة، والخوف من الله هو تعظيما واجلالا له، ومنهج الرسل ومن تبعهم قائم على الخوف من الله، بالاضافة الى الاعمال القلبية الاخرى من المحبة والرجاء وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا** ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال ابن القيم رحمه الله: " ومن منازل ﴿**إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥]: منزلة الخوف، وهي من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب، وهي فرض على كل أحد، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٧٥]"[٤].

والخوف ليس مقصودا لذاته، بل الخوف المطلوب هو الذي يحمل على فعل المستحبات، وعلى فعل الواجبات قبلها، وعلى ترك الشبهات، والمحرمات قبلها[٥].

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده= مسند الشافعي– أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي– دار الكتب العلمية، بيروت–١٤٠٠هـ– (ص: ٤٨)، والنسائي في سننه، كتاب تقصير الصلاة في السفر، حديث رقم (١٤٣٥)، (ص: ٢٣٥) عن ابن عباس، بلفظ" أنّ رسول الله ﷺ خرج من مكّة إلى المدينة لا يخاف إلّا ربّ العالمين يصلّي ركعتين"، وصححه الألباني رحمه الله في الموضع نفسه.

(٢) لم يجد الباحث حديثاً بهذا اللفظ، ولكن أخرج مسلم قريباً من معناه، " أن رسول الله ﷺ قال: " أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لأَتْقَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَخْشَاكُمْ لَهُ " ، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب بيان أن القبلة في الصوم ليست محرمة على من لم تحرك شهوته، حديث رقم ١١٠٨، (ص: ٥٠٧).

(٣) الشافي (٢/ ١٠٣، ١٠٤).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٥٠٧)، قال السعدي رحمه الله في تفسيره (ص: ١٥٧):" وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله".

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥١٠).

## المبحث الخامس: منهج ابن الأثير في نواقض التوحيد.

تحدث ابن الأثير رحمه الله عن كثير من الأعمال والأقوال والاعتقادات التي تنافي توحيد الألوهية أو تقدح فيه، وبين رأيه فيها، إما بكلام مختصر وإما بتفصيل أحيانا، وسيتم ذكر كل ناقض في مطلب ثم التعقيب عليه بموافقته لأهل السنة أو مخالفته لهم.

### المطلب الأول: النفاق:

تحدث ابن الأثير رحمه الله عن النفاق لغة واصطلاحا، وعن أنواع النفاق، وبين مراد بعض الأحاديث التي وردت فيها لفظة النفاق.

فقال رحمه الله في تعريف النفاق لغة: " أصله في اللغة معروف، يقال: نافق ينافق منافقة ونفاقا، وهو مأخوذ من النافقاء: أحد جحرة اليربوع، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر، وخرج منه. وقيل: هو من النفق: وهو السرب الذي يستتر فيه، لستره كفره "(١).

ثم عرفه اصطلاحا " شرعا "، فقال: " وهو اسم إسلامي، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه "(٢).

ومن خلال شرح ابن الأثير رحمه الله للأحاديث التي وردت فيها لفظة النفاق، تبين أنه يجعل النفاق أكثر من قسم واحد، وأنه ليس على درجة واحدة.

فقسم وصفه بأنه نوع من الظاهر والباطن، فقال في شرحه حديث " نافق حنظلة "(٣): " وأراد به في الحديث: أنني في الظاهر إذا كنت عند النبي ﷺ أخلصت، وإذا انفردت عنه رغبت في الدنيا، وتركت ما كنت عليه، فكأنه نوع من الظاهر والباطن، وما كان يرضى أن يسامح به نفسه، وكذلك كان الصحابة – رضي الله عنهم – أجمعين، يؤاخذون أنفسهم بأقل الأشياء "(٤).

أو سماه نفاق العمل كما في شرحه حديث " **أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ** "(٥)، حيث نقل في شرحه كلام الترمذي حيث قال الترمذي: " معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل، وإنما كان التكذيب على عهد رسول الله ﷺ "(٦).

---

(١) النهاية (ص: ٩٣٤).

(٢) المصدر السابق (ص: ٩٣٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، حديث رقم ٢٧٥٠، (ص: ١٣٤٧).

(٤) جامع الأصول (١/ ٣١٧)، وانظر النهاية (ص: ٩٣٤)، وقال في شرحه حديث " أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها ": " أراد بالنفاق هاهنا الرياء لأن كليهما إظهار غير ما في الباطن ". النهاية (ص: ٩٣٤)، وفي موضع آخر في شرح الحديث ذكر أن من يحفظ القرآن ويعتقد تضييعه حاله كحال المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ. انظر النهاية (ص: ٧٣٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم ٣٤، (١/ ٢٥).

(٦) جامع الأصول (١١/ ٥٦٩).

ويدل استدلال ابن الأثير بكلام الترمذي السابق أن النفاق على قسمين، أو أنه ليس درجة واحدة، أو قسم نفاق العمل، وقسم نفاق التكذيب كما سماه.

**النفاق لغةً:** قال ابن فارس: " النون والفاء والقاف أصلان صحيحان، يدل ... الآخر على إخفاء شيء وإغماضه "(١).

فالنفاق مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يستتر فيه؛ فسمي بذلك؛ لأن المنافق يستر كفره.

وقيل إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو باب جحره؛ لأنه في ظاهره أرض مستوية وباطنه حفرة قد أعدها اليربوع للتخلص من الخطر وقت الحاجة؛ فاستطاع بهذا الفعل أن يخدع الصياد؛ فكذلك المنافق يظهر خلاف ما يبطن(٢).

**النفاق اصطلاحاً:** هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر، أو هو مخالفة الباطن للظاهر، وإظهار القول باللسان، أو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد.

والنفاق: هو مصطلح شرعي لم تعرفه العرب بهذا المعنى الخاص، وإن كان أصله الذي أخذ منه في اللغة معروفا(٣).

والنفاق درجات ومراتب؛ منه ما هو مخرج من الإسلام، ومنه غير مخرج من الملة، فهو على قسمين(٤):

**أولاً:** النفاق الأكبر المخرج من الملة، والموجب للخلود في الدرك الأسفل من النار:

هو إبطان الكفر في القلب، وإظهار الإيمان على اللسان والجوارح، ويترتب على هذا النوع ما يترتب على الكفر الأكبر؛ من حيث انتفاء الإيمان عن صاحبه، وخلوده في جهنم.

**ثانياً:** النفاق الأصغر؛ غير المخرج من الملة:

هو النفاق العملي، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك، وهو معرّض للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النار، وصاحبه ممن تناله شفاعة الشافعين بإذن الله.

وتختلف عبارات العلماء في إيضاح هذين النوعين:

فبعضهم يقسم النفاق إلى نفاق اعتقادي مخرج من الملة، وإلى نفاق عملي، كالإمام الترمذي(٥)، والحافظ ابن كثير وغيرهم.

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ٤٥٤).

(٢) انظر: لسان العرب (١٠/٣٥٨، ٣٥٩)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٨١٩)، تاج العروس (٢٦/ ٤٣١).

(٣) انظر: المصادر السابقة، والإيمان لابن تيمية (ص: ٢٣٥).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٤٧)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى- دار الكتب العلمية، بيروت- (٧/ ٣٢٢)، فتح الباري شرح صحيح البخاري- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي- دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ- (١/ ٨٩)، جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٨١)

(٥) انظر: تحفة الأحوذي (٧/ ٣٢٢)، وقد سبق ذكر كلام الترمذي عند استشهاد ابن الأثير به.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي، وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب ..."[١].

وبعضهم يقسم النفاق إلى نفاق أكبر مخرج من الملة وإلى نفاق أصغر غير مخرج من الملة، كالإمامين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: " فمن النفاق ما هو أكبر ويكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار؛ كنفاق عبد الله بن أبي وغيره؛ بأن يظهر تكذيب الرسول أو جحود بعض ما جاء به أو بغضه أو عدم اعتقاد وجوب اتباعه أو المسرة بانخفاض دينه أو المساءة بظهور دينه، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوا لله ورسوله، ... وأما النفاق الأصغر: فهو النفاق في الأعمال ونحوها: مثل أن يكذب إذا حدث ويخلف إذا وعد ويخون إذا اؤتمن أو يفجر إذا خاصم "[٢].

وفي بيان أقسان النفاق يقول ابن القيم رحمه الله : " وأما النفاق: ... وهو نوعان: أكبر، وأصغر، فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذب به "[٣].

ومما تقدم يتبين صحة ما ذهب اليه ابن الأثير رحمه الله في تعريف النفاق لغة واصطلاحا، وفي تقسيم النفاق الى قسمين، وأن هذا التقسيم هو مقتضى النصوص الشرعية.

**المطلب الثاني: الكفر وأنواعه:**

تحدث ابن الأثير رحمه الله عن أصل الكفر لغة، وعن أقسامه التي قسمها العلماء، وتطرق لمسألة وقع فيها التكفير: وهي القول بخلق القرآن، وكذلك بين حكم من أنكر معلوما من الدين بالضرورة.

فقال رحمه الله في بيان أصل الكفر: " أصل الكفر: الستر"[٤]، وقال في موضع آخر: " أصل الكفر: تغطية الشيء تغطية تستهلكه "[٥].

وفي بيان أقسام الكفر، وأنه ليس درجة واحدة قال:" والكفر صنفان: أحدهما الكفر بأصل الإيمان وهو ضده، والآخر الكفر بفرع من فروع الإسلام، فلا يخرج به عن أصل الإيمان "[٦].

وأكد رحمه الله هذا الأمر – وهو أن من الكفر ما يناقض الإيمان ويخرج من الملة، وأن منه ما لا يناقض الإيمان – وذلك عند شرحه لعدة أحاديث وردت فيها إطلاق لفظة الكفر[٧].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٧٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٣٤، ٤٣٥).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٣٥٤، ٣٥٥)، وقد تحدث ابن القيم رحمه الله في هذا الكتاب بالتفصيل عن المنافقين وصفاتهم، وتفسير الايات التي نزلت فيهم.

(٤) جامع الأصول (١٠/ ٦٩).

(٥) النهاية (ص: ٨٠٧).

(٦) المصدر السابق (ص: ٨٠٦).

(٧) فمثلا: ذكر قول ابن عباس رضي الله عنه عندما سئل عن قول الله " ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"، قال ابن عباس: " هم كفرة، وليسوا كمن كفر بالله واليوم الآخر" النهاية (ص: ٨٠٦)، أي كفرهم ليس كفرا اكبر مخرج من الملة، وإنما هو كفر دون كفر.

وتطرق ابن الأثير رحمه الله إلى مسألة القول بخلق القرآن، ونقل قول الإمام الأزهري في حكم من قال بخلق القرآن، فقال ابن الأثير: " قال الهروي: سئل الأزهري عمن يقول بخلق القرآن: أتسميه كافرا؟ فقال: الذي يقوله كفر، فأعيد عليه السؤال ثلاثا ويقول مثل ما قال، ثم قال في الآخر: قد يقول المسلم كفرا "(١).

**الكفر لغةً:** قال ابن فارس: " الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية "(٢).

فيقال لمن غطى درعه بثوب: قد كفر درعه، ويقال: كفر الزارع البذر في الأرض: إذا غطاه بالتراب، وسمي الليل كافراً لتغطيته كل شيء، والكفر: ضد الإيمان؛ سمي بذلك لأنه تغطية للحق، والكفر جحود النعمة، وهو نقيض الشكر، والكافر: جاحد لأنعم الله تعالى(٣).

**الكفر اصطلاحاً:** هو ضد الإيمان، أو عدم الإيمان، أو ما يناقض الإيمان؛ من اعتقاد، أو قول، أو عمل.

**والكفر:** هو الكفر بالله عز وجل، وعدم الإيمان به سبحانه وتعالى، أو بما جاء به رسوله ﷺ من التشريع، أو إنكار شيء من ذلك، أو الإيمان ببعضه دون بعض؛ سواء كان معه تكذيب، أو لم يكن معه تكذيب؛ بل مجرد شك وريب، أو توقف، أو إعراض، أو حسد، أو كبر، أو بغض الدين، أو بغض الرسول ﷺ أو سبه، أو عداوته، أو اتباع لبعض الأهواء الصادة عن اتباع حكم الله سبحانه وتعالى، ويقع الكفر: باعتقاد القلب، وبالفعل، وبالقول، وبالشك، وبالترك(٤).

---

ثم ضرب ابن الأثير أمثلة أخرى فقال: " ومنه حديثه – أي ابن عباس – الآخر " إن الأوس والخزرج ذكروا ما كان منهم في الجاهلية، فثار بعضهم إلى بعض بالسيوف، فأنزل الله تعالى " وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله " ولم يكن ذلك على الكفر بالله، ولكن على تغطيتهم ما كانوا عليه من الألفة والمودة ".

وقال أيضا:" ومنه حديث ابن مسعود " إذا قال الرجل للرجل: أنت لي عدو، فقد كفر أحدهما بالإسلام" أراد كفر نعمته، لأن الله ألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانا، فمن لم يعرفها فقد كفرها ".

وقال أيضا:" ومنه الحديث "من ترك قتل الحيات خشية النار فقد كفر " أي كفر النعمة ".

وقال أيضا:" وكذلك الحديث الآخر "من أتى حائضا فقد كفر". انظر: هذه الأمثلة كلها في كتاب النهاية (ص: ٨٠٧)، وانظر: الشافي (٢/ ٣٤٣).

(١) النهاية (ص: ٨٠٦، ٨٠٧).

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ١٩١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١١٠)، مختار الصحاح (ص: ٢٧١)، لسان العرب (٥/ ١٤٤)، القاموس المحيط (ص: ٤٧٠، ٤٧١)، تاج العروس (١٤/ ٥٠، ٥١)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٧١٤).

(٤) انظر: المصادر السابقة، وشرح السنة– أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري– حققه وعلق عليه: خالد بن قاسم الرّدادي– دار السلف، دار الصميعي، السعودية– ط٣، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م– (ص: ٧٣، ٩٩، ١٢٣)، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/ ٤٩، ٥٠)، مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٣٥)، الصارم المسلول على شاتم الرسول– تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني– تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد– المملكة العربية السعودية– (ص: ٥١٢، ٥٢٤).

والكفر على درجات ومراتب، ومنه ما هو مخرج من الملة، ومنه غير مخرج من الملة، فهو على قسمين[1]:

**الأول:** الكفر الأكبر: وهو يناقض الإيمان، ويخرج صاحبه من الإسلام، ويوجب لصاحبه الخلود في النار، ولا تناله شفاعة الشافعين، ويكون بالاعتقاد، وبالقول، وبالفعل.

**الثاني:** الكفر الأصغر: وهو ما لا يناقض أصل الإيمان؛ بل ينقصه ويضعفه، وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي والذنوب على سبيل الزجر والتهديد؛ وهو مقتض لاستحقاق الوعيد والعذاب دون الخلود في النار، وصاحب هذا الكفر ممن تنالهم شفاعة الشافعين.

يقول ابن القيم رحمه الله: " فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر، فالكفر الأكبر: هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله تعالى[2] ....، وأما الكفر الأكبر: فخمسة أنواع[3]: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق، فأما كفر التكذيب فهو اعتقاد كذب الرسل، ... وأما كفر الإباء والاستكبار فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ... وأما كفر الإعراض فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول، لا يصدقه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يصغي إلى ما جاء به البتة، ...، وأما كفر الشك فإنه لا يجزم بصدقه ولا يكذبه، بل يشك في أمره، ... وأما كفر النفاق فهو أن يظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب "[4].

ومما سبق يتبين صحة ما ذهب اليه ابن الأثير رحمه الله في تعريفه للكفر، وموافقته لأهل السنة في قولهم أن الكفر الوارد في النصوص على قسمين، قسم مخرج من الملة، وقسم كفر دون كفر غير مخرج من الملة.

ولكن يبقى أمران ذكرهما ابن الأثير رحمه الله، لابد من زيادة توضيح وبيان لهما.

---

(١) انظر: شعب الإيمان- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي- تحقيق: مختار أحمد الندوي عبد العلي عبد الحميد حامد- مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند- ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م- (١/ ٩٢)، مدارج السالكين (١/ ٣٤٤، ٣٤٥)، الصلاة وأحكام تاركها- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة- (ص: ٥٦)، فتح الباري لابن حجر (١/ ٨٣، ٨٥)، العلو للعلي الغفار (ص: ١٨١)، شرح الطحاوية (ص: ٣٢٣) .

(٢) ثم ضرب أمثلة كثيرة للكفر الأصغر، ومنها التي سبق وأن ذكرها ابن الأثير رحمه الله. انظر: (ص:١٢٨ ) في هذه الرسالة، والنهاية (ص: ٨٠٦، ٨٠٧)

(٣) وقد ذكر ابن الأثير رحمه الله بعضا من أنواع هذا الكفر فقال:" الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، بألا يعرف الله أصلا ولا يعترف به، وكفر جحود، ككفر إبليس، يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه، وكفر عناد، وهو أن يعترف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به، حسدا وبغيا، ككفر أبي جهل وأضرابه، وكفر نفاق، وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد بقلبه". النهاية (ص: ٨٠٦).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٣٤٤، ٣٤٧)

**الأمر الأول:** قول ابن الأثير رحمه الله عند ذكره أنواع الكفر: " والكفر صنفان: أحدهما ... ، والآخر: الكفر بفرع من فروع الإسلام، فلا يخرج به عن أصل الإيمان "[١]، فقوله هذا فيه إجمال يحتاج إلى بيان، فلابد من أن يبين رحمه الله أنه من كفر بشئ معلوم من الدين بالضرورة، أو منقول إلينا بالتواتر، أو انعقد عليه الإجماع مختارا عالما بذلك، فهو كافر[٢].

ورغم إجماله إلا أنه بين ذلك في موضع آخر، وذلك عند حديثه عن مانعي الزكاة في عهد أبي بكر رضي الله عنه حيث قال:" من أنكر فرضية أحد أركان الإسلام كان كافرا بالإجماع "[٣].

**الأمر الثاني:** وهو ما ذكره ابن الأثير رحمه الله عن الأزهري نقلا عن الهروي في عدم تكفير القائل بخلق القرآن، حيث قال ابن الأثير رحمه الله: " قال الهروي: سئل الأزهري عمن يقول بخلق القرآن: أتسميه كافرا؟ فقال: الذي يقوله كفر، فأعيد عليه السؤال ثلاثا ويقول مثل ما قال، ثم قال في الآخر: قد يقول المسلم كفرا "[٤]، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من تكفيرهم للقائل بخلق القرآن، فالمشهور عن أئمة الإسلام القول بتكفير القائل بخلق القران، ومن أولئك الأئمة الأعلام الذين صرحوا بتكفير القائل بخلق القرآن: الإمام البخاري، والدارمي، والأشعري، والخلال، وابن بطة، وغيرهم كثير[٥].

---

(١) النهاية (ص: ٨٠٦).

(٢) المراد بالضرورة هنا ما لا يقع فيه شك أو شبه، مما هو معلوم ظاهر عند الجميع، والإنكار بمعنى الجحود، وعدم الاعتراف وانتفاء الإقرار، والمقصود بحكم معلوم من الدين بالضرورة: ما كان ظاهراً متواتراً من أحكام الدين معلوماً عند الخاص والعام، مما أجمع عليه العلماء إجماعاً قطعياً مثل: توحيد الله تعالى وتنزيهه عن النقص والولد والشريك، ووجوب أحد أركان الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة مثل الربا والخمر والزنا ونكاح ذوات المحارم وغير ذلك. انظر: إكفار الملحدين في ضروريات الدّين- محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي- المجلس العلمي، باكستان- ط٣، ١٤٢٤ هـ -٢٠٠٤ م- (ص: ٧٤)، نواقض الإيمان القولية والعملية- عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف- مدار الوطن للنشر- ط٣، ١٤٢٧هـ- (ص: ٢٤٢- ٢٤٧) فقد بحث المسألة وتكلم عنها بتوسعٍ وتفصيلٍ.

(٣) النهاية (ص: ٨٠٧).

(٤) المصدر السابق (ص: ٨٠٦، ٨٠٧).

(٥) انظر: كلام هؤلاء الأئمة في المصادر التالية: نقض الإمام الدارمي (١/ ٥٢٧، ٥٤٥)، السنة لأبي بكر بن الخلال (٥/ ١٣٢)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٤٥) وقد ذكر الإمام اللالكائي رحمه الله نقولا عن كثير من السلف في تكفيرهم من قال القران مخلوق، خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٢٩) وأيضا نقل البخاري رحمه الله في كتابه هذا نقولا عن السلف في تكفيرهم للقائل بخلق القران، الإبانة الكبرى- أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطّة العكبري- تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل- دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض- ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م – (٦/ ٥)، الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٩٥).

ولكن مع ذلك يقال: قد يحتمل كلام الأزهري رحمه الله عدم تكفير المعين فهذا حق، وهو بذلك موافق لمنهج أهل السنة والجماعة، ويدل على ذلك قوله: " قد يقول المسلم كفرا "، فيعذر لجهله أو إكراهه.

فأهل السنة يفرقون بين تكفير المطلق، وتكفير المعين، ففي الأول يطلق القول بتكفير صاحبه- الذي تلبس بالكفر- فيقال: من قال كذا: أو فعل كذا، فهو كافر، وفي الثاني وهو الشخص المعين الذي قاله أو فعله لا يحكم بكفره، إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع[1].

**المطلب الثالث: الحلف بغير الله:**

تكلم ابن الأثير رحمه الله عن الحلف بغير الله، وعقد لذلك بابا في كتابه جامع الأصول سماه " باب فيما ينهى عن الحلف به "[2]، وأورد تحته الأحاديث التي تنهى عن الحلف بغير الله إن كان بالآباء، أو بغير ذلك.

ووجه رحمه الله الحديث الذي فيه أن النبي ﷺ قال: " **أَفْلَحَ، وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ، أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ** "[3]، فقال: " أفلح وأبيه: كلمة جارية على ألسن العرب، تستعملها كثيرا في خطابها، وتريد بها: التأكيد، وقد نهى رسول الله ﷺ أن يحلف الرجل بأبيه. فيحتمل أن يكون هذا القول منه قبل النهي، ويحتمل أن يكون جرى منه على عادة الكلام الجاري على الألسن، وهو لا يقصد به القسم، كاليمين المعفو عنها من قبيل اللغو، أو أنه أراد به التوكيد، لا اليمين، فإن هذه

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٤٨٧، ٤٨٨)، الدرر السنية في الأجوبة النجدية- علماء نجد الأعلام- تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- ط٦، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م- (١٠/ ٤٣٢، ٤٣٣)، ولمزيد بيان في هذه المسألة انظر: كتاب نواقض الإيمان القولية والعملية (ص: ٥٢).

(٢) انظر: جامع الأصول (١١/ ٦٥٣)

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام، حديث رقم ١٠، (ص: ٣٤)، وقد حكم الألباني رحمه الله على زيادة أبيه بالشذوذ بعد كلام طويل له في تخريج هذا الحديث وذكر رواياته. انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٠/ ٧٦٢)، ويقول الشيخ العثيمين في مجموع فتاواه (٢/ ٢١٦، ٢١٧)، :"وأما قول النبي ﷺ: "أفلح وأبيه إن صدق " فهذه الكلمة "وأبيه" اختلف الحفاظ فيها: فمنهم من أنكرها وقال: لم تصح عن النبي ﷺ، وبناء على ذلك فلا إشكال في الموضوع؛ ... وعلى القول بأنها ثابتة فإن الجواب على ذلك: أن هذا من المشكل، والنهي عن الحلف بغير الله من المحكم، فيكون لدينا محكم ومتشابه وطريق الراسخين في العلم في المحكم والمتشابه أن يدعوا المتشابه ويأخذوا بالمحكم، ... ووجه كونه متشابهًا أن فيه احتمالات متعددة:١ – قد يكون هذا قبل النهي. ٢ – قد يكون هذا خاصًا بالرسول عليه الصلاة والسلام؛ لبعد الشرك في حقه. ٣- قد يكون هذا مما يجري على اللسان بغير قصد، ولما كانت هذه الاحتمالات وغيرها واردة على هذه الكلمة -إن صحت- عن الرسول، عليه الصلاة والسلام، صار الواجب علينا أن نأخذ بالمحكم وهو النهي عن الحلف بغير الله".

اللفظة تجري في كلام العرب على ضربين: للتعظيم، وللتأكيد، والتعظيم هو المنهي عنه، وأما التوكيد فلا "[1].

وبين ابن الأثير رحمه الله السبب الذي من أجله نهى النبي ﷺ عن الحلف بالأمانة أو بأمانة الله، فقال: " يشبه أن تكون الكراهة فيه لأجل أنه أمر أن يحلف بأسماء الله وصفاته. والأمانة أمر من أموره، فنهوا عنها من أجل التسوية بينها وبين أسماء الله تعالى، كما نهوا أن يحلفوا بآبائهم "[2].

الحلف بالله سبحانه وتعالى تعظيم له، والعدول بالحلف به إلى الحلف بغيره عدوان على مقام الرب جل وعلا، ولهذا وردت النصوص بالنهي عن الحلف بغير الله تعالى والتحذير من ذلك، وتسميته كفرا أو شركا، ومن هذه الأحاديث:

قول النبي ﷺ: " **أَلاَ، إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ** "[3].

وقوله ﷺ: " **مَنْ حَلَفَ مِنْكُمْ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: بِاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ، فَلْيَتَصَدَّقْ** "[4].

وقوله ﷺ: " **مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ** "[5].

وعليه فإن الحلف بغير الله محرم، وصاحبه دائر بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، وبيان ذلك أنه إن اعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله كان حلفه كفرا أكبر وشركا أكبر يخرج به من الملة، وإن لم يعتقد ذلك في المحلوف به كان حلفه كفرا أصغر وشركا أصغر لا يخرجه عن الملة، وإن كان قد أتى ذنبا عظيما[6].

---

(١) جامع الأصول (١/ ٢٢٤)، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٦٥٢)، والنهاية (ص: ٢٤)، والشافي (١/٣٤٣، ٣٤٤).

(٢) النهاية (ص:٤٨)، وفي بعض الكتب التي شرح ابن الأثير رحمه الله فيها هذا الحديث، نسب كلامه هذا للإمام الخطابي رحمه الله. انظر: جامع الأصول (١١/ ٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الادب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا، حديث رقم ٦١٠٨، (٤/ ١٨٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاسئذان، باب كل لهو باطل إذا شغله عن طاعة الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك، حديث رقم ٦٣٠١، (٤/٢٣٦).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٠/ ٢٤٩)، والترمذي في سننه، كتاب أبواب النذور والإيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، حديث رقم ١٥٣٥، (ص: ٣٦٣)، وأبو داوود في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء، حديث رقم ٣٢٥١، (ص: ٤٩٧)، وصححه الألباني رحمه الله في الموضع نفسه.

(٦) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل النجدية – لبعض علماء نجد الأعلام– دار العاصمة، الرياض– ط١، ١٣٤٩هـ– (١/ ٣٧)، مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى– حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي– دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف– ط١، ١٣٩٨هـ– (ص: ١٥٠)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٥١٤، ٥١٥)، القول المفيد (٢/ ٢١٤)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٢١٥).

وقد أجمع العلماء رحمهم الله على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره(١).

ومما سبق يتبين موافقة ابن الأثير رحمه الله لأهل السنة وللسلف في مواقفهم وآرائهم تجاه الحلف بغير الله.

**المطلب الرابع: التسوية في لفظ المشيئة:**

تكلم ابن الأثير رحمه الله عن التسوية في لفظ المشيئة – يعني قول القائل: ما شاء الله وشئت، وبين عدم جواز ذلك، مستنبطا ذلك من القران، ومستدلا بالسنة.

أما استنباطه ذلك من القران فإنه قال عند شرحه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩] : " أعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه، وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله، فيقال لرسول الله: ما شاء الله ثم شئت، ولا يقال: ما شاء الله "(٢).

وأما استدلاله بالسنة فإنه قال رحمه الله عند شرحه حديث " **أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ،** " **فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ** "(٣): " إنما فرق – أي الرسول ﷺ – بين قول ما شاء الله وشئت، وما شاء الله ثم شئت؛ لأن الواو تفيد الجمع دون الترتيب، وثم تجمع وترتب، فمع الواو يكون قد جمع بين الله وبينه في المشيئة، ومع ثم يكون قد قدم مشيئة الله على مشيئته "(٤).

نهى النبي ﷺ عن كل ما يؤدي إلى إساءة الظن برب العالمين وعدم تقديره حق قدره، ومن ذلك الألفاظ(٥) التي فيها التسوية بين الله جل وعلا وبين خلقه، ومن ذلك أن يهوديا أتى النبي ﷺ فقال: " **إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ،** " **فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتَ** "(٦).

فجعل المخلوق مساويا للخالق باللفظ في المشيئة أو التعظيم فيه إساءة ظن برب العالمين واستنقاص له، إذ هو المتعالي العظيم الذي له الخلق والأمر سبحانه وتعالى، وإن هذه التسوية نهى

---

(١) انظر: التمهيد (١٤/ ٣٦٦)، مجموع الفتاوى (١/ ٢٩٠)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٥١١).

(٢) الشافي (٢/٢٠٦)، وانظر: معارج القبول (٢/ ٤٩٧) في بيان دلالة هذه الآية على المعنى الذي ذكره ابن الأثير.

(٣) أخرجه النسائي في سننه، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بالكعبة، حديث رقم ٣٧٧٣، (ص: ٥٨٣) ، وصححه الألباني في الموضع نفسه، والحاكم في مستدركه (٤/ ٣٣١)، وقال الذهبي: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) النهاية (ص: ٤٩٨). وانظر: جامع الأصول (١١/ ٦٥١).

(٥) انظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة– محمد بن أبي بكر بن أيوب أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية– دار الكتب العلمية، بيروت– (ص: ٢٦٣).

(٦) سبق تخريجه في الصفحة الحالية.

النبي ﷺ عنها وإن لم يعتقد قائلها ذلك بقلبه، أما إن قصدها قائلها بقلبه فإنها قد تكون شركا أكبر [١].

## المطلب الخامس: نسبة المطر إلى النوء[٢]:

تكلم ابن الأثير رحمه الله عن تعريف النوء لغة واصطلاحاً، وبين لماذا غلظ النبي ﷺ في أمر الأنواء – فيمن قال مطرنا بنوء كذا –، وختم كلامه في كل موضع تحدث فيه عن الاستسقاء بالأنواء بحكم قول مطرنا بنوء كذا أي بوقت كذا، وبيان هذه الأمور كالتالي:

أما عن تعريفه لغة فقال: " النوء في الأصل: مصدر ناء ينوء نوءا فهو ناء إذا نهض وطلع، هذا هو في أصل الوضع "[٣].

وقال في تعريفه اصطلاحا: " وجمع النوء: الأنواء وهي أسماء المنازل الثماني والعشرين التي ينزلها القمر كل ليلة "[٤].

ثم بين رحمه الله لماذا غلظ النبي ﷺ في أمر الأنواء فقال: " إنه لما علم الشارع صلوات الله وسلامه عليه من عادات العرب في إضافة الخير والشر إليها أكبر ذلك وأعظم، فان النعم والنقم من الله تعالى القادر العليم اللطيف الخبير "[٥].

وقال في موضع آخر: " وإنما غلظ النبي ﷺ في أمر الأنواء لأن العرب كانت تنسب المطر إليها "[٦].

وبين أن الكفر الوارد في الحديث " فذلك كافرٌ بي ومؤمنٌ بالكوكب "، يشمل نوعي الكفر فقال: " وأما قوله: " كافر بي " فيحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الإيمان، ويحتمل أنه أراد به الكفر الذي هو ضد الشكر، يعني أنه كفر نعمة الله، حيث نسبها إلى غيره "[٧].

ثم ختم كلامه رحمه الله بحكم قول مطرنا بنوء كذا: أي بوقت كذا، فقال: " فأما من جعل المطر من فعل الله عز وجل، وأراد بقوله: مطرنا بنوء كذا، أي: في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني، فإن ذلك جائز "[٨].

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٤٩٦)، مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى للشيخ حمد بن معمر (ص: ١٥٠)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٥١٤، ٥١٥)، القول المفيد (٢/ ٢١٤)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٢١٥).

(٢) تكلم ابن الأثير رحمه الله بكلام طويل وكثير حول الانواء والنجوم، وعن أعدادها، وأسمائها، وعن المنازل الثماني والعشرين، وغير ذلك كثير. انظر الشافي (٣٤٣/٢– ٣٤٦).

(٣) الشافي (٢/ ٣٤٤).

(٤) المصدر السابق (٢/ ٣٤٤)، وانظر: جامع الأصول (٦٣٨/٧)( ٥٧٦/١١)، والنهاية (ص: ٩٤٤).

(٥) الشافي (٢/ ٣٤٦).

(٦) المصدر السابق (٢/ ٣٤٥)، وانظر: جامع الأصول (٦٣٨/٧)( ٥٧٦/١١)، والنهاية (ص: ٩٤٤).

(٧) جامع الأصول (١١/ ٥٧٨)، وانظر: الشافي (٣٤٣/٢).

(٨) جامع الأصول (٧/ ٦٣٨)، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٥٧٦)، النهاية (ص: ٩٤٤)، الشافي (٢/ ٣٤٦)، وقد استدل ابن الأثير رحمه الله على كل ما ذكره بكلام طويل للإمام الشافعي في تأصيل هذه المسألة، فقال ابن

**الاستسقاء لغةً:** قال ابن فارس: " السين والقاف والحرف المعتل أصل واحد، وهو إشراب الشيء الماء وما أشبهه "[1]. والاسم: السّقيا، والمراد: إنزال الغيث[2].
**الاستسقاء اصطلاحاً:** السين والتاء في "الاستسقاء" تدل على الطلب، أي طلب السقيا، كالاستغفار، فهو طلب المغفرة، فمادة " استفعل " تدل على الطلب غالباً[3].

**الأنواء لغةً:** قال ابن فارس: " النون والواو والحرف المعتل أصل صحيح، ... وبالهمز كلمة تدل على النهوض وناء ينوء نوءا: نهض، ... والنوء من أنواء المطر كأنه ينهض بالمطر "[4].
النوء: مفرد الأنواء، وهو سقوط النجم في المغرب مع الفجر، وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق[5].
**الأنواء اصطلاحاً:** الأنواء: النجوم، وهي ثمانية وعشرون نجما معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف[6].

---

الأثير رحمه الله:" قال الشافعي رحمه الله عقيب ذكره لهذا الحديث:" ورسول الله ﷺ بأبي هو وأمي- عربي واسع اللسان يحتمل قوله هذا معاني، وإنما مطر بين ظهراني قوم أكثرهم مشركون، لان هذا في غزوة الحديبية.
قال: وارى معنى قوله هذا – والله اعلم – أن من قال :" مطرنا بفضل الله ورحمته" فذلك إيمان بالله لا يعلم انه لا يمطر ولا يعطي إلا الله عز وجل، وأما من قال :" مطرنا بنوء كذا" على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه نوء كذا، فذلك كفر كما قال رسول الله ﷺ، لان النوء وقت والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا، ولا يمطر ولا يصنع شيئا، فأما من قال:" مطرنا بنوء كذا" على معنى مطرنا في وقت نوء كذا، فإنما ذلك كقوله مطرنا في شهر كذا، فلا يكون هذا كفرا، وغيره من الكلام أحب إلي منه، أحب أن يقول: مطرنا في وقت كذا، ..." الشافي (٢/٣٤٦-٣٤٨)، وانظر كلام الشافعي في الأم- الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان- دار المعرفة، بيروت- ١٤١٠هـ-١٩٩٠م- (١/ ٢٨٨).
(١) مقاييس اللغة (٣/ ٨٤).
(٢) انظر: غريب الحديث- أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي- تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان- مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن – ط١، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م- (١/ ٣٢١)، تهذيب اللغة (١٥/ ٣٨٥)، المخصص- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي- تحقيق: خليل إبراهم جفال- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م- (٢/ ٣٦٧)، لسان العرب (١٤/ ٣٩٠)، القاموس المحيط (ص: ١٢٩٦).
(٣) انظر: النهاية (ص: ٩٤٤)، مختار الصحاح (ص: ١٥٠)، لسان العرب (١٤/ ٣٩٣)، القاموس المحيط (ص: ١٢٩٦).
(٤) مقاييس اللغة (٥/ ٣٦٦).
(٥) انظر: القاموس المحيط (ص: ٥٤)، لسان العرب (١/ ١٧٥)، مختار الصحاح (ص: ٣٢١).
(٦) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٨٥)، غريب الحديث- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي- تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي- دار الفكر- ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م- (١/ ٦٤٢)، غريب الحديث- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م-

فالاستسقاء بالأنواء: أن يطلب من النجم أن ينزل الغيث، ويدخل فيه أن ينسب الغيث إلى النجم، كما كان أهل الجاهلية يزعمون، فكانوا إذا نزل مطر في وقت نجم معين نسبوا المطر إلى ذلك النجم، فيقولون: مطرنا بنوء كذا، أو هذا مطر الثريا، ويزعمون أن النجم هو الذي أنزل هذا الغيث[1].

**والاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى قسمين[2]:**

**القسم الأول:** أن ينسب المطر إلى النجم معتقداً أنه هو المنزل للغيث بدون مشيئة الله وفعله جلّ وعلا، فهذا شرك أكبر.

**القسم الثاني:** أن ينسب المطر إلى النوء معتقداً أن الله جعل هذا النجم سبباً في نزول هذا الغيث، فهذا من الشرك الأصغر؛ لأنه جعل ما ليس بسبب سبباً، فالله تعالى لم يجعل شيئاً من النجوم سبباً في نزول الأمطار، ولا صلة للنجوم بنزولها بأي وجه، وإنما أجرى الله العادة بنزول بعض الأمطار في وقت بعض النجوم.

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة التي تنهى عن الاستسقاء بالأنواء، أو نسبة المطر إلى النوء، ومنها:

أن رسول الله ﷺ صلى صلاة الصّبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من اللّيلة، فلمّا انصرف أقبل على النّاس، فقال: **هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:** " **أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ** "[3].

---

(٢/ ٤٣٩، ٤٤٠)، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمى، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة. انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٨٥).

(١) انظر: التمهيد (١٦/ ٢٨٥)، شرح السنة- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي- تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش- المكتب الإسلامي، دمشق- ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م- (٤/ ٤٢٠)، شرح النووي على مسلم (٢/ ٦١).

(٢) انظر: التمهيد (١٦/ ٢٨٦)، شرح النووي على مسلم (٢/ ٦٠)، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي- دار ابن حزم للطباعة والنشر- ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م- (ص: ٧١)، الأذكار- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م- (ص: ١٨٢)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج- شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي- دار الكتب العلمية- ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م- (١/ ٦١١)، القول المفيد (٢/ ٣٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم، حديث رقم ٨٤٦، ( ١/ ٢٣٧).

وهذا الحديث يشمل على النوعين السابقين، فإن نسب الغيث إلى النجم من دون الله فهو كفر وشرك أكبر، وإن نسبه إليه نسبة تسبب فهو كفر نعمة وشرك أصغر[١].

وكذلك قال النّبيّ ﷺ: " **أربعٌ في أمّتي من أمر الجاهليّة، لا يتركونهنّ: الفخر في الأحساب، والطّعن في الأنساب، والاستسقاء بالنّجوم، والنّياحة** "[٢].

هذا وإذا قال المسلم: " مطرنا بنوء كذا وكذا " ومقصده أن الله أنزل المطر في وقت هذا النجم، معتقداً أنه ليس للنجم أدنى تأثير لا استقلالاً ولا تسبباً فقد اختلف أهل العلم في حكم هذا اللفظ، فقيل: هو محرم، وقيل: مكروه، وقيل: مباح، والأولى والأحوط أن هذا اللفظ ينبغي تركه، واستبداله بالألفاظ الأخرى التي لا إيهام فيها[٣]. وهو ما نقله ابن الأثير رحمه الله من ترجيح الإمام الشافعي له كما مر سابقا.

يقول العثيمين رحمه الله: " وفي عصرنا الحاضر يعلق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي، وهذا وإن كان قد يكون سببا حقيقيا، ولكن لا يفتح هذا الباب للناس، بل الواجب أن يقال: هذا من رحمة الله، هذا من فضله ونعمه "[٤].

ومما سبق يتبين موافقة ابن الأثير رحمه الله لأهل السنة والجماعة في تحذيرهم من الاستسقاء من الانواء، واعتبارها من نواقض التوحيد.

**المطلب السادس: سب الدهر:**

تكلم ابن الأثير رحمه الله في هذا المطلب عن تعريف الدهر، وبين نهي النبي ﷺ عن سبه ولعنه، وبين السبب في ذلك النهي.

فقال رحمه الله في تعريف الدهر: " والدهر اسم للزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا "[٥].

وبين رحمه الله أن العرب كانت تذم الدهر وتسبه عند نزول نوازل وحوادث وكوارث عليهم، ويقولون أبادهم الدهر، وأصابتهم قوارع الدهر، اعتقادا منهم أن الدهر هو السبب في ذلك[٦].

---

(١) انظر: التمهيد (١٦/ ٢٨٦)، شرح النووي على مسلم (٢/ ٦٠)، لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٧١)، الأذكار- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م- (ص: ١٨٢)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٦١١) القول المفيد (٢/ ٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، حديث رقم ٢٠٤٨، (ص: ٤٢٥).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٦١)، الأذكار للنووي (ص: ١٨٢)، شرح السنة للبغوي (٤/ ٤٢١)، القول المفيد (١/ ٥٦٨).

(٤) القول المفيد (١/ ٥٦٨).

(٥) النهاية (ص: ٣١٧).

(٦) انظر: جامع الأصول (١٠/ ٧٦٢)، والنهاية (ص: ٣١٧)، ومنال الطالب (ص: ٤٠).

قال ابن الأثير: " فنهاهم النبي ﷺ عن ذم الدهر وسبه[1]: أي لا تسبوا فاعل هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتموه وقع السب على الله تعالى لأنه الفعال لما يريد لا الدهر "[2].

قال الباحث: سب الدهر[3] مما جاءت الأحاديث بالنهي عنه، وتكاثرت في التحذير منه، منها: قال رسول الله ﷺ : " **قال الله عزّ وجلّ: " يؤذيني ابن آدم يسبّ الدّهر وأنا الدّهر، بيدي الأمر أقلّبُ اللّيلَ والنّهارَ** "[4].

وقال رسول الله ﷺ: " **قالَ اللهُ عزّ وجلّ: " يُؤْذِينِي ابنُ آدَمَ يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدّهرِ فَلَا يَقُولَنّ أَحَدُكُم: يَا خَيْبَةَ الدّهرِ فَإِنّي أَنَا الدّهرُ، أُقلّبُ لَيْلَه وَنَـهَارَه، فَإِذا شِئتُ قَبَضْتُهُمَا** "[5].

وسب الدهر مما ينافي التوحيد ويقدح فيه؛ لأنه في حقيقته سب لله تعالى إذ هو خالق الدهر والمتصرف فيه بما يشاء[6].

يقول ابن القيم رحمه الله مبينا المفاسد المترتبة على سب الدهر: " في هذا ثلاث مفاسد عظيمة: **إحداها:** سبه من ليس بأهل أن يسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله، منقاد لأمره مذلل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه.

---

(١) عقد ابن الأثير رحمه الله في كتابه جامع الأصول فصلا بعنوان: فيما نهي عن لعنه وسبه، ثم ذكر مثال فقال: الدهر، وذكر الأحاديث التي تنهى سبه ولعنه. انظر: جامع الأصول (٧٦٢/١٠).

(٢) يقول العثيمين رحمه الله:" وسب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم؛ فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم أو برده، وما أشبه ذلك؛ لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: {هذا يومٌ عصيبٌ} [هود: من الآية٧٧] .

الثاني: أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل، كأن يعتقد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر، فهذا شرك أكبر لأنه اعتقد أن مع الله خالقا؛ لأنه نسب الحوادث إلى غير الله، وكل من اعتقد أن مع الله خالقا؛ فهو كافر، كما أن من اعتقد أن مع الله إلها يستحق أن يعبد؛ فإنه كافر.

الثالث: أن يسب الدهر لا لاعتقاده أنه هو الفاعل، بل يعتقد أن الله هو الفاعل، لكن يسبه لأنه محل لهذا الأمر المكروه عنده؛ فهذا محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل والضلال في الدين؛ لأن حقيقة سبه تعود إلى الله – سبحانه –؛ لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر، ويكوّن فيه ما أراد من خير أو شر، فليس الدهر فاعلا، وليس هذا السب يكفّر؛ لأنه لم يسب الله تعالى مباشرة". القول المفيد (٢/ ٢٤٠)

(٣) النهاية (ص: ٣١٧)، وانظر: جامع الأصول (١٠/ ٧٦٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، ١٥]، حديث رقم ٧٤٩١، (٥٦٨/٤).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الالفاظ من الادب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، حديث رقم ٢٢٤٦، (ص: ١١٢٦).

(٦) انظر: التمهيد (١٥٤/١٨– ١٥٧)، شرح السنة للبغوي (١٢/ ٣٥٧)، شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣)، مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩١– ٤٩٥)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٧٥)، فتح المجيد (ص: ٤٢٣– ٤٢٥)، القول المفيد (٢/ ٢٤٠).

**الثانية:** أن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظّلمة، وأشعار هؤلاء الظلمة الخونة في سبه كثيرة جدا. وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقبيحه.

**الثالثة:** أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التي لو اتبع الحق فيها أهواءهم لفسدت السماوات والأرض، وإذا وقعت أهواؤهم حمدوا الدهر وأثنوا عليه. وفي حقيقة الأمر، فرب الدهر تعالى هو المعطي المانع، الخافض الرافع، المعز المذل، والدهر ليس له من الأمر شيء، فمسبتهم للدهر مسبة لله عز وجل، ولهذا كانت مؤذية للرب تعالى "[١].

**المطلب السابع: الطيرة:**

تكلم ابن الأثير رحمه الله في هذا المطلب عن بيان معنى الطيرة وعن أصلها، وبين أنها كانت من عادات أهل الجاهلية، وأن النبي ﷺ نهى عن التطير بكل صوره وأشكاله[٢] التي كان يمارسها أهل الجاهلية، وكذلك بين أن النبي ﷺ كان يحب الفأل وبين الفرق بينه وبين الطيرة.

فقال ابن الأثير رحمه الله في بيان معنى الطيرة: " الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء. وهو مصدر تطير. يقال: تطير طيرة، ...وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما "[٣].

وذكر أن العرب كانت تتطير من الغراب والأخيل ونحوهما من الطير، وتتشاءم به، وترى أن ذلك مانع من الخير، فكانوا إذا خرجوا في سفر، أو عزموا على عمل: زجروا الطائر تفاؤلا به، فما غلب على ظنهم وقوي في أنفسهم فعلوه: من قول أو عمل، أو ترك[٤].

فلما جاء الإسلام نهى عن ذلك، وقال ﷺ: " **لا طيرة** "[٥] تسليما لقضاء الله وقدره، وأنها لا تضر ولا تنفع، وجعل لهم بدل ذلك الاستخارة في الأمر، وما أحسن هذا البدل[٦]، وعد ابن الأثير رحمه الله التطير من الشرك الأصغر[٧].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت- ط٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م- (٢/ ٣٢٣، ٣٢٤).

(٢) إن كان التطير بأسماء الطيور، أو أصواتها، أو أن يأتي طيرا ساقطا، أو في وكره فينفره، فإن طار ذات اليمين مضى لحاجته. وإن طار ذات الشمال رجع. انظر: النهاية(ص: ٨٧٨)، جامع الأصول (٧/ ٦٢٨، ٦٣٢)، الشافي (٣/٥٧٥).

(٣) النهاية ( ص: ٥٧٤)، وانظر: جامع الأصول (٧/ ٦٢٨).

(٤) انظر: جامع الأصول (٧/ ٦٢٨، ٦٣٢)، النهاية (ص: ٥٤٧)، الشافي (٣/٥٧٥).

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الطيرة، حديث رقم ٥٧٥٤، ( ٤/ ١٠٢).

(٦) انظر: جامع الأصول (٧/ ٦٢٨) (٥/ ٤٨٩)، النهاية (ص: ٥٤٧)، الشافي (٣/١٥٢).

(٧) يقول في بيان حديث " الطّيرة من الشّرك، وما منّا إلاّ، ولكنّ الله يذهبه بالتّوكّل" ( أخرجه الترمذي في سننه، كتاب السير، بابما جاء في الطيرة، حديث رقم ١٦١٤، (ص: ٣٨٠)، وصححه الألباني في الموضع نفسه): "

وبين رحمه الله أن النبي ﷺ كان يحب الفأل ويعجبه، وبين الفرق بين الفأل والطيرة فقال: " الفأل: ... هو مثل أن يكون الرجل مريضا، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالبا، فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أن يبرأ من مرضه، ويجد ضالته، فيتوقع صحة هذه البشرى، ويتنفس بذلك نفسه، لأنه وقع من القائل على جهة الاتفاق، ... فالفأل: فيما يرجى وقوعه من الخير، ويحسن ظاهره، ويسر، والطيرة: لا تكون إلا فيما يسوء، وإنما أحب النبي ﷺ الفأل: لأن الناس إذا أملوا فائدة من الله، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي: فهم على خير، وإن لم يدركوا ما أملوا، فقد أصابوا في الرجاء من الله وطلب ما عنده وفي الرجاء لهم خير معجل، ألا ترى أنهم إذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر؟ فأما الطيرة، فإن فيها سوء الظن، وقطع الرجاء، وتوقع البلاء وقنوط النفس من الخير "(١).

**الطيرة لغةً:** مصدر تطير يتطير تطيراً وطيرة.

وهي التشاؤم بالطير(٢)، وأصله فيما يقال: التشاؤم بالسانح والبارح(٣) من الطيور، ثم صار عاما في كل مكروه من قول أو فعل أو مرئي(٤).

**الطيرة اصطلاحاً:** هي التشاؤم بمرئي، أو بمسموع(٥).

والتطير محرم(٦)، وشرك أصغر(٧)، وقد وردت النصوص الشرعية بالنهي عنها والتحذير، منها:

---

جعل التطير شركاً بالله في اعتقاد جلب النفع ودفع الضرر، وليس الكفر بالله؛ لأنه لو كان كفرا لما ذهب بالتوكل ". النهاية (ص: ٤٧٦، ٤٧٧).

(١) جامع الأصول (٧/ ٦٣٧)، وانظر: النهاية (ص: ٦٨٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ١١)، مقاييس اللغة (٣/ ٤٣٦)، الصحاح (٢/ ٧٢٨)، لسان العرب (٤/ ٥١١).

(٣) السانح: ما مر من مياسرك إلى ميامنك، والبارح عكسه. انظر: تهذيب اللغة (٤/ ١٨٧)، الصحاح(١/ ٣٧٦)، لسان العرب (٢/ ٤٩٠).

(٤) انظر: التمهيد (٩/ ٢٨٢)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٨).

(٥) انظر: المصادر السابقة، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية، بيروت- (٢/ ٢٤٦)، مجموع الفتاوى (٢٣/ ٦٧)، القول المفيد (١/ ٥١٥).

(٦) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس- دار الفكر- ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م- (١/ ٢٤٨)، تنبيه الغافلين (ص: ١٧٧)، القول المفيد (١/ ٥٦٠).

(٧) هذا في حق من اعتقد أن التطير سببا في حصول المكروه أو علامة عليه، فإن فعله هذا إنما هو من قبيل الشرك الأصغر، أما من اعتقد أن هذا المتطير به يحدث الشر بنفسه ويفعله استقلالاً، أو اعتقد أنه يعلم الأمر الذي سيقع في المستقبل ويخبر به، فهذا من الشرك الأكبر، يقول العثيمين: " القاعدة: أن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سببا؛ فإنه مشرك شركا أصغر، وهذا نوع من الإشراك مع الله؛ إما في التشريع إن كان هذا السبب شرعيا، وإما في التقدير إن كان هذا السبب كونيا، لكن لو اعتقد هذا المتشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله؛ فهو مشرك شركاً أكبر؛ لأنه جعل لله شريكاً في الخلق والإيجاد ". القول المفيد (١/ ٥٧٥)، وانظر: شرح مشكل الآثار- أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف

قال رسول الله ﷺ: " **الطّيرة شركٌ** "[1].

وسئل النبي ﷺ عن قوم يتطيرون فقال: " **ذاكَ شيءٌ يَجِدُه أَحدُكم فِي نَفْسِه، فَلَا يصدّنّكم** "[2].

وعليه فما قرره ابن الأثير رحمه الله من تحريم الطيرة، ونهي الشريعة عنها، واعتبارها من الشرك هو مقتضى النصوص الشرعية، وهو ما أكده علماء أهل السنة من قبله ومن بعده. رحم الله الجميع رحمةً واسعةً.

وما ذكره من محبة النبي ﷺ للفأل، هو الحق أيضا، وليس بحرام، فإن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **لَا طِيَرَة، وخَيْرُها الْفَأْل** " **قالوا: ومَا الفَأْلُ؟ قَالَ:** " **الكَلِمةُ الصّالِحةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُم** "[3].

والفأل الحسن هو: أن يكون الإنسان قد عزم على أمر معين فيرى أو يسمع أمراً حسناً من غير قصد له، فيسر به ويستبشر به، ويزيده ذلك اطمئناناً بأن ما كان قد عزم على فعله سيكون فيه خير وبركة بمشيئة الله تعالى، ويعظم رجاؤه في الله تعالى في تحقيق هذا الأمر، من غير اعتماد على هذا الفأل، فهذا حسن، فالفأل حسن ظن بالله تعالى، ورجاء له، وباعث على الاستعانة به، والتوكل عليه، وعلى سرور النفس، وانشراح الصدر، وهو مسكن للخوف، باعث للآمال، والطيرة على النقيض من ذلك: فهي سوء ظن بالله، وتوكل على غيره، وقطع للرجاء، وتوقع للبلاء، وقنوط للنفس من الخير، وهو مذموم وباطل شرعاً وعقلاً[4].

### المطلب الثامن: التنجيم:

يرى ابن الأثير غفر الله لنا وله أن المنجم هو الذي يشتغل بعلم النجوم للحكم بها وعليها[5].

---

بالطحاوي- تحقيق: شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- ط١، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٤ م- (٢/ ٢٩٩)، التمهيد (٢٤/ ١٩٥)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩)، فيض القدير شرح الجامع الصغير- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري- المكتبة التجارية الكبرى، مصر- ط١، ١٣٥٦هـ- (٤/ ٢٩٤)، مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٦).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ ٢١٣)، والخلال في السنة (٤/ ١٥٤)، وابن ماجه في سننه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفال ويكره التطير، حديث رقم ٣٥٣٨، (ص: ٥٩٠)، وصححه الألباني في الموضع نفسه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم ٥٣٧، (ص: ٢٥٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الطيرة، حديث رقم ٥٧٥٤، (٤/ ١٠٢).

(٤) انظر: شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٧٥)، شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢١٩، ٢٢٠)، تفسير القرطبي (٦/ ٦٠)، مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٤- ٢٤٧)، معالم السنن شرح سنن أبي داود- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي- المطبعة العلمية، حلب- ط١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م- (٤/ ٢٣٥)، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٣/ ٩٩٣)، القول المفيد (١/ ٥٧١).

(٥) انظر جامع الأصول (١١/ ٥٨١)، النهاية (ص: ٣٥٠).

وأن العلوم المتعلقة بالتنجيم مختلفة، فمنها ما هو حلال، لا بأس به وهو ما بينه بقوله: " فأما من يعرف من النجوم لمعرفة الأوقات، والاهتداء بها في الطرقات، ومعرفة القبلة، وأشباه ذلك، فليس به بأس "(١).

وأن منه ما هو حرام منهي عنه وهو ما بينه بقوله: " وعلم النجوم المنهي عنه: هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكائنات والحوادث التي لم تقع وستجيء في المستقبل، وأنهم يدركون معرفتها بتسيير الكواكب، وانتقالاتها واجتماعها وافتراقها، وأن لها تأثيرا اختياريا في العالم "(٢).

وذكر رحمه الله أن من يتعلم علم النجوم للحكم بها وعليها، وينسب لها التأثير في الخير والشر والسعادة وغيرها أنه كافر، وفي ذلك يقول: " المنجم الذي يتعلم النجوم للحكم بها وعليها، وينسب التأثيرات من الخير والشر إليها كافرا، نعوذ بالله من ذلك، ونسأله العصمة في القول والعمل "(٣).

**التنجيم لغةً:** مصدر " نجّم " المشتق من النجم، وهو الكوكب، والتنجيم: صنعة المنجم، وهو الذي ينظر في النجوم ويحسب مواقيتها وسيرها(٤).

**التنجيم اصطلاحاً:** اختلفت عبارات العلماء في ذلك، ويجمعها: أنه ادعاء معرفة ما يكون في الأرض قبل كونه(٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " التنجيم: ... هو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكي والقوابل الأرضية "(٦).

---

(١) جامع الأصول (١١/ ٥٧٩)، نقل ابن الأثير رحمه الله عن الإمام الشافعي رحمه الله صوراً من العلم الجائز الحسن فقال: " قال الشافعي: ... فأما ما فيه من علم مسير الكواكب وطلوعها وغروبها في أوقاتها، واتصالها وافتراقها، ومعرفة كسوفها وخسوفها، وكل ما يرجع إلى أمر حقيقي من حساب لا يمكن انكاره ولا يجوز جحوده فذلك غير منهي عنه، ولا مأمور باجتنابه، كيف وفيه من الاستدلال على أوقات الصلوات ومظان العبادات، ومعرفة القبلة، والاهتداء بالطرق وغير ذلك من المنافع والفوائد، والاطلاع على كنه مقدورات الله، وعظم خلقه وسعة قدرته، ...". الشافي (٢/ ٣٤٧).

(٢) جامع الأصول (١١/ ٥٧٨، ٥٧٩)، نقل ابن الأثير رحمه الله عن الإمام الشافعي رحمه الله صورا من العلم المنهي عنه فقال:" قال الشافعي: ... وإنما المنهي عنه من أنواعه وهو ما يدعيه المنجمون من علم الكائنات والحوادث التي لم تقع وسيجئ في مستقبل الزمان، وكمية أعمار الناس، وإضافة السعادة والشقاوة إليها، وأنهم يدركون ذلك بتسييرها واتصالات بعضها ببعض، أن بعضها سعود، وبعضها نحوس". الشافي (٣٤٧/٢).

(٣) النهاية (ص: ٣٥٠)، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٥٨١).

(٤) انظر: الصحاح (٥/ ٢٠٣٩)، لسان العرب (١٢/ ٥٧٠)، القاموس المحيط (ص: ١١٦١).

(٥) انظر: شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٨٣)، معالم السنن (٤/ ٢٢٩)، كشف الظنون (٢/ ١٩٣٠)، القول في علم النجوم- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي- تحقيق: يوسف بن محمد السعيد- دار أطلس للنشر والتوزيع، الرياض- ط١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م- (ص: ١٦٨).

(٦) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٩٢).

وما قرره ابن الأثير رحمه الله من التفصيل في حكم التنجيم، وأن منه ما هو جائز، ومنه ما هو محرم هو ما عليه جمهور سلف هذه الأمة[١].

يقول الخطيب البغدادي رحمه الله: " إن علم النجوم يشتمل على ضربين: أحدهما مباح، وتعلمه فضيلة، والآخر محظور ..."[٢].

والقول بكفر المنجم – كما ذكر ابن الأثير – هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، لأن فعله هذا يتضمن دعوى منه بمشاركته لله تعالى في علم الغيب الذي هو خاص برب العالمين، ويقول الله في ذلك: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]، ولأنه يتضمن أيضا اعتقاد أن تلك النجوم فاعلة ومؤثرة بنفسها، وكل ذلك كفر مخرج من الملة[٣].

يقول الشيخ العثيمين رحمه الله عن المنجم: " فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة لا دعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة؛ لأن الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل: من الآية ٦٥] "[٤].

**المطلب التاسع: الكهانة والعرافة:**

تكلم ابن الأثير رحمه الله في هذا المطلب عن أصل الكهانة في اللغة، وعن تعريف الكاهن والعراف، وعن الفرق بينهما، وبين أنهما مما ينافي التوحيد.

فقال رحمه الله في بيان أصل الكهانة: " وأصل الكهانة: المعرفة والفطنة بدقائق الأمور وغوامضها "[٥]. وقال في موضع آخر: " والعرب تسمي كل من يتعاطى علما دقيقا: كاهنا. ومنهم من كان يسمي المنجم والطبيب كاهنا "[٦].

وأما عن تعريف الكاهن فقال: " الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار "[٧]. وقال: " وحقيقته: أن يكون له رئي من الجن يلقى إليه ما يستمعه، ويسترقه من أخبار السماء، فما يكون قد استمعه، وألقاه على جهته كان صحيحا، وما

---

(١) شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٨٣)، معالم السنن (٤/ ٢٢٩، ٢٣٠)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٩٣٠)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٧٨)، القول المفيد (٢/ ٥).

(٢) القول في علم النجوم (ص: ١٢٦).

(٣) انظر: القول في علم النجوم (ص: ١٨٣)، مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧١)، معارج القبول (٢/ ٥٦٠)، أضواء البيان (٤/ ٤٩)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٧٨، ٣٧٩).

(٤) القول المفيد (٢/ ٥).

(٥) منال الطالب (ص: ١٣١).

(٦) النهاية (ص: ٨١٩).

(٧) منال الطالب (ص: ١٣١)، وانظر: النهاية (ص: ٨١٨)، جامع الأصول (٥/٦٤، ٤٨٨)، الشافي (٤/ ٤٢). ٤٢).

يكذب فيه مما لا يكون قد سمعه فهو الأكثر، وقد جاء هذا مصرحا به في الحديث الصحيح "[1]، وفي معظم التعريفات التي ذكرها ابن الأثير للكاهن وصفه بمن يزعم معرفته واطلاعه على الأمور الغيبية.

أما العراف فخصه بالذي يخبر عن الواقع، كمعرفة السارق وغير ذلك، فيقول:" ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العراف، كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة ونحوهما"[2].

وأحيانًا كان يقول العراف كالكاهن دون أن يفرق بينهما[3].

وقال في حكم الكاهن والعراف: " وهو مما أبطله الإسلام، وحرمه، ونهى عن الذهاب إليه، واستماع كلامه وتصديقه بما يخبر به "[4].

قال الباحث: الكهانة والعرافة ضرب من ادعاء علم الغيب، وقد اختلف أهل العلم فيهما وفيمن يتعاطاهما، هل هما بمعنى واحد أم بينهما تغاير؟.

فمنهم من قال: هما بمعنى واحد[5].

ومنهم من قال: بالتفريق بينهما، واختلف هؤلاء في تحديد وجه الفرق بينهما:

فمنهم من قال بأن الكاهن أعم من العراف فهو يطلق عليه وعلى غيره ممن يدعي علم الغيب، وذلك لكون الكاهن يخبر عن المستقبل والماضي بخلاف العراف فهو إنما يخبر عن الواقع[6].

ومنهم من قال بأن العراف أعم من الكاهن، وأن العراف: اسم عام للكاهن والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغيبية[1].

---

(١) جامع الأصول (٤٨٨/٥، ٤٨٩). ويقصد بالحديث، قول النبي ﷺ:" إذا قضى الله الأمر في السّماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله، كالسّلسلة على صفوانٍ – قال عليٌّ: وقال غيره: صفوانٍ ينفذهم ذلك – فإذا فزّع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربّكم، قالوا للّذي قال: الحقّ، وهو العليّ الكبير، فيسمعها مسترقو السّمع، ومسترقو السّمع هكذا واحدٌ فوق آخر – ووصف سفيان بيده، وفرّج بين أصابع يده اليمنى، نصبها بعضها فوق بعضٍ – فربّما أدرك الشّهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربّما لم يدركه حتّى يرمي بها إلى الّذي يليه، إلى الّذي هو أسفل منه، حتّى يلقوها إلى الأرض – وربّما قال سفيان: حتّى تنتهي إلى الأرض – فتلقى على فم السّاحر، فيكذب معها مائة كذبةٍ، فيصدّق فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا، يكون كذا وكذا، فوجدناه حقًّا؟ للكلمة الّتي سمعت من السّماء ". أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: {إلّا من استرق السّمع فأتبعه شهابٌ مبينٌ} [الحجر: ١٨]، حديث رقم ٤٧٠١، ( ٣/ ٣٠٧).

(٢) النهاية (ص: ٨١٩)، وانظر: الشافي (٤/ ٤٢).

(٣) انظر: جامع الأصول (٥/ ٦٥)(١٠/ ٥٩٦)، النهاية (ص: ٦٠٨).

(٤) جامع الأصول (٥/ ٦٤).

(٥) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٧)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٥٢)، فتح المجيد (ص: ٢٩٨)

(٦) مثل: الإمام ابن حجر العسقلاني، وابن حجر الهيتمي رحمهما الله. انظر على الترتيب: فتح الباري (١٠/ ٢١٦، ٢١٧)، الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ١٧٨).

ومما يؤيد ذلك أن العراف مبالغة من المعرفة، وعليه فإنه يشمل كل من تعاطى هذه الأمور الغيبية وادعى المعرفة بها[٢].

وعلى كل حال فإن العراف والكاهن متقاربان في المعنى، وكلاهما يشترك في معرفة الأمور الغيبية.

ولهذا نقل عن الإمام أحمد رحمه الله أنه سئل عن الكاهن فقال: " هو نحو العراف "[٣].

وأما عن حكم ابن الأثير رحمه الله في الكاهن والعراف، فما ذكره فيهم هو الذي دلت عليه أحاديث النبي ﷺ الكثيرة والتي منها:

ما جاء عن بعض أزواج النبي ﷺ، أن النبي ﷺ قال: " **مَنْ أَتَى عَرّافًا فَسَأَله عَنْ شَيءٍ، لَمْ تُقْبَل لهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِين ليلةً** "[٤].

وكذلك قال النبي ﷺ: " **مَنْ أتَى عَرّافًا أَو كَاهِنًا فَسألَه فَصَدَّقَه بِمَا يَقُوْل فَقَدْ كَفر بِمَا أُنْزِل على محمّدٍ ﷺ** "[٥].

والأحاديث السابقة دلت على ثلاثة أشياء:

**الأول:** حرمة إتيان الكهان والعرافين والتحذير من ذلك، سواء صدقهم أم لم يصدقهم، بخلاف من أتى إليهم وسألهم ليختبرهم وليظهر كذبهم فهذا لا بأس به، وقد يكون واجبا[٦]، ويدل عليه سؤال النبي صلى الله عليه لابن صياد[٧].

**الثاني:** أن من سألهم وصدقهم فيما يقولون فقد كفر بما أنزل على النبي ﷺ[٨].

---

(١) مثل: الإمام ابن تيمية، والشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمهما الله. انظر على الترتيب: مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٧٣)، فتح المجيد (ص: ٢٩٨).

(٢) القول المفيد (١/ ٥٣٢).

(٣) أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل- أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلّال البغدادي الحنبلي- تحقيق: سيد كسروي حسن- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م- (ص: ٤٦٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، حديث رقم ٥٧١٤، (ص: ١١١٨).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٥/ ٣٣١)، وابن راهويه في مسنده= مسند إسحاق بن راهويه- أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بـ ابن راهويه- تحقيق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي- مكتبة الإيمان، المدينة المنورة- ط١، ١٤١٢ - ١٩٩١م- (١/ ٤٣٤)، والحاكم في مستدركه (١/ ٨)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٩٨).

(٦) انظر: فتح المجيد (ص: ٢٩٥)، القول المفيد (١/ ٥٣٤).

(٧) سوف يمر بإذن الله التعريف بابن صياد وذكر قصته. انظر: صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي؟، حديث رقم ٣٠٥٥، (٤/ ٩٠ ).

(٨) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٥٠)، القول المفيد (١/ ٥٣٣).

**الثالث:** عدم قبول صلاة من أتى الكاهن والعراف أربعين يوما، ومعنى ذلك أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه، ولا يحتاج معها إلى إعادة؛ ويدل على ذلك كون العلماء متفقين على أنه لا يلزم من أتى الكاهن والعراف إعادة صلوات أربعين ليلة(١).

قال ابن حجر العسقلاني(٢) رحمه الله: " والوعيد جاء تارة بعدم قبول الصلاة وتارة بالتكفير فيحمل على حالين من الآتي "(٣).

يريد بذلك أن الآتي إليهم إن لم يصدقهم في أقوالهم ففيه الوعيد بعدم قبول الصلاة أربعين يوما، وإن صدقهم ففيه الوعيد بكفره، ويشهد لهذا الجمع روايات الحديث(٤).

ومما سبق يتبين أن ابن الأثير رحمه الله قد وافق أهل السنة والجماعة فيما قرره في الكهانة والعرافة، وأنهما مما ينافي التوحيد، واختصاص الله سبحانه وتعالى بعلم الغيب.

**المطلب العاشر: السحر:**

تطرق ابن الأثير رحمه الله في هذا المطلب لبيان معنى السحر، وهل هو حقيقة أو خيال؟، وكذلك ذكر حكم تعلم السحر وتعليمه، وحكم الساحر.

فقال رحمه الله: " معنى السحر: قلب الشيء في عين الإنسان، وليس بقلب الأعيان "(٥).

وبين ابن الأثير رحمه الله اختلاف العلماء في السحر، هل هو حقيقة أم تخييل فقط؟، فقال: " وتفصيل المذهب: أن السحر عند الشافعي له حقيقة، وقد يتغير المسحور به عن عادته ويمرض ويموت، ويفرق بين المرء وزوجه، ويجوز أن يكون السحر قولا وفعلا، وقال قوم: لا حقيقة وإنما هو تخييل "(٦).

ويرى ابن الأثير غفر الله له حرمة تعلم السحر وتعليمه، وفصل في حكم من تعلمه فقال: " وتعليم السحر وتعلمه حرام، وإذا تعلمه إنسان، فإن فيه ما يوجب الكفر فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر ثم اعتقد إباحته كان كافرا، وإن لم يعتقد حله فهو فاسق بذلك، وقال مالك: تعلمه وتعليمه كفر، وإذا تاب لا تقبل توبته "(٧).

---

(١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ٢٢٧).

(٢) هو: الإمام الحافظ المؤرّخ الكبير، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني، أبو أبو الفضل، صاحب المصنفات النافعة المفيدة القيّمة، منها: " فتح الباري بشرح صحيح البخاري، والإصابة في تمييز الصحابة، وغير ذلك الكثير، مات رحمه الله سنة ٨٥٢هـ. انظر: شذرات الذهب (١/ ٧٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢١٧).

(٤) انظر: فتح المجيد (ص: ٢٩٦)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٥٠).

(٥) جامع الأصول (٥/ ١٦٤)، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٧٤٤)، النهاية (ص: ٨٦).

(٦) الشافي (٥/ ٢٤١).

(٧) المصدر السابق (٥/ ٢٤١، ٢٤٢).

**السحر لغةً:** مصدر سحر، يسحر، سحراً، قال ابن فارس: " السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة: أحدها عضو من الأعضاء، والآخر خدع وشبهه، والثالث وقت من الأوقات"[١].

ويطلق السحر على كل ما دق وخفي سببه[٢].

**السحر اصطلاحاً:** اختلف العلماء في إمكان تعريفه[٣]، والذين عرفوه اختلفوا في التعبير عنه[٤].

وافضل التعريفات وأجمعها، تعريف الإمام ابن قدامة رحمه الله، حيث يقول: " السحر: عزائم ورقى وعقد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه "[٥].

والتعريف الذي ذكره ابن الأثير في كلامه يؤخذ عليه اقتصاره على ذكر سحر التخييل دون سحر الحقيقة، مما يوهم قصر السحر على التخييل.

وأما ما ذكره رحمه الله من اختلاف الناس في السحر هل هو حقيقة أم خيال؟، فإن هذه المسألة وقع الخلاف فيها بين أهل السنة والجماعة ومن وافقهم[٦] وبين المعتزلة[٧] ومن وافقهم[٨].

وافقهم[٨].

والذي عليه أهل السنة والجماعة ومن وافقهم أن السحر حقيقة وليس مجرد تخييل[٩]، والقول بذلك هو ما عليه عامة أهل العلم من أتباع المذاهب الفقهية، ولهذا أدخلوا جنايات السحرة في كتبهم، وبينوا ما يترتب عليها من الأحكام[١].

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (٤/ ١٦٩)، الصحاح (٢/ ٦٧٩)، لسان العرب (٤/ ٣٤٨).

(٣) انظر: أضواء البيان (٤/ ٤١).

(٤) انظر: أحكام القرآن- أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي- تحقيق: محمد صادق القمحاوي- دار دار إحياء التراث العربي، بيروت- ١٤٠٥ هـ- (١/ ٥١، ٥٢)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٣)، تفسير القرطبي (٢/ ٤٣)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٢)، الكافي في فقه الإمام أحمد- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الشهير بابن قدامة المقدسي- دار الكتب العلمية- ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م- (٤/ ٦٤)، أضواء البيان (٤/ ٤١).

(٥) الكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ٦٤).

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٤)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٢).

(٧) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ١٧٣).

(٨) ممن وافق المعتزلة في هذه المسألة: الإمام أبو جعفر الأستراباذي، وابن حزم الظاهري وغيرهما. انظر: الفصل الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٥) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٢).

(٩) انظر: تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٦١)، الحجة في بيان المحجة (١/ ٥١٩)، شرح السنة للبغوي (١٢/ ١٨٧)، بدائع الفوائد- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار الكتاب العربي، بيروت- (٢/ ٢٢٧)، فتح القدير- كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام- دار الفكر- (٢/ ٢٢٧)، تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٢٥)، فتح القدير للشوكاني (١/ ١٣٩)، أضواء البيان (٤/ ٣٥).

ولهذا يقول ابن قتيبة رحمه الله في الرد على من ادعى أنه تخييل لا حقيقة له: " ونحن نقول: إن الذي يذهب إلى هذا، مخالف للمسلمين واليهود والنصارى وجميع أهل الكتب، ومخالف للأمم كلها "[٢].

وقول ابن الأثير رحمه الله بأن السحر منه ما هو كفر وفاعله كافر، ومنه ما هو غير ذلك وفاعله فاسق موافق لما عليه أصحاب الشافعية[٣]، خلافا للجمهور القائلين بأن السحر كفر مطلقاً وأن الساحر كافر خارج من الملة[٤].

والحق أنا لا منافاة بين القولين؛ إذ الجمهور حينما حكموا على السحر بأنه كفر وأن الساحر كافر نظروا إلى السحر بمعناه الشرعي، والشافعية حينما فصلوا في حكم السحر وجعلوا منه ما هو كفر، ومنه ما هو كبيرة وفصلوا في حكم الساحر بناءً على ذلك نظروا إلى السحر بمعناه اللغوي.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله[٥] رحمه الله: " عند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يكفّر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفرًا في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [ البقرة: ١٠٢]، .... وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحرًا فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحرًا، ولكنه يكون حرامًا لمضرته يعزر من يفعله تعزيرًا بليغًا "[٦].

**المطلب الحادي عشر: الرّقى:**

تطرق ابن الأثير رحمه الله في هذا المطلب إلى بيان معنى الرقية، وبين أن منها ما هو مشروع، ومنها ما هو ممنوع، وبين شروط جواز الرقى.

---

(١) انظر: فتح القدير للكمال ابن الهمام (٦/ ٩٩)، الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر(٢/ ١٠٩١)، روضة الطالبين وعمدة المفتين- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- تحقيق: زهير الشاويش- المكتب الإسلامي، بيروت- ط٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م- (٩/ ٣٤٧)، المبدع في شرح المقنع- إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م- (٧/ ٤٨٧).

(٢) تأويل مختلف الحديث (ص: ٢٦١).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٧٦)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٢٢٤).

(٤) انظر: رد المحتار على الدر المختار- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي- دار الفكر، بيروت- ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م- (٤/ ٢٤٣)، دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات- منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى- عالم الكتب- ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م- (٣/ ٣٩٩)

(٥) هو: سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، أحد أئمة الدعوة السلفية النجدية، محدث فقيه، من مؤلفاته: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، حاشية على المقنع في الفقه، الدلائل في عدم موالاة أهل الإشراك، توفي سنة ١٢٣٣هـ. انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (ص: ٢٩).

(٦) تيسير العزيز الحميد (ص: ٣٢٦، ٣٢٧).

فقال رحمه الله في بيان معنى الرقية: " الرقية: العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات "[١].

وبين رحمه الله أن الرقى منها ما هو مشروع، ومنها ما هو ممنوع فقال: " وقد جاء في بعض الأحاديث جوازها، وفي بعضها النهي عنها:

فمن الجواز[٢] قوله: " **اسْتَرْقُوا لَهَا فَإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ** "[٣]: أي اطلبوا لها من يرقيها، ومن النهي قوله: " لا يسترقون ولا يكتوون "[٤]، والأحاديث في القسمين كثيرة "[٥].

ثم بين رحمه الله وجه الجمع بين الأحاديث – وفيها بين شروط جواز الرقية – فقال: " ووجه الجمع بينهما أن الرقي يكره منها:

١- ما كان بغير اللسان العربي، ٢- وبغير أسماء الله تعالى وصفاته وكلامه في كتبه المنزلة، **٣**_ وأن يعتقد أن الرقيا نافعة لا محالة فيتكل عليها، ... ولا يكره منها ما كان في خلاف ذلك؛ كالتعوذ بالقرآن وأسماء الله تعالى، والرقى المروية "[٦].

واستدل بعدة أحاديث منها: عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كنّا نرقي في الجاهليّة فقلنا: " يا رسول الله كيف ترى في ذلك فقال: " **اعْرِضُوا عليَّ رُقَاكُم، لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُن فِيهِ شِرِكٌ** "[٧]، وقال في شرحه: " كأنه خاف أن يقع فيها شيء مما كانوا يتلفظون به ويعتقدونه من الشرك في الجاهلية، وما كان بغير اللسان العربي، مما لا يعرف له ترجمة ولا يمكن الوقوف عليه فلا يجوز استعماله "[٨].

**الرقى لغةً:** جمع رقية، وهي العوذة، يقال: رقى الراقي رقيةً ورقياً، إذا عوذّ ونفث في عوذته[٩].
عوذته[٩].

---

(١) النهاية (ص: ٣٧٢).

(٢) أجاب رحمه الله عن بعض الآثار التي تمنع الرقية الا لبعض الامراض، كحديث " لا رقية إلى من عين أو حمة "( أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، حديث رقم ٥٧٠٥، (٤/ ٩٠) فقال: " تخصيصه العين والحمة لا يمنع جواز الرقية في غيرهما من الأمراض، لأنه قد ثبت أنه ﷺ رقى بعض أصحابه من غيرهما، إنما معناه: لا رقية أولى وأنفع من رقية العين والسم ". جامع الأصول (٧/ ٥٥٦)، وانظر: النهاية (ص: ٣٧٢، ٦٥٥).

(٣) جزء من أحاديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب رقية العين، حديث رقم ٥٧٣٩، (٤/ ٩٨).

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو، يكتو، حديث رقم ٥٧٠٥، (٤/ ٩٠).

(٥) النهاية (ص: ٣٧٢)، وانظر: جامع الأصول (٧/٥٥٢- ٥٧٠).

(٦) النهاية (ص: ٣٧٢)، والترقيم في النص من تصرف الباحث.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك، حديث رقم ٥٦٢٥، (ص: (ص: ١١٠١، ١١٠٢).

(٨) النهاية (ص: ٣٧٢).

(٩) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٤٢٦)، تهذيب اللغة (٩/ ٢٢٤)، لسان العرب (١٤/ ٣٣٢).

وقيل: هي العزيمة، وعزم الراقي كأنه أقسم على الداء[١].

فالرقية والعوذة والعزيمة كلها متقاربة في المعنى، وإن كان بعض العلماء يفرق بينهما[٢].

**الرقية اصطلاحاً:** لا يختلف معنى الرقية في الشرع عن المعنى اللغوي كثيرا، فالرقية: هي العوذة، أي ما يرقى به المريض من الدعاء لطلب الشفاء[٣].

وأما ما قرره ابن الأثير رحمه الله من تقسيم الرقى إلى قسمين: رقى مشروعة، ورقى ممنوعة، فهو محل إجماع عند العلماء[٤].

فإن أهل العلم قد قسموا الرقى إلى قسمين:

**القسم الأول:** الرقى المشروعة: وهي ما اجتمعت فيها شروط الرقية الشرعية وهي ثلاثة[٥]:

١- أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.

٢- أن تكون باللسان العربي أو بما يفهم معناه.

٣- أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى.

**القسم الثاني:** الرقى الممنوعة: وهي التي لم تتوفر فيها الشروط الثلاثة السابقة، وحكمها يختلف باختلافها فإن كان فيها أقوال أو أفعال شرك أو اعتقاد أنها مؤثرة بذاتها فهي شرك أكبر، وإن كانت تشتمل على ألفاظ لا يفهم معناها فهي محرمة مخافة أن تكون شركاً[٦].

---

(١) انظر: الصحاح (٥/ ١٩٨٥)، القاموس المحيط (ص: ١١٣٧)، لسان العرب (١٢/ ٤٠٠).

(٢) انظر: أنوار البروق في أنواء الفروق- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي- عالم الكتب- (٤/ ١٤٧).

(٣) انظر: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني- أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي- تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي- دار الفكر، بيروت- ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م- (٢/ ٤٩٠)، مجموع الفتاوى (١/ ١٨٢، ٣٢٨)، عون المعبود شرح سنن أبي داود- محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي- دار الكتب العلمية، بيروت-ط٢، ١٤١٥ هـ- (١٠/ ٣٦٥).

(٤) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٩٣)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٩٥)، مجموع الفتاوى (١٩/ ٦١)، نيل الأوطار- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني- تحقيق: عصام الدين الصبابطي- دار الحديث، مصر- ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م- (٨/ ٢٤٤، ٢٤٥)، فيض القدير (٢/ ٣٤١)، تيسير العزيز الحميد (ص: ١٣١، ١٣٢)، معارج القبول (٢/ ٥٠٩)، فتح المجيد (ص: ١٢٧)، وللاستزادة انظر: أحكام الرقى والتمائم- د. فهد بن ضويان السحيمي-مكتبة أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م- (ص: ٣٦).

(٥) انظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ٩٣)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ١٩٥)، مجموع الفتاوى (١٩/ ٦١)، فيض القدير (٢/ ٣٤١)، تيسير العزيز الحميد (ص: ١٣١، ١٣٢)، معارج القبول (٢/ ٥٠٩)، فتح المجيد (ص: ١٢٧).

(٦) انظر: تيسير العزيز الحميد (ص: ١٣١، ١٣٢)، القول المفيد (١/ ١٨٧) .

ومن كلام ابن الأثير يتبين موافقته لأهل السنة في بيان الرقية، وأقسامها، وكذلك موافقته لأهل السنة في الشروط التي ذكرها حتى تكون الرقية جائزة ومشروعة. والله أعلم.

**المطلب الثاني عشر: التمائم:**

تكلم ابن الأثير رحمه الله في هذا المطلب عن تعريف التميمة، وذكر أن فيها خلافاً بالجواز والمنع، وبين لماذا وصفها النبي ﷺ أنها من الشرك.

فقال ابن الأثير غفر الله لنا وله في تعريف التميمة: " التمائم: التعاويذ والحروز "[١]، وقال في موضع آخر: " التميمة: واحدة التمائم، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يردون بها العين في زعمهم "[٢].

وقد ذكر أن النبي ﷺ قد أبطلها ونهى عنها[٣]، وفي كتابه جامع الأصول عقد باباً في الرقى والتمائم، وذكر فيه ثلاثة فصول: الفصل الأول: في جوازها وذكر الأحاديث والآثار التي تدل على الجواز، والفصل الثاني: في رقى مسنونة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والفصل الثالث: في النهي عن الرقى والتمائم وذكر الأحاديث والآثار التي تدل على النهي[٤].

ثم بين رحمه الله لماذا اعتبر النبي ﷺ التمائم التي كانت تعلقها العرب من الشرك، فقال: " وإنما جعلها شركا لأنهم أرادوا بها دفع المقادير المكتوبة عليهم، فطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه "[٥].

**التمائم:** جمع تميمة، وهي العوذ التي تعلق على الإنسان وغيره لدفع الآفات عنه من أي شئ كان[٦].

**وهي نوعان:**

**النوع الأول:** التمائم من غير القرآن: وهي ما كانت من خرزات، أو حلقات، أو خرق، أو عظام، فيها حروف أو أرقام أو غير ذلك[٧].

---

(١) جامع الأصول (٤/ ٧٨٦).

(٢) جامع الأصول (٧/ ٥١٦)، وانظر: النهاية (ص: ١١١).

(٣) انظر: جامع الأصول (٧/ ٥١٦)، النهاية (ص: ١١١).

(٤) انظر: جامع الأصول (٧/٥٥٢- ٥٧٥).

(٥) انظر: النهاية (ص: ١١٢).

(٦) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ١٨٤)، الصحاح (٥/ ١٨٧٨)، مجمل اللغة- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي- دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان- مؤسسة الرسالة، بيروت- ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م- (ص: ١٤٥)، لسان العرب (١٢/ ٦٩).

(٧) انظر: معارج القبول (٢/ ٥١٢)، تيسير العزيز الحميد (ص: ١٣٣)، فتح المجيد (ص: ١٢٧)، وللاستزادة انظر: أحكام الرقى والتمائم للسحيمي (ص: ٢٢٧).

وهذا النوع من التمائم محرم بالاتفاق، والحكم عليها بكونها شركا أكبر، أو شركا أصغر يختلف باختلاف حال التميمة من جهة، وحال معلقها من جهة أخرى.

أما معنى اختلاف حكمها باختلاف حال التميمة، فالمقصود به: أن التميمة إن كانت تشتمل على الاستعانة بالشياطين، أو بغيرهم من المخلوقين، فهي شرك أكبر، وإن كانت تشتمل على كلام لا يفهم معناه فهي محرمة.

أما معنى اختلاف حكمها باختلاف حال معلقها، فالمقصود به: أن معلق التميمة إن كان يعتقد أن التميمة تنفع وتضر بذاتها ففعله هذا شرك أكبر، ومن كان يعتقد أن التميمة سبب لدفع الضر والعين ففعله هذا شرك أصغر[١].

**النوع الثاني:** التمائم من القرآن: وهي ما كان مكتوب فيها آيات من القرآن، ويلحق بها ما كان مكتوب فيها أدعية، أو أذكار، أو أسماء الله وصفاته.

وهذا النوع من التمائم اختلف العلماء في جوازه، والخلاف فيه قديم من عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم[٢].

والذي رجحه كثير من العلماء المعاصرين هو عدم الجواز لعدة أسباب:

**الأول:** عموم النهي، ولا مخصص للعموم.

**الثاني:** سد الذريعة، فإنه قد يؤدي إلى تعليق ما ليس كذلك منه أو من غيره.

**الثالث:** أنه إذا علق فلا بد أن يمتهنه المعلّق، بحمله معه أثناء قضاء الحاجة وغيره ... [٣].

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٥١٢)، التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب- دار طيبة، الرياض- ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م- (ص: ٢٦٧، ٢٦٨)، القول المفيد (١/ ١٨٢)، أحكام الرقى والتمائم (ص: ٢٣٨).

(٢) انظر: التمهيد (١٧/ ١٦٠، ١٦١)، مجموع الفتاوى (١٩/ ٦٤، ٦٥)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٤٢)، معارج القبول (٢/ ٥١٠)، تيسير العزيز الحميد (ص: ١٣٣)، القول المفيد (١/ ١٨٤)، فتح المجيد (ص: ١٢٧)، أحكام الرقى والتمائم (ص: ٢٤٣).

(٣) انظر: معارج القبول (٢/ ٥١٠)، تيسير العزيز الحميد (ص: ١٣٣)، القول المفيد (١/ ١٨٥)، فتح المجيد (ص: ١٢٨)، وللاستزادة انظر: أحكام الرقى والتمائم (ص: ٢٣٧- ٢٥٣).

# الفصل الثّاني

## منهج ابن الأثير في باقي أركان الإيمان

**وفيه أربعة مباحث :**

**المبحث الأوّل: منهج ابن الأثير في مباحث الإيمان**

**المبحث الثاني: منهج ابن الأثير في الإيمان بالرسل**

**المبحث الثالث: منهج ابن الأثير في الإيمان باليوم الآخر**

**المبحث الرابع: منهج ابن الأثير في الإيمان بالقضاء والقدر**

## الفصل الثاني: منهج ابن الأثير في باقي أركان الإيمان.

إن موضوع العقيدة شامل لمسائل عديدة، هي في الحقيقة تمثل الجانب العلمي في الإسلام، وقد كان الفصل الأول في بيان منهج ابن الأثير رحمه الله في بعض هذه المسائل، ألا وهي توحيد الله تعالى.

وسيكون في هذا الفصل بإذن الله بيان منهجه في مسائل متعددة، وهي المسائل المتعلقة بالإيمان، وبالانبياء والرسل، وباليوم الآخر، وبالقضاء والقدر، وهذه المسائل موزعة على المباحث التالية:

### المبحث الأول: منهج ابن الأثير في مباحث الإيمان: وفيه ثلاثة مطالب:

مسألة الإيمان من المسائل الرئيسية التي حصل فيها خلاف بين أهل السنة وغيرهم من الفرق، وتمثل هذا الخلاف في أكثر من جانب، ومنها التي ذكرها ابن الأثير رحمه الله في كتبه، وهو ما يمكن بيانه في المطالب التالية:

#### المطلب الأول: تعريف الإيمان لغةً واصطلاحاً:

تطرق ابن الأثير رحمه الله إلى تعريف الإيمان في اللغة، وأشار كذلك إلى أن الإيمان ينقسم إلى أمر ونهي.

فقال رحمه الله في تعريف الإيمان لغة: " الإيمان: التصديق "[١].

وأما أن الإيمان ينقسم إلى أمر ونهي فقال: " الإيمان ينقسم إلى ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه، فإذا حصل الانتهاء بالحياء كان بعض الإيمان "[٢].

**الإيمان لغةً:** مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن[٣]، وهو بمعنى الإقرار وليس مجرد التصديق، فالإيمان يتضمن أمرين: الإخبار، والالتزام.

والتصديق يتضمن الأول دون الثاني، بخلاف الإقرار فإنه يتضمن الأمرين جميعا[٤].

---

(١) النهاية (ص: ٤٧).

(٢) المصدر السابق (ص: ٤٧).

(٣) انظر: مقاييس اللغة (١/ ١٣٣)، الصحاح (٥/ ٢٠٧١)، لسان العرب (١٣/ ٢١).

(٤) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص: ١٠٠)، مجموع الفتاوى (٧/٥٣٠، ٥٣١).

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار؛ لا مجرد التصديق. والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد "[١].

**الإيمان اصطلاحاً:** قول وعمل واعتقاد، قول اللسان وعمل الجوارح، واعتقاد القلب.

وهذا هو ما أجمع عليه سلف هذه الأمة، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: " وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممّن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر "[٢].

وقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على ذلك، منهم: البخاري[٣]، وابن عبد البر[٤]،وغيرهم.

والقول بمقتضى ذلك هو الذي عليه أهل السنة والجماعة وإن اختلفت عباراتهم في ذلك إجمالا وتفصيلا[٥].

**المطلب الثاني: الفرق بين الإسلام والإيمان:**

يرى ابن الأثير رحمه الله أنه هناك فرقاً بين الإيمان والإسلام، وأنه أحياناً يكونان بمعنى واحد.

ففي بيان الفرق يقول رحمه الله: " الإسلام معروف وهو في الأصل الانقياد والطاعة، وبينه وبين الإيمان فرق وهو أن الإيمان ما كان بالقلب لأنه تصديق، والتصديق محله القلب، والإسلام باللسان.

وللعلماء فيهما خلاف كبير ومذاهب ومتنوعة، وقد يقع أحدهما على الآخر اتساعا "[٦].

فإذن ذكر رحمه الله أن هناك فرقاً، وأنه قد يطلق أحدهما على الآخر اتساعاً، ومن هذه المواضع التي ذكر أنهما بمعنى واحد، عند شرحه حديث " **لَاْ يَحِلُّ دَمِ امرِئٍ مُسْلِمٍ إلّا مِنْ إحدَى**

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٣٨).

(٢) نقله عنه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٧).

(٣) نقله عنه الإمام اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٩).

(٤) انظر: التمهيد (٩/ ٢٣٨).

(٥) انظر: الإيمان- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- ط٢، ١٩٨٣م- (ص: ٤٩)، الإيمان- أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي عمر العدني- تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي- الدار السلفية، الكويت- ط١، ١٤٠٧- (ص: ٩٦)، الإيمان لابن منده (١/ ٣٢٨)، الشريعة للآجري (٢/ ٦١١)، أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٠٧)، : لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية- شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي- مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق- ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م- (١/ ٤٠٣)، شرح السنة للبربهاري (ص: ٦٧، ٦٨).

(٦) الشافي (١/ ٣٩٩).

ثَلَاثٍ: كفرٍ بَعْدَ إِيْمانٍ، أَوْ زِنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَو قَتل نَفْسٍ بِغَير نَفْسٍ "[1]، إذ يقول: " والإيمان والإسلام في هذا الحديث عبارة عن شئ واحد، كقوله تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥]، وقال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٦]، وذلك لأن الكفر يضادهما معا "[2].

هذه المسألة مما حصل فيها خلاف بين السلف أنفسهم رحمهم الله على قولين مشهورين:

**الأول:** أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، وممن قال بذلك من العلماء: الإمام ابن مندة[3]، وابن عبد البر[4] رحم الله الجميع.

**الثاني:** أن هناك فرق بين الإيمان والإسلام، وهو قول كثير من السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم[5]، ومنهم على سبيل المثال: الإمام الخلال[6]، والخطابي[7]، وابن تيمية[8] رحم الله الجميع. الجميع.

والقول الثاني هو الذي دلت عليه الأدلة من القرآن والسنة وأكدته، ومنها:

قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

قال ابن كثير: " يقول تعالى منكرا على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد، ... وقد استفيد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة "[9].

ومن السنة حديث جبريل عندما سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان ففرق بينهما[10].

واختلف القائلون بالتفريق بينهما في تحديد الفرق، والأكثر على أنه إن قرن بينهما فإن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، والإيمان بالأعمال الباطنة، كما في حديث جبريل، وكما فسره ابن الأثير تقريبا.

---

(١) أخرجه الشافعي في مسنده (ص: ١٦٤)، والبيهقي في معرفة السنن والآثار= معرفة السنن والآثار- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي- تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي- دار الوفاء ، القاهرة- ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م- (١٢/ ٢٣٨).

(٢) الشافي (٥/ ١٣٨).

(٣) انظر: الإيمان له (١/ ٣٢١).

(٤) انظر: التمهيد (٩/ ٢٤٧).

(٥) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٨٩٢).

(٦) انظر: السنة له (٣/ ٦٠٢).

(٧) انظر: معالم السنن (٤/ ٣١٥)

(٨) انظر: الإيمان له (ص: ١٥)

(٩) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٨٩).

(١٠) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله، حديث رقم ٢، (ص: ٣١، ٣٢).

وأما إن أفرد أحدهما فيدخل فيه الآخر، كما في حديث وفد عبد القيس حيث فسر النبي ﷺ الإيمان بما فسر به الإسلام، فقال النبي ﷺ: " **آمُرُكُم بِالإِيمَانِ بَاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الإِيْمَانِ بِاللهِ وِحْدَه " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُه أَعْلَم، قَاْل: "شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَه إِلّا الله وَأَنّ مُحَمّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزّكاةِ، وَصِيَام رَمَضَان، ...**" [1].

يقول ابن رجب رحمه الله: " اسم الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما، دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي. وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة "[2].

وعليه فما ذكره ابن الأثير رحمه الله من التفريق بين الإسلام والإيمان موافق لقول جمهور أهل العلم.

## المطلب الثالث: حكم مرتكب الكبيرة:

**أولاً:** قبل بيان حكم مرتكب الكبيرة عند ابن الأثير رحمه الله، لابد من بيان معنى الكبيرة، وابن الأثير قد ذكر تعريفا للكبيرة دون أن يخوض في أقوال العلماء في تحديدها، فقال رحمه الله في تعريف الكبيرة: " هي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا، لعظيم أمرها، كالزنا والقتل والفرار من الزحف والعقوق، وغير ذلك من الذنوب "[3].

**الكبيرة لغةً:** يقول ابن فارس: " الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر "[4].

فهي مشتقة من الكبر، وهي بمعنى العظمة أو الإثم الكبير[5].

**الكبيرة اصطلاحاً:** اختلف أهل العلم في تعريفها اختلافاً كثيراً[6]، فمنهم من عدها عدا استنباطاً من الأحاديث، ومنهم من حد لها حداً ووضع لها ضابطاً[7].

قال ابن القيم: " وأما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافا لا يرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقاربة "[8].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، حديث رقم ٧٥٥٦، (٤/ ٥٩١، ٥٩٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٦).

(٣) جامع الأصول (٤/ ٣٩٣). وانظر: جامع الأصول (٢/ ٥٦٤) (٥/ ٧٢٤) (١٠/ ٦٢٣)، والنهاية (٤/ ١٤٢).

(٤) مقاييس اللغة (٥/ ١٥٣).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (١٠/ ١٢١)، الصحاح (٢/ ٨٠٢)، لسان العرب (٥/ ١٢٦)

(٦) انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٨٥- ٨٧)، مدارج السالكين (١/ ٣٣٠) وما بعدها، شرح الطحاوية (ص: (ص: ٣٧٠)، فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤١٠) وما بعدها، لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٦٥، ٣٦٦).

(٧) انظر: مدارج السالكين (١/ ٣٢٣).

(٨) المصدر السابق (١/ ٣٢٧).

وأولى الأقوال بالصواب أن تعرف الكبيرة بالحد فيوضع لها ضابطا، وضابطها: " بأنها كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب. وما قاربه من المعنى "، وهذا التعريف هو المأثور عن أكثر السلف، واختاره جمع من العلماء المحققين[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وهذا الضابط يسلم من القوادح الواردة على غيره؛ فإنه يدخل كل ما ثبت في النص أنه كبيرة: كالشرك والقتل والزنا والسحر وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات وغير ذلك من الكبائر التي فيها عقوبات مقدرة مشروعة وكالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم وأكل الربا وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشهادة الزور؛ فإن هذه الذنوب وأمثالها فيها وعيد خاص ... وإنما قلنا: إن هذا الضابط أولى من سائر تلك الضوابط المذكورة لوجوه:

**أحدها:** أنه المأثور عن السلف بخلاف تلك الضوابط؛ فإنها لا تعرف عن أحد من الصحابة والتابعين والأئمة ....

**الثاني:** أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله في الذنوب؛ فهو حد يتلقى من خطاب الشارع وما سوى ذلك ليس متلقى من كلام الله ورسوله؛ بل هو قول رأي القائل وذوقه من غير دليل شرعي ....

**الثالث:** أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر ...." [٢].

وما تقدم من كلام ابن الأثير رحمه الله يتبين أنه يرى أن الكبيرة يمكن تعريفها بالحد وأن يوضع لها ضابطا، ولكن ما ذكره من ضابط، غيره أولى منه وأقرب للصواب كما سبق. والله أعلم.

**ثانيًا: حكم مرتكب الكبيرة:**

ذكر ابن الأثير رحمه الله أن تكفير مرتكب الكبيرة هو مذهب الخوارج ومن وافقهم، وأن المسلم العاصي لا يخلد في النار، وذكر أيضا رحمه الله أن العصاة في مشيئة الله، إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم.

فيقول ابن الأثير رحمه الله في شرح حديث المقداد بن عمرٍو الكنديّ، أنّه قال لرسول الله ﷺ: " **أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الكُفَّارِ فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لاَذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ، أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَقْتُلْهُ» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ** "[٣]: " وقد تأول الخوارج – ومن قال بقولهم – معنى قوله عليه الصلاة والسلام: " وأنت بمنزلته قبل أن تقول كلمته التي قال" على الكفر، يعنون: إنه لما أسلم

---

(١) انظر: الكبائر– شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي– دار الندوة الجديدة، بيروت– (ص: ٨)، مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥١)، شرح الطحاوية (ص: ٣٧١).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٦٥١-٦٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرا، حديث رقم٤٠١٩، (٣/ ٧٥ ).

وعصم الإسلام دمه ثم قتله صار كافرا؛ كما كان هذا قبل أن يقول كلمة الإسلام، حملا منهم على ما قرروه من مذاهبهم وهو التكفير بالكبائر والله أعلم "[١].

وذكر أيضا رحمه الله أن المسلم العاصي يعاقب ولا يخلد في النار فقال: " انظر كيف هدى الله أهل الحق والعدل إلى أقوم طريق، فأثبتوا للعاصي جزاءً، ونفوا الخلود في النار عليها الذي هو جزاء الكافرين "[٢].

وبين رحمه الله أن من أصاب حدا ولم يفضحه الله فإنه في مشيئة الله إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه، فقال عند شرحه حديث عبادة بن الصّامت رضي الله عنه، قال: " **كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ، فَقَالَ: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا – وَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ كُلَّهَا – فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ** "[٣]: " وهذا يدل على أن الحدود مكفرات للذنوب التي حدّ عليها، وأن من لم يفضحه الله بظهور معصيته حتى يحد، فإن أمره إليه في تعذيبه والعفو عنه "[٤].

- **اختلفت أقوال الفرق والجماعات في مرتكب الكبيرة:**

فذهبت الخوارج[٥] ومعها المعتزلة[٦] إلى أنه خالد في النار في الآخرة، واختلفوا في حكمه في الدنيا:

فذهب أكثر الخوارج إلى أنه كافر كفر شرك، وتجري عليه أحكام الكفار في الدنيا، وذهب بعض الخوارج إلى أنه كافر كفر نعمة، وتجري عليه أحكام المسلمين في الدنيا[٧].

وأما المعتزلة فقالت: هو في منزلة بين المنزلتين، أي بين الإيمان والكفر، وحكمه في الدنيا حكم المسلمين[٨].

---

(١) الشافي (٥/ ١٤٩).

(٢) جامع الأصول (١٠/ ١٣١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب الحدود كفارة، حديث رقم٦٧٨٤، (٤/ ٣٦١ ).

(٤) الشافي (٥/٣٨٨).

(٥) انظر: الملل والنحل (١/ ١١٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ٨٤، ١٠٩)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٤٦).

(٦) انظر: التبصير في الدين (ص: ٦٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٩).

(٧) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٩٧)، التبصير في الدين (ص: ٤٥).

(٨) انظر: الفرق بين الفرق (ص: ٩٤)، التبصير في الدين (ص: ٦٥)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٣٦).

وذهبت المرجئة[1] إلى أنه مؤمن كامل الإيمان، وأنه من أهل الجنة إن مات موحدا وإن زنى وإن سرق، وقال الغلاة منهم: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة[2].

وأما أهل السنة فهم الوسط دائما، فقالوا: إن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وحكمه في الدنيا حكم باقي المسلمين، وفي الآخرة هو في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له[3]، وحجتهم في ذلك الأدلة الكثير من الكتاب والسنة.

أما من الكتاب فقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

جاء في معالم التنزيل: " وفي الآية دليل على أن القاتل لا يصير كافرا بالقتل، لأن الله تعالى خاطبه بعد القتل بخطاب الإيمان فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ﴾وقال في آخر الآية ﴿ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ ﴾ وأراد به أخوة الإيمان، فلم يقطع الأخوة بينهما بالقتل "[4].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

قال الإمام الطبري رحمه الله: " وقد أبانت هذه الآية أنّ كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرة شركًا بالله "[5].

وأما من السنة فالحديث الذي استدل به ابن الأثير واضح في دلالته.

يقول ابن عبد البر رحمه الله: " فإن مات صاحب الكبيرة فمصيره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه فإن عذبه فيجرمه وإن عفا عنه فهو أهل العفو وأهل المغفرة وإن تاب قبل الموت وقبل حضوره ومعاينته وندم واعتقد أن لا يعود واستغفر ووجل كان كمن لم يذنب وبهذا كله الآثار الصحاح عن السلف قد جاءت وعليه جماعة علماء المسلمين "[6].

---

(١) المرجئة هي: فرقة تزعم أن الإيمان المعرفة – أي معرفة الله – لا يزيد ولا ينقص، وأن العمل ليس من الإيمان، وعليه فلا تضر المعصية مع الإيمان، كما لا تنفع الطاعة مع الكفر. انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٩)، التبصير في الدين (ص: ٩٧).

(٢) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٤٣)، الملل والنحل (١/ ١٣٩).

(٣) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١١٢٩)، مختصر تفسير البغوي- عبد الله بن أحمد بن علي الزيد- دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض- ط١، ١٤١٦هـ- (١/ ١٠٣)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٥١، ٣٧٤)، شرح الطحاوية (ص: ٣٢١).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي- حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م- (١/ ١٩١).

(٥) تفسير الطبري (٨/ ٤٥٠).

(٦) التمهيد (٤/ ٤٩).

وقد نقل غير واحد من أهل العلم إجماع العلماء على ذلك[1].

وعليه فما قرره ورجحه ابن الأثير رحمه الله في مرتكب الكبيرة، ووصفه بأنه قول أهل الحق والهدى، موافق لما قرره أهل السنة والجماعة في كتبهم.

---

(١) انظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٥٦)، شرح السنة للبغوي (١/ ١٠٣)، شرح الطحاوية (ص: ٣٢١)، شرح النووي على مسلم (٢/ ٤١).

## المبحث الثاني: منهج ابن الأثير في الإيمان بالرسل.

الإيمان بالرسل من أصول وأركان الإيمان قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقد تطرق ابن الأثير رحمه الله لبعض المسائل المتعلقة بالإيمان بالأنبياء والرسل، وهو ما سيبينه الباحث بإذن الله في المطالب التالية:

### المطلب الأول: تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما:

تطرق ابن الأثير رحمه الله إلى معنى النبي لغة فقط ولم يذكر معنى الرسول، وبين أيضا في كلامه أن هناك فرق بين النبي والرسول.

أولا: في بيان معنى النبي قال ابن الأثير: " النبيء: فعيل بمعنى فاعل للمبالغة، من النبإ: الخبر، لأنه أنبأ عن الله، أي أخبر، ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه. يقال: نبأ ونبأ وأنبأ، ... وقيل: إن النبي مشتق من النباوة، وهي الشيء المرتفع "[١].

**النبي لغة:** مأخوذ من النبأ بمعنى الخبر، أو من النّبوة بمعنى العلو والرفعة[٢].

**والرسول لغة:** مأخوذ من الإرسال بمعنى التوجيه، أو الرّسل بمعنى التتابع[٣].

وفي تعريف النبي والرسول اصطلاحا وبيان الفرق بينهما يقول ابن الأثير: " الرسول أخص من النبي، لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا "[٤].

وفي موضع آخر نقل كلام الخطابي في بيان الفرق فقال: " قال الخطابي: والفرق بين النبي و الرسول: أن الرسول: هو المأمور بتبليغ ما أنبيء وأخبر به والنبي: هو المخبر، ولم يؤمر بالتبليغ، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا "[٥].

- اختلف العلماء في تعريف النبي والرسول اصطلاحاً، وفي بيان الفرق بينهما[٦].

ففريق من العلماء قال: هما بمعنى واحد، ولا فرق بينهما.

وفريق آخر قال: هما متغايران، وهو قول الجمهور، وإن اختلفوا في تحديد وجهه.

---

(١) النهاية (ص: ٨٩٥).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٣٤٨، ٣٤٩)، مقاييس اللغة (٥/ ٣٨٤، ٣٤٩)، لسان العرب (١/ ١٦٢).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٢٧٢)، مقاييس اللغة (٢/ ٣٩٢)، لسان العرب (١١/ ٢٨٣، ٢٨٤).

(٤) النهاية (ص: ٨٩٥).

(٥) جامع الأصول (٤/ ٢٦٢، ٢٦٣).

(٦) انظر: أعلام النبوة- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي- دار ومكتبة الهلال، بيروت- ط١، ١٤٠٩ هـ- (ص: ٥٠، ٥١)، النبوات- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني- تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان- أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م- (٢/ ٧١٤)، شرح الطحاوية (ص: ١٥٨)، لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٩، ٥٠)، أضواء البيان (٥/ ٢٩٠).

**والقول الثاني** هو ما رجحه ابن الأثير رحمه الله، لكن يشكل على ما ذكره في الفرق بين النبي والرسول، ثبوت الإرسال في حق النبي، وحصول الكتمان بعدم البلاغ.

يقول الشيخ الشنقيطي رحمه الله: " آية الحج هذه تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم، من أن النبي هو من أوحي إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه، وأمر بتبليغ ما أوحي إليه غير صحيح ؛ لأن قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ** ﴾ الآية[الحج: ٥٢]، يدل على أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير "(١).

لذلك فإن تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية – وهو من المحققين – أصح التعاريف، وأسلمها من الاعتراضات حيث يقول: " النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأه الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول "(٢).

وعليه فالنبي والرسول بينهما عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا(٣).

## المطلب الثاني: المفاضلة بين الأنبياء:

يرى ابن الأثير رحمه الله جواز المفاضلة بين الأنبياء، وأن بعض الأنبياء أفضل من بعض ونقل الإجماع على ذلك.

فقال رحمه الله بعد ذكره قول النّبي ﷺ: " **مَنْ قَالَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى فَقَدْ كَذَبَ** "(٤): "(٤): " ولا شبهة أن رسول الله ﷺ خير منه، وأولوا العزم من الرسل خير منه بالإجماع "(٥).

وبين رحمه الله وجه الجمع والتوفيق بين قول النبي ﷺ: " **أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَم** "(٦)، وبين قوله ﷺ: " **لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى** "(٧)، فقال: " ووجه الجمع بينهما: أن قوله: " **أَنَا سَيِّدِ وَلَدِ آدَم** " إنما هو إخبار عما أكرمه الله تعالى به من الفضل والسؤدد، وتحدث بنعمة الله عنده، وإعلام لأمته بذلك ليكون إيمانهم به على حسب ذلك.

---

(١) أضواء البيان (٥/ ٢٩٠).

(٢) النبوات لابن تيمية (٢/ ٧١٤).

(٣) انظر: الإيمان لابن تيمية (ص: ١١)، شرح الطحاوية (ص: ١٥٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ پ إِلَىٰ ڀ﴾ [النساء: ١٦٣] ١٦٣] إلى قوله: ﴿ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [النساء: ١٦٣]، حديث رقم ٤٦٠٣، (٣/٢٥٩ ).

(٥) الشافي (٢/ ٢٥٠).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، حديث رقم ٥٨٣٤، (ص: ١١٤١).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: [الصافات: ١٣٩] "، حديث رقم ٣٤١٦، (٢/٤٦٠ ).

أما قوله في يونس عليه السلام، فيحتمل:
- أن يكون أراد بقوله: " لا ينبغي لعبد " أو لأحد، غير نفسه.
- أو أن يكون عاما فيه وفي غيره من الناس، فيكون هذا على سبيل الهضم وإظهار التواضع لربه، يقول: لا ينبغي لي أن أقول: أنا خير منه، لأن الفضيلة التي نلتها كرامة من الله وخصوصية منه، لم أنلها من قبل نفسي، ولا بلغتها بقوتي، فليس لي أن أفتخر بها، وإنما يجب علي أن أشكر عليها ربي.

وإنما خص يونس بالذكر لما قصه الله علينا من شأنه، وما كان من قلة صبره على أذى قومه، فخرج مغاضبا، ولم يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل "[1].

قال الباحث: القول بأن بعض الأنبياء أفضل من بعض هو ما دلت عليه الآيات والأحاديث، والإجماع.

فمن الآيات: قول الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

ومن الأحاديث قول النبي ﷺ: " **أنا سيّد ولد آدم ...**" [2].

وأما الإجماع، فقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على المفاضلة بين آحاد الأنبياء، وأن بعضهم أفضل من بعض، وأن الرسل أفضل من الأنبياء[3].

وأن أفضل الرسل نبينا محمد ﷺ[4]، يليه في الفضيلة بقية أولو العزم من الرسل الذين أثنى الله عليهم، وأنهم على الصحيح الخمسة المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] [5].

---

(١) جامع الأصول (٨/ ٥٢٧).

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٦٤).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (١/ ٥٠)، تفسير ابن كثير (٥/ ٨٧).

(٤) يقول القاضي عياض رحمه الله: " لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى، واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا". الشفا بتعريف حقوق المصطفى- القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل- دارالفيحاء، عمان- ط٢، ١٤٠٧ هـ- (١/ ٣٢٣). وممن نقل الإجماع ابن كثير في تفسيره (٥/ ٨٨).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٨٨)، ويقول ابن تيمية رحمه الله: " وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ". الفرقان بين أولياء

وأما الجمع بين النصوص التي تنصص على تفضيل النبي ﷺ على غيره، وبين التي تنهى عن المفاضلة، فأولى الأقوال وأصحها أن النصوص التي تنهى عن المفاضلة محمولة على ما كان يؤدي إلى توهم النقص في المفضول أو الإزدراء منه، أو بمجرد التشهي والعصبية، أو أن النبي ﷺ قالها تواضعا مع غيره من الأنبياء[1].

يقول النووي رحمه الله في جوابه عن الأحاديث التي تنهى عن التفضيل: " جوابه من خمسة أوجه:
**أحدهما:** أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فلما علم أخبر به.
**والثاني:** قاله أدبا وتواضعا.
**والثالث:** أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول.
**والرابع:** إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة.
**والخامس:** أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى، ولا بد من اعتقاد التفضيل فقد قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض "[2].

ومما سبق يتبين موافقه ابن الأثير رحمه الله لأهل العلم في التفضيل بين الأنبياء، وأن النهي عن التفضيل لا يتعارض مع غيره من الأحاديث التي فيها تفضيل النبي ﷺ.

## المطلب الثالث: منهج ابن الأثير في نبوة من اختلف في نبوته:

تحدث ابن الأثير رحمه الله عن نبوة بعض من اختلف في نبوته، ورجح ما رآه راجحا في حقهم، وذكر منهم: الخضر، وحواء، وآسية، ومريم.
وفيما يلي بيان رأيه في ذلك، معقّبا عليه بالتقويم.

### ١ _ الخضر:

ذكر ابن الأثير رحمه الله الاختلاف في اسم الخضر، وبين السبب في تسميته بهذا الاسم، ورجح رحمه الله أنه نبي، وأنه مازال على قيد الحياة.
فقال رحمه الله في كتابه جامع الأصول: " الباب الثاني: في ذكر جماعة من الأنبياء صلوات الله عليهم"[3]، فذكر مجموعة من الأنبياء ثم قال: " الخضر: هو بليا بن ملكان، وقيل: كليان بن ملكان، من أولاد فارس في قول بعضهم، والخضر لقب له لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء. وقيل: كان إذا صلى إخضر ما حوله، وهو صاحب موسى عليه السلام الذي جاء ذكره

---

الرحمن وأولياء الشيطان- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني- حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط- مكتبة دار البيان، دمشق-١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م- (ص: ١٠).
(١) انظر: معالم السنن (٤/ ٣٠٩)، منهاج السنة النبوية (٧/ ٢٥٦)، تفسير ابن كثير (٥/ ٨٧).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣٧، ٣٨)
(٣) جامع الأصول (١٢/ ١١١).

في سورة الكهف. ويرد في كثير من أخباره أن كنيته أبو العباس وهو حي ولم يمت يسيح في الأرض ويظهر لكثير من أولياء الله تعالى "[١].

**الخضر:** بفتح الخاء وكسر الضاد، ويجوز إسكان الضاد، مع كسر الخاء وفتحها[٢]، هو عبد من عباد الله، اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة، وأشهر أسمائه بليا بن ملكان، واختلف في سبب تسميته بالخضر، وأخرج البخاري في صحيحه أن سبب تسميته بذلك أنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء[٣]، وذكر الله قصته في القرآن الكريم في سورة الكهف مع نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام ولم يذكر اسمه، وذكرها النبي ﷺ في أحاديثه بالتفصيل وذكر اسمه وأشهر ما اختلف العلماء في حقه واعتنوا بتحقيقه اختلافهم في نبوته وحياته، وهو ما سيقتصر الحديث عليهما في هذا المطلب[٤].

**أولاً: ما يتعلق بنبوته:**

اختلف العلماء في نبوته على عدة أقوال أشهرها قولان:

**الأول:** أنه نبي وهو قول الجمهور، واختلف القائلون بذلك في كونه نبيا رسولا أو نبيا فقط، وأكثرهم أنه نبي فقط[٥].

**الثاني:** أنه ولي وليس نبي، وهو قول بعض الصوفية ومن وافقهم[٦].

---

(١) جامع الأصول (١٢/ ١١٧).

(٢) انظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب- سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م- (٣/ ١٦١)، تهذيب الأسماء واللغات- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- دار الكتب العلمية، بيروت- (١/ ١٧٦).

(٣) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى عليه السلام، حديث رقم ٣٤٠٢، (٢/٤٥٥ ): " عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النّبيّ ﷺ، قال: "إنّما سمّي الخضر أنّه جلس على فروةٍ بيضاء، فإذا هي تهتزّ من خلفه خضراء ".

(٤) انظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٤٣)، الإصابة في تمييز الصحابة- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني- تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض- دار الكتب العلمية ، بيروت، ط١ ، ١٤١٥ هـ- (٢/ ٢٤٦)، الزهر النضر في حال الخضر- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني- تحقيق: صلاح مقبول أحمد- مجمع البحوث الإسلامية، نيودلهي- ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م- (ص: ٢٢)، جواب سؤال يتعلق بما ورد فيما أظهر الخضر، ضمن الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني- تحقيق: أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق- مكتبة الجيل الجديدة، اليمن- (٣/ ١٢٤٩)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني= تفسير الألوسي- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي- تحقيق: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية ، بيروت -ط١، ١٤١٥ هـ- (٨/ ٣٠١).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٦)، البداية والنهاية (٢/ ٢٤٨)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٣٤)، الزهر النضر في حال الخضر (ص: ٦٨)، تفسير الألوسي (٨/ ٢٩٣، ٣٠٢).

(٦) انظر: الزهر النضر في حال الخضر (ص: ٦٩)، تفسير الألوسي (٨/ ٣٠٢).

**والراجح** القول الأول أنه نبي لا ولي، وقول من قال بنبوته دون رسالته لأدلة كثيرة ذكرها من قال بهذا الرأي.

يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله: " والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته "[(١)].

والقول بنبوته هو ما ذكره ابن الأثير رحمه الله وهو بذلك موافق لجمهور العلماء.

**ثانيًا: ما يتعلق بحياته وتعميره:**

اختلف العلماء أيضا في هذه المسألة على قولين:

**الأول:** أنه ميت، وهو ما عليه المحققون من أهل العلم[(٢)].

**الثاني:** أنه مازال على قيد الحياة، وهو قول لبعض الصوفية ومن وافقهم[(٣)].

**والراجح** من هذه الأقوال والذي عليه الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة والمعقول هو القول الأول الذي يقول بوفاته.

فمن الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

فالخضر إن كان بشرا فإنه داخل في هذه الآية لا محالة، ولا يجوز التخصيص إلا بنص صحيح صريح، ولا يوجد[(٤)].

أما من السنة:

قال النبي ﷺ: " **أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ** "[(٥)]، وقال النبي ﷺ: " **تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُ** "[(٦)].

فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر[(٧)].

---

(١) الزهر النضر في حال الخضر (ص: ١٦٢)، ويقول الألوسي في تفسيره (٨/ ٣٠٢): " ... والمنصور ما عليه الجمهور. وشواهده من الآيات والأخبار كثيرة وبمجموعها يكاد يحصل اليقين ".

(٢) انظر: جامع المسائل لابن تيمية- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني- تحقيق : محمد عزير شمس- بكر بن عبد الله أبو زيد- دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- ط١، ١٤٢٢ هـ- (٥/ ١٣٣)، المنار المنيف في الصحيح والضعيف- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية - تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة- مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب- ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م- (ص: ٦٧)، البداية والنهاية (٢/ ٢٦٥)، الزهر النضر في حال الخضر (ص: ٨٦)، تفسير الألوسي (٨/ ٣٠٢).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٣٥، ١٣٦)، الزهر النضر في حال الخضر (ص: ٧٠) وما بعدها، تفسير الألوسي (٨/ ٣٠٣).

(٤) انظر: المنار المنيف (ص:٦٧-٧٠)، البداية والنهاية (٢/ ٢٦٥)

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب السمر في العلم، حديث رقم ١١٦، (١/ ٥١ ).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب قوله ﷺ: "لا تأتي مائة سنة، وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم " ، حديث رقم ٦٣٧٦، (ص: ١٢٥٧).

(٧) هذه كلمة لابن الجوزي رحمه الله نقلها عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٢/ ٢٧٠).

وأما من المعقول:

فقد نقل ابن القيم رحمه الله عن بعض العلماء وجوها من المعقول في الرد على بطلان حياة الخضر، منها[1]:

١_ أن رسول الله ﷺ قال: " **خَلَقَ اللهُ آدَمَ طُولُه سِتّوُنَ ذِرَاعاً فَلَمْ يَزَلْ الخَلْقُ يَنْقُصْ بَعْدُ** "[2]، وما ذكر أحد ممن رأى الخضر أنه رآه على خلقة عظيمة وهو من أقدم الناس.

٢_ أنه لو كان الخضر قبل نوح لركب معه في السفينة ولم ينقل هذا أحد، مع العلم أنه قد اتفق العلماء أن نوحا لما نزل من السفينة مات من كان معه ثم مات نسلهم ولم يبق غير نسل نوح والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾[ الصافات: ٧٧ ] وهذا يبطل قول من قال إنه كان قبل نوح.

٣_ أن هذا لو كان صحيحا أن بشرا يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ومولده قبل نوح! لكان هذا من أعظم الآيات وكان خبره في القرآن مذكورا في غير موضع، فإن الله سبحانه وتعالى ذكر من أحياه ألف سنة إلا خمسين عاما وجعله آية فكيف بمن أحياه إلى آخر الدهر! ولهذا قال بعض أهل العلم: ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان.

٤_ أن غاية ما يتمسك به من ذهب إلى حياته حكايات منقولة يخبر الرجل بها أنه رأى الخضر فيا لله العجب هل للخضر علامة يعرفه بها من رآه؟ وكثير من هؤلاء يغتر بقوله أنا الخضر ومعلوم أنه لا يجوز تصديق قائل ذلك بلا برهان من الله فأين للرائي أن المخبر له صادق لا يكذب؟.

٥_ أنه لو كان حيا؛ لكان جهاده الكفار، ورباطه في سبيل الله، ومقامه في الصف ساعة، وحضوره الجمعة والجماعة وتعليمه العلم أفضل له بكثير من سياحته بين الوحوش في القفار والفلوات وهل هذا إلا من أعظم الطعن عليه والعيب له؟.

وبهذه الأدلة من الكتاب والسنة والمعقول يقطع بموت الخضر عليه الصلاة والسلام.

وغاية ما يستدل به من يقول بحياة الخضر ثلاثة أشياء:

- أحاديث ضعيفة ومكذوبة على النبي ﷺ.
- أقوال مروية عن بعض الصحابة والتابعين، وهي إما ضعيفة في السند في نسبتها لهم، وما صح فهو معارض بأقوال غيره.
- قصص وحكايات تذكر عن بعض الصالحين أنهم رأوا الخضر، أو أنهم رأوا شخصا خيل إليهم أنه الخضر، وهذا ليس بحجة فالخطأ والكذب فيه كبير وغالب[3].

---

(١) المنار المنيف (ص: ٧٤- ٧٦)، وانظر: تفسير الألوسي (٨/ ٣٠٨) فقد رد من وجوه متعددة على القول بحياة الخضر.

(٢) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم ٣٣٢٦، (٢/ ٤٢٢ ).

(٣) انظر: جامع المسائل لابن تيمية (٥/ ١٣٣)، المنار المنيف (ص: ٦٧)، تفسير الألوسي (٨/ ٣٠٥)، الزهر النضر في حال الخضر (ص: ٩٥- ١٦٢)،البداية والنهاية (٢/ ٢٥٠-٢٦٣)، تفسير الألوسي (٨/ ٣٠٩).

يقول ابن كثير رحمه الله بعد ذكره للأحاديث والأثار ونقدها: " وهذه الروايات والحكايات، هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدا، لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد، وقصاراها( لعله وأقصاها) أنها صحيحة إلى من ليس بمعصوم؛ من صحابي أو غيره؛ لأنه يجوز عليه الخطأ. والله أعلم "[١].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن " الأخبار الصحيحة النبوية والمقدمات الراجحة العقلية تساعد القائلين بوفاته عليه السلام أي مساعدة وتعاضدهم على دعواهم أي معاضدة، ولا مقتضى للعدول عن ظواهر تلك الأخبار "[٢].

وبهذا يتبين خطأ ابن الأثير رحمه الله فيما ذهب إليه من استمرار حياة الخضر إلى الآن.

**٢ـ حواء وآسية ومريم " نبوة النساء "[٣]:**

كان من ضمن من ذكر ابن الأثير رحمه الله في عداد الأنبياء: حواء وآسية ومريم.

فقال رحمه الله في كتابه جامع الأصول: " الباب الثاني: في ذكر جماعة من الأنبياء صلوات الله عليهم"[٤]، فذكر مجموعة من الأنبياء ثم قال: " حواء....، آسية ....، مريم...." [٥]. فعدهن من ضمن الأنبياء.

وقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

**الأول:** ذهب أكثر العلماء " جمهور العلماء " إلى نفى وإبطال نبوة النساء، واشتراط الذكورة[٦]، ونقل بعض العلماء الإجماع على ذلك[٧].

**الثاني:** قال بعض العلماء بنبوة النساء، وإن اختلفوا في عددهم، وأسمائهم[٨].

**والراجح** هو القول الأول الذي نقل الإجماع عليه، وهو منطوق الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ** ﴾ [يوسف: ١٠٩].

---

(١) البداية والنهاية (٢/ ٢٦٣، ٢٦٤).

(٢) انظر: تفسير الألوسي (٨/ ٣٠٩).

(٣) تم ذكرهم في رقم واحد، لأنهم يدخلون في مسألة واحدة وهي " نبوة النساء".

(٤) جامع الأصول (١٢/ ١١١).

(٥) المصدر السابق (١٢/ ١١٧، ١١٨).

(٦) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٥)، البداية والنهاية (٢/ ٤٢٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٢).

(٧) يقول ابن تيمية رحمه الله: " ليس في النساء نبية ؛ كما تقوله: عامة النصارى والمسلمين، وقد ذكر إجماعهم ( ( إجماع علماء المسلمين ) على ذلك غير واحد، مثل: القاضيين أبي بكر بن الطيب، وأبي يعلى بن أبي الفراء، والأستاذ أبي المعالي الجويني وغيرهم ...". الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني- تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد- دار العاصمة، السعودية- ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م- (٢/ ٣٤٩)، وانظر: الأذكار للنووي (ص: ١١٩).

(٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ١٢)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٥)، فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٧).

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: " يقول تعالى ذكره: وما أرسلنا، يا محمد، من قبلك إلا رجالا لا نساءً ولا ملائكة نوحي إليهم آياتنا، بالدعاء إلى طاعتنا وإفراد العبادة لنا "[١]. ولم يأت من قال بنبوة النساء بشئ يدفع هذا الآية.

والأدلة التي استدلوا بها مردود عليها، ولا تنهض لإثبات نبوة النساء؛ ومن أدلتهم[٢]:

أن الله جل وعلا قد ذكر في كتابه أنه قد أوحى إلى بعض النساء فقال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ الآية [القصص: ٧].

والجواب عن ذلك أن لفظ " الوحي " أعم من أن يكون وحي نبوة، فقد يكون وحي إلهام، أو وحي منام، وقد نقل ابن جرير رحمه الله عن بعض السلف في تفسير الآية السابقة أنه قال: " أي وحيًا جاءها من الله، فقذف في قلبها، وليس بوحي نبوة "[٣].

وكذلك من أدلتهم أن الله تعالى ذكر في كتابه أنه اصطفى مريم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٢] [٤].

ويقال في الجواب عن ذلك: أنه لا يلزم من اصطفائها، اصطفاء النبوة، لأن الله تعالى قد صرح أنه اصطفى غير الأنبياء كقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]. ومن المعلوم أن الأنبياء لا يظلمون أنفسهم.

ومن أدلتهم أيضا أن الله جل وعلا قد أرسل جبريل إلى مريم فخاطبها، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]. وكل من جاءه الملك من الله تعالى بحكم من أمر أو نهي أو إعلام فهو نبي[٥].

ويقال في الجواب عن ذلك: أنه قد ثبت في السنة أن الله تعالى أرسل ملكا إلى رجل يزور أخا له في الله في قرية أخرى، فسأله الملك عن سبب زيارته، فلما أخبره أنه يحبه في الله، أعلمه الملك أن الله قد بعثه إليه ليخبره أنه يحبه[٦]، ولم يكن ذلك الرجل بذلك نبياً.

---

(١) تفسير الطبري (١٦/ ٢٩٣).

(٢) انظر: الرسل والرسالات- عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي- دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت- الكويت- ط٤، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م- (ص: ٨٦)

(٣) تفسير الطبري (١٩/ ٥١٩). وانظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/ ٣٤٩)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٣).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٣).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٤٧)،

(٦) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله، حديث رقم ٦٤٤٤، (ص: ١٢٧١).

وأيضا فإن النبوة لا تتناسب مع طبيعة المرأة، لأنه مطلوب منها الحشمة والبعد عن المخالطة المشبوهة، والنبوة تتطلب التبليغ والمخالطة مع الناس، والاحتكاك بهم[١]، ولا يقال: إن النبي غير مأمور بالتبليغ؛ فإن هذا القول مخالف للصواب، ولما دل عليه الكتاب والسنة كما سبق.

وبذلك يتبين أن القول بنبوة النساء قول مردود وضعيف نقلا وعقلاً، ولذلك جعله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من الأقوال المنكرة الشاذّة التي يعجب منها[٢]. والله أعلم.

وعلى ذلك فما ذهب إليه ابن الأثير رحمه الله من ذكره: حواء ومريم وآسية في عداد الأنبياء غير صحيح، ومخالف لما عليه جمهور العلماء.

## المطلب الرابع: الإيمان بنبوة نبينا محمد ﷺ:

تعرض ابن الأثير رحمه الله لبعض المسائل المتعلقة بالإيمان بنبينا محمد ﷺ على وجه الخصوص، فذكر منها: وجوب الإيمان به والانقياد له واتباعه، ومعجزاته ودلائل نبوته، وذكر في كل منها ما يناسبها، وفيما يلي بيان رأيه في ذلك.

**أولاً: وجوب الإيمان به والانقياد له وإتباعه:**

قال ابن الأثير رحمه الله في شرحه حديث " **الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** "[٣]: " قال النصح لنبيه : فهو التصديق لنبوته، والطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، وإخلاص العمل في اتباعه "[٤].

وبين كذلك رحمه الله وجوب الأخذ بسنة النبي ﷺ، ووجوب العمل بها، وأنها تتنزل منزلة الكتاب، فقال في شرح حديث " **لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ، يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ، وَنَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا نَدْرِي، وَمَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ** "[٥]: " المراد بهذا الحديث: الأمر بلزوم السنة، والنهي عن مخالفة ما سن رسول الله ﷺ وأمر به من الفرائض والنوافل وقرره وثبته من الأحكام وأنها في لزوم قبولها ووجوب العمل بها تتنزل منزلة كتاب الله تعالى فإنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى "[٦].

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٦٦).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم ١٠١، (ص: ٥٥).

(٤) الشافي (٥/ ٤٥٥)، وانظر: جامع الأصول (١١/ ٥٥٨)، النهاية (ص: ٩١٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٠٢) وصححه الأرنؤوط في الموضع نفسه، وابن ماجه في سننه، باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه، حديث رقم ١٣، (ص: ١٥). وصححه الألباني في الموضع نفسه، وأخرجه أبو داوود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم ٤٦٠٥، (ص: ٦٩٠، ٩٦١).

(٦) الشافي (٥/٥٤٨).

ثم نقل كلاما للإمام الشافعي، فقال: " قال الشافعي رحمة الله عليه: ليس يخالف الحديث القرآن، ولكن حديث رسول الله ﷺ يبين معنى ما أراد خاصّا، وعاماً، وناسخاً، ومنسوخاً، ثم يلزم الناس ما تبين بفرض الله، فمن قبل عن رسول الله ﷺ فعن الله قبل "[1].

ما ذكره ابن الأثير في هذه المسألة من وجوب الإيمان والتصديق بنبوة نبينا محمد ﷺ وطاعته والانقياد له والإخلاص في إتباعه يعد من أصول الإيمان الذي لا يتم إيمان عبد إلا به، ولا يستقيم له أمر إلا باعتقاده، بل إنه لا يقبل للمرء صرف ولا عدل إلا بتوحيد متابعته ونهج طريقه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

يقول الإمام أحمد: " نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعا "[2].

ويقول ابن القيم رحمه الله في بيان وجوب الانقياد والاتباع: " أقسم ﷺ بأن " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هو أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين "[3]، وأقسم الله سبحانه بأن لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره، ثم يرضى بحكمه، ولا يجد في نفسه حرجا مما حكم به، ثم يسلم له تسليما وينقاد له انقيادا. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد أمره وأمر رسوله، فليس لمؤمن أن يختار شيئا بعد أمره ﷺ "[4].

**ثانياً: معجزاته ودلائل نبوته:**

عقد ابن الأثير رحمه الله باباً في كتابه جامع الأصول بعنوان " في معجزاته ودلائل نبوته ﷺ"[5]
ﷺ"[5] وذكر فيه عدة فصول، في كل فصل عقده ذكر فيه معجزة من معجزات النبي ﷺ، مع ذكر الدليل عليها، وهذه المعجزات التي ذكرها كالتالي:

في إخباره عليه الصلاة والسلام عن المغيبات.

في تكليم الجمادات له، وانقيادها إليه ﷺ

في زيادة الطعام والشراب

في إجابة دعائه ﷺ

في كف الأعداء عنه ﷺ

فيما سئل عنه ﷺ ".

---

(١) الشافعي (٥/٥٥١).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد، والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، حديث رقم ٧٣، (ص: ٥٠).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٩، ٤٠).

(٥) جامع الأصول (١١/ ٣١١)

وقال معلقا على معجزة نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ: " الماء هو معجزة أظهرها الله عز وجل لرسوله ﷺ، وقد تكرر ظهور الماء من بين أصابعه مرات، وهذا أكثر في باب الإعجاز من ظهور الماء من الحجر على يد موسى عليه السلام لأن الحجر من شأنه أن ينبع الماء منه كثيراً في أماكن عدة، فأما الأصابع !! ولا يعرف ذلك إلا للمؤيد بالمعجزة الإلهية ﷺ "(١).

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله من المعجزات السابقة ودلائلها على نبوة النبي ﷺ واضح وبين، فمعجزاته عليه الصلاة والسلام كثير وواضحة، وقد سبق ابن الأثير علماء كثر في ذكر هذه المعجزات والدلائل(٢).

جاء في كتاب الشفا: " معجزات نبينا ﷺ أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين:

أحدهما: كثرتها ...

الثاني: وضوح معجزاته ﷺ ..." (٣).

---

(١) الشافي (١/ ٢١٧).

(٢) انظر: دلائل النبوة- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني- تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس- دار النفائس، بيروت- ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م- (ص: ٣٢٥)، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤٠٥ هـ- (٦/ ٥)، أعلام النبوة للماوردي (ص: ٩٥).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ٧٣٥، ٧٣٦)

## المبحث الثالث: منهج ابن الأثير في الإيمان باليوم الآخر.

الإيمان باليوم الآخر من أصول وأركان الإيمان عند أهل السنة والجماعة، فهم يؤمنون بما يكون قبل الساعة من علامات، وما يكون بعدها من أحوال، وغيرها من الأمور والمسائل، وقد تطرق ابن الأثير رحمه الله لبعض المسائل المتعلقة باليوم الآخر، وهي ما ستوضح بإذن الله في المطالب التالية:

### المطلب الأول: أشراط الساعة:

تحدث ابن الأثير رحمه الله عن تعريف أشراط الساعة، وذكر بعض أشراط الساعة، ولكنه لم يكن يتوسع في بيانها، فربما عقد فصلا باسم الشرط أو العلامة وذكر أحاديثها تحتها دون تفصيل أو شرح، ولذلك سيتم التعليق فقط على ما بينه بكلامه وشرحه.

**أولاً: تعريف أشراط الساعة:**

قال ابن الأثير رحمه الله في تعريفها: " الأشراط: العلامات، وأشراط الساعة: العلامات التي تتقدمها، مثل خروج الدجال، وطلوع الشمس من المغرب "(١).

وقال في موضع آخر: " الأشراط: العلامات، واحدها شرط بالتحريك "، ثم نقل تعريف الخطابي فقال: " أشراط الساعة: ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة "(٢).

وفي تعريف الساعة قال: " هو يوم القيامة. وقد تكرر ذكرها في الحديث. والساعة في الأصل تطلق بمعنيين: أحدهما أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءا هي مجموع اليوم والليلة. والثاني أن تكون عبارة عن جزء قليل من النهار أو الليل. يقال جلست عندك ساعة من النهار: أي وقتا قليلا منه، ثم استعير لاسم يوم القيامة "(٣). والله أعلم.

وقال في موضع آخر: " وإنما سميت القيامة بالساعة، وهي الوقت، لكونها تقع بغتة، أو لأنها عند الله تعالى مع طولها كساعة من الساعات عند الخلق "(٤).

**الأشراط لغةً:** جمع شرط بالتحريك وهي العلامة، وأشراط الشيء أوائله(٥)، قال ابن فارس: " الشين والراء والطاء أصل يدل على علم وعلامة"(٦).

**الساعة:** هي جزء من أجزاء الزمان، ويعبر بها عن القيامة(٧).

---

(١) جامع الأصول (١١/ ٣٨٣).

(٢) النهاية (ص: ٤٧٤) .

(٣) المصدر السابق (ص: ٤٥٤).

(٤) منال الطالب (ص: ١٨٣).

(٥) انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٠)، تهذيب اللغة (١١/ ٢١١)، لسان العرب (٧/ ٣٢٩).

(٦) مقاييس اللغة (٣/ ٢٦٠).

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري- عالم الكتب ، القاهرة- ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م- (ص: ١٨٩).

وسميت الساعة بذلك: إشارة إلى أنها ساعة خفيفة يقع فيها أمر عظيم، وقيل: لوقوعها بغتة، أو لطولها، أو لسرعة الحساب فيها، أو لأنها عند الله خفيفة مع طولها على الناس"[١].
**أشراط الساعة اصطلاحاً:** هي العلامات والآيات التي تسبق قيام الساعة وتدل على قربها[٢].

**ثانياً: ذكر أشراط الساعة:**

ذكر الباحث في بداية هذا المبحث أن ابن الأثير رحمه الله كان يذكر أحيانا بعض أشراط الساعة ويذكر أحاديثها دون تفصيل أو بيان، وبعض الأشراط كان يفصلها ويوضحها، ولذلك ما أجمله ابن الأثير سيذكر بإجمال، وما فصله سيذكر بتفصيل.

**فأما ما أجمله فهو:**

- المهدي[٣].
- عيسى عليه السلام[٤].
- الفتن والاختلاف أمام القيامة[٥].
- قرب مبعث النبي ﷺ[٦].
- خروج النار قبل الساعة[٧].
- انقضاء كل قرن[٨].
- خروج الكذابين[٩].
- طلوع الشمس من مغربها[١٠].
- أشراط متفرقة[١١].

**أما ما فصله:**

**١_ فتنة المسيح الدجال:**

---

(١) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٨٩)

(٢) انظر: المصدر السابق (١٣/ ٧٩)

(٣) انظر: جامع الأصول (١٠/ ٣٢٧) (١٢/ ٩٣٢).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٣٢٧).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٣٧٥)، ذكر تحت هذا العنوان أحاديث قتال الروم واليهود وغير ذلك.

(٦) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٣٨٤).

(٧) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٣٨٦).

(٨) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٣٨٧).

(٩) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٣٩٠).

(١٠) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٣٩١).

(١١) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٣٩٣)، ذكر تحت هذا العنوان أحاديث كثيرة فيها ذكر لكثير من أشراط الساعة.

تطرق ابن الأثير رحمه الله في حديثه عن الدجال لبيان عدة أمور: أنه مذكور في الشرائع قبل الإسلام، سبب تسميته بالدجال، سبب تسميته بالمسيح.

فقال رحمه الله: " الدجال: الكذاب، وهو اسم لهذا الرجل المشار إليه في الشرائع "[1].

وعن سبب تسميته بالدجال قال: " إنما سمي دجالاً، لأنه يقطع الأرض، ويسير في أكثر نواحيها، يقال: دجل الرجل: إذا فعل ذلك، وقيل سمي به لتمويهه على الناس وتلبيسه، يقال: دجل: إذا لبس وموه، وقيل: هو مأخوذ من الدجل، وهو طلي الجرب بالقطران وتغطيته به، فكأن الرجل يغطي الحق ويستره "[2].

وعن سبب تسميته بالمسيح قال: " سمي مسيحاً، لأن إحدى عينيه ممسوحة لا يبصر بها، والأعور يسمى مسيحاً "[3].

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله من أن خروج الدجال من أشراط الساعة الكبرى ثابتٌ بدلالة السنة المتواترة[4]، منها أن النبي ﷺ قال: " **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ – فَذَكَرَ – الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** "[5].

وهو أول الأشراط الكبرى وقوعاً[6].

وما ذكره ابن الأثير من أن الدجال مذكور في الشرائع قبل الإسلام قد دلت عليه السنة الصحيحة، فإن النبي ﷺ قال: " **مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلّا أَنْذَر أُمّتَه الأَعْوَرْ الكذَّاب، أَلَا إِنّهُ أَعْوَر، وَإِنّ رَبَّكُم لَيْسَ بِأَعْوَر، وَإِنّ بَيْنَ عَيْنَيْه مَكْتُوبٌ كافرٌ** "[7].

وما ذكره في سبب تسمية الدجال بذلك قد ذكره علماء غيره[8].

---

(١) جامع الأصول (١٠/ ٣٣٨).

(٢) المصدر السابق (١٠/ ٣٣٨، ٣٣٩).

(٣) المصدر السابق (١٠/ ٣٣٩)، وانظر: النهاية (ص: ٨٦٩)، جامع الأصول (٤/ ٢٠٤).

(٤) انظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر– أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني– تحقيق: شرف حجازي– دار الكتب السلفية، مصر– ط٢– (ص: ٢٢٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة، حديث رقم ٢٩٠١، (ص: ١٤٢١).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٣).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، حديث رقم ٧١٣١، (٤/ ٤٦١ ).

(٨) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ٦١٧).

وما ذكره من سبب تسميته بالمسيح أن أحد عينيه ممسوحة لا يبصر بها، فقد ذكره بعض العلماء[1]، وهو ما أكدته الرواية الصحيحة والتي فيها " **وَإِنّ الدّجّال مَمْسُوح العَيْن، علَيْها ظفرَةٌ غَلِيظةٌ** "[2].

- **هل ابن صياد هو المسيح الدجال؟:**

ذكر ابن الأثير رحمه الله كلاما كثيرا حول ابن صياد، وتفصيل قوله في النقاط التالية:

اسمه عبد الله بن صياد، وأن في بعض الروايات اسمه صاف[3].

أنه رجل من اليهود أو دخيل فيهم[4].

أنه قد اختلف فيه اختلافا كثيرا، وهل هو الدجال أم لا[5].

رجح أنه مات بالمدينة، وقيل: فقد يوم الحرة فلم يجدوه[6].

وكذلك نقل عن الخطابي[7]: اختلاف الروايات في كفره، وفي توبته وإسلامه.

وكذلك الخلاف في موته هل مات بالمدينة؟ أم فقد يوم الحرة؟.

ولتوضيح ما ذكره ابن الأثير رحمه الله يقال: أما الخلاف في اسم ابن صياد: فبعض العلماء قال اسمه عبد الله بن صياد، وبعضهم قال: صاف[8]، وكل من الاسمين قد دل عليه دليل صحيح[9].

وهو رجل من اليهود، أبوه يهودي وأمه يهودية من يهود المدينة[10].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٢/ ٣١٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، حديث رقم ٧٢٦١، ٧٢٦١، (ص: ١٤٣٥).

(٣) انظر: النهاية (ص: ٥٣٢)، جامع الأصول (١٢/ ٥٣٠).

(٤) انظر: النهاية (ص: ٥٣٢).

(٥) انظر: جامع الأصول (١٢/ ٥٣٠) النهاية (ص: ٣٠٠).

(٦) انظر: النهاية (ص: ٥٣٢).

(٧) انظر: جامع الأصول (١٠/ ٣٦٤).

(٨) انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٦)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري- أبو محمد محمود بن أحمد بن بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى- دار إحياء التراث العربي ، بيروت- (٢٢/ ١٩٩).

(٩) أما تسميته بعبد الله فروى حديثه الإمام أحمد في مسنده (٢٣/ ٢١٣) وقال المحقق: إسناده على شرط مسلم، وأما تسميته بصاف فروى حديثه مسلم في حديثه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، حديث رقم ٧٢٤٩، (ص: ١٤٣٢).

(١٠) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/ ١٧٣)، النهاية في الفتن والملاحم- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي- تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز- دار الجيل، بيروت - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م-(١/ ١١٦)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ١٩٩).

واختلف الناس – الصحابة ومن بعدهم – فيه اختلافا كثيراً، هل هو الدجال؟ أم غيره؟[1]، والراجح أنه ليس الدجال[2].

قال ابن كثير رحمه الله: " ليس ابن صياد هو الدجال الأكبر وإنما هو أحد الدجالة الكبار الكثار "[3].

وأما موت ابن صياد: فقد رجح بعض العلماء أنه مات، ورجح بعضهم أنه فقد يوم الحرة[4]، والصحيح والراجح هو ما رجحه ابن الأثير أنه مات بالمدينة[5].

وأما ما نقله عن الخطابي في اختلاف الروايات في إسلامه أو كفره، فقد قال ابن كثير: " وقد قدمنا أن الصحيح أن الدجال غير ابن صياد وأن ابن صياد كان دجالاً من الدجاجلة ثم تاب بعد ذلك فأظهر الإسلام والله أعلم بضميره وسيرته "[6].

**٢ ـ خروج الدابة:**

يرى ابن الأثير رحمه الله أن الدابة التي تخرج في آخر الزمان هي من أشراط الساعة، وأن لها مكاناً تخرج منه، وكذلك لها مواصفات معينة، وأنها تميز المؤمن من الكافر.

فيقول ابن الأثير: " دابة الأرض: هي التي ذكرت في أشراط الساعة وعلاماتها، وهي دابة تخرج من جبل الصفا، يتصدع فتخرج منه، وقيل: من أرض الطائف، طولها: ستون ذراعا، وهي ذات قوائم ووبر، وقيل: هي مختلفة الخلقة، تشبه عدة من الحيوانات، معها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، وتضرب المؤمن بالعصا، وتكتب في وجهه مؤمن، وتطبع الكافر بالخاتم، وتكتب في وجهه كافر "[7].

---

(١) انظر: : لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٠٧)، شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٦).

(٢) انظر: انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٠٨)، شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٨)، البداية والنهاية (١٩/ ١٢٦)، اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة– حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري– دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – ط٢، ١٤١٤ هـ– (٢/ ٣٦٠).

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٠٧).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣٢٨)، قال ابن الأثير: " يوم الحرة: يوم معروف، وهو يوم أغزى يزيد بن بن معاوية أهل الشام المدينة، وأمرهم بنهبها وقتل رجالها، وأمر عليهم مسلم بن عقبة المري في سنة ثلاث وستين، وقال بن الكلبي: سنة اثنتين وستين والحرة: أرض ذات حجارة سود، وكانت الوقعة بها شرقي المدينة". جامع الأصول (٩/ ١٦٤).

(٥) انظر: فصل المقال في ابن صياد والدجال– د. سعد عبد الله عاشور– مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ص٣٠٥– ص٣٥٤، ٢٠٠٢– (ص: ١٨)، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٢/ ٣٦٤).

(٦) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ١٧٣)، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ١٤٩)، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٢/ ٣٦٤).

(٧) جامع الأصول (٢/ ١٣٨)، وانظر: النهاية (ص: ٢٩٥).

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله من أن خروج الدابة من أشراط الساعة الكبرى ثابتٌ بدلالة الكتاب والسنة.

أما من الكتاب:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

قال ابن كثير: " هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض ..." [١].

وأما من السنة: فقد قال النبي ﷺ: " **إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ – فَذَكَرَ – الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ** " [٢].

واختلف العلماء في معنى تكلمهم، فمنهم من قال: أي تخاطبهم مخاطبة، ومنهم من قال: أي تجرحهم يعني تكتب على جبين الكافر كافر، وعلى جبين المؤمن مؤمن، ومنهم من قال تخاطبهم وتجرحهم[٣]، قال ابن كثير عن الأخير: " وهذا القول ينتظم من مذهبين وهو قوي حسن جامع لهما لهما والله تعالى أعلم "[٤].

وأما عن مكان خروجها ففيها أقوال وأشهرها مكة.

واختلف القائلون بذلك في تحديد مكان خروجها من مكة:

فقال بعضهم من جبل الصفا، وقيل من المروة، وقيل من شعب أجياد[٥].

أما حقيقة هذه الدابة فقد اختلف العلماء فيها:

فبعضهم قال: هي من جنس الإنسان.

وقال آخرون: هي من جنس الحيوان، واختلفوا في تعيينه، فقيل: هي ثعبان كان بالكعبة، وقيل: هي فصيل ناقة صالح، وقيل: هي الجساسة.

والمشهور – وهو الحق – أنها دابة ليست من نوع الإنسان[٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢١٠).

(٢) سبق تخريجه (ص: ١٧٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٩/ ٤٩٩)، تفسير ابن كثير (٦/ ٢١١)، النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٠٨).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٠٨).

(٥) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي- تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم- مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض- ط٢، ١٤٢٥هـ- (ص: ١٢٦٧)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٤٤)، شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧)، تفسير ابن كثير (٦/ ٢١٠)، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/ ١٧٨) وما بعدها.

(٦) انظر: تفسير البغوي (٦/ ١٧٩)، شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٨)، تفسير الألوسي (١٠/ ٢٣٣).

وأما أن معها عصا موسى وخاتم سليمان، وأنها تضرب المؤمن وتكتب مؤمن، وتضرب الكافر وتكتب كافر، فقد جاء في حديث مرفوع على النبي ﷺ ولكنه ضعيف، وفيه " **تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَخْطِمُ الْكَافِرَ – قَالَ عَفَّانُ: أَنْفَ الْكَافِرِ – بِالْخَاتَمِ، وَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَا، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ عَلَى خِوَانِهِمْ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرُ** "(١).

**المطلب الثاني: عذاب القبر وفتنته:**

تحدث ابن الأثير رحمه الله عن هاتين المسألتين، وبين رأيه فيهما، وبيان ذلك التالي:

**١_ عذاب القبر:**

عقد ابن الأثير رحمه الله باباً في كتابه جامع الأصول بعنوان " فيما بعد الموت"، وذكر فيه ثلاثة فصول، ثم قال: " الفصل الأول: في عذاب القبر"(٢) وذكر تحته الأحاديث الدالة على عذاب القبر.

ومن المسائل التي طرحها وناقشها ابن الأثير رحمه الله وهي تتعلق بهذا الموضوع، هي " هل يعذب الميت ببكاء أهله عليه؟ ".

فذكر ابن الأثير رحمه الله أن في المسألة قولين، قول عائشة رضي الله عنها، وقول ابن عمر، ورجح حديث عائشة.

فقال رحمه الله في شرح حديث " **عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ يَبْكِي عَلَيْهَا أَهْلُهَا، فَقَالَ: «إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا** "(٣)": " يريد أنها تعذب بكفرها في القبر وأهلها يبكون عليها لموتها.

ومن ذهب إلى قول ابن عمر(٤) قال: إن العرب كانوا يوصون بالبكاء عليهم وبالنياحة، وقيل: إنهم كانوا يبكون عليهم ينوحون بتعديد أفعالهم، التي كانوا يفعلونها من القتل والنهب، فأراد أنهم يعذبون بما يبكون عليهم به، وذلك معصية منه ومنهم إذا فعلوا، فإن فعلوها بأمره كان عليهم معصية، كما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣/ ٣٢١) وقال المحقق: إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة النمل، حديث رقم ٣١٨٧، (ص: ٧١٩، ٧٢٠) وضعفه الألباني في الموضع نفسه.

(٢) جامع الأصول (١١/ ١٦٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب قول النّبيّ ﷺ: "يعذّب الميّت ببعض بكاء أهله عليه " إذا كان النّوح من سنّته، حديث رقم ١٢٨٩، (١/ ٣٥٨ ) .

(٤) في موضع آخر نسب هذا القول للخطابي رحمه الله ونقله عنه في شرحه حديث " الميت يعذب ببكاء أهله عليه" فقال ابن الأثير: " قال الخطابي: يشبه أن يكون هذا من حيث إن العرب كانوا يوصون أهاليهم بالبكاء، والنوح عليهم، وإشاعة النعي في الأحياء، وكان ذلك مشهورا من مذاهبهم، وموجودا في أشعارهم كثيرا، فالميت تلزمه العقوبة في ذلك لما تقدم من أمره إليهم في وقت حياته". جامع الأصول (١١/ ٩٣، ٩٤).

لو أمر بطاعة فعملت بعده كانت طاعة، وكما يؤجر هو بما هو سبب له من الطاعة، فكذلك يعذب بما هو سبب له من المعصية.

فالعمل بخبر عائشة[1] أولى، لأن خبر ابن عمر مجمل وخبرها مفسر، والمفسر يقضي على المجمل، لاسيما والحجة معها بالآية التي أوردتها، ... وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] "[2].

قال الباحث: روى البخاري رحمه الله عن المغيرة رضي الله عنه، قال: سمعت النّبيّ ﷺ يقول: " **مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ** "[3].

وروى البخاري أيضا عن ابن عمر أن النّبيّ ﷺ قال: " **إنّ المَيّت يُعَذّب فِيْ قَبْرِه بِبُكَاءِ أَهْلِه** "[4].

فهذه الأحاديث وغيرها قد رويت عن أكثر من صحابي، وفيها بيان أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه، وهو ما أنكرته عائشة رضي الله عنها.

- وفي بيان هذه الأحاديث مع قول عائشة رضي الله عنها مسائل:

**المسألة الأولى:** هل قال رسول الله ﷺ هذا الكلام، لأن عائشة أنكرته؟!.

يقول القرطبي رحمه الله: " إنكار عائشة ذلك وحكمها على الراوي بالتخطئة أو النسيان أو على أنه سمع بعضا ولم يسمع بعضا بعيد لأن الرواة لهذا المعنى من الصحابة كثيرون وهم جازمون فلا وجه للنفي مع إمكان حمله على محمل صحيح "[5].

**المسألة الثانية:** اتفق العلماء على أنه ليس المراد من هذه الأحاديث مطلق البكاء، بل المراد بالبكاء هنا النياحة ورفع الصوت.

يقول النووي رحمه الله: " وأجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم على أن المراد بالبكاء هنا البكاء بصوت ونياحة لا مجرد دمع العين "[6].

**المسألة الثالثة:** اختلفت طرائق العلماء في الجمع بين هذه الأحاديث وبين كلام عائشة رضي الله عنها، وما استدلت به من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

---

(١) وخبر عائشة وابن عمر أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم ٢٠٤٤، (ص: ٤٢٤) ، وفيه " أن عائشة رضي الله عنها وذكر لها أنّ عبد الله بن عمر، يقول: إنّ الميّت ليعذّب ببكاء الحيّ، فقالت عائشة: يغفر الله لأبي عبد الرّحمن أما إنّه لم يكذب، ولكنّه نسي أو أخطأ، إنّما مرّ رسول الله ﷺ على يهوديّةٍ يبكى عليها، فقال: "إنّهم ليبكون عليها، وإنّها لتعذّب في قبرها".

(٢) الشافي (٤٢٧/٢، ٤٢٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، حديث رقم ١٢٩١، (١/ ٣٥٨ ).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، حديث رقم ١٢٩٢، (١/ ٣٥٩).

(٥) نقله عنه ابن حجر، انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٥٤).

(٦) شرح النووي على مسلم (٦/ ٢٢٩).

يقول النووي رحمه الله: " واختلف العلماء في هذه الأحاديث: فتأولها الجمهور على من وصى بأن يبكى عليه ويناح بعد موته، فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب لقول الله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى.

وقالت طائفة هو محمول على من أوصى بالبكاء والنوح أو لم يوص بتركهما، ... فأما من وصى بتركهما فلا يعذب بهما إذ لا صنع له فيهما ولا تفريط منه.

وقالت طائفة معنى الأحاديث أنهم كانوا ينوحون على الميت ويندبونه بتعديد شمائله ومحاسنه في زعمهم وتلك الشمائل قبائح في الشرع يعذب بها كما كانوا يقولون يا مؤيد النسوان، و....

وقالت طائفة معناه أنه يعذب بسماعه بكاء أهله ويرق لهم وإلى هذا ذهب محمد بن جرير الطبري وغيره.

وقالت عائشة رضي الله عنها معنى الحديث أن الكافر أو غيره من أصحاب الذنوب يعذب في حال بكاء أهله عليه بذنبه لا ببكائهم، والصحيح من هذه الأقوال ما قدمناه عن الجمهور "(١).

ويقول ابن حجر رحمه الله كلاما جميلاً، فبعد أن ذكر اختلاف العلماء في مسألة تعذيب الميت بالبكاء عليه، وذكر كلاما كثيراً، قال: " ويحتمل أن يجمع بين هذه التوجيهات فينزل على اختلاف الأشخاص بأن يقال مثلا: من كانت طريقته النوح فمشى أهله على طريقته، أو بالغ فأوصاهم بذلك عذب بصنعه، ومن كان ظالما فندب بأفعاله الجائرة عذب بما ندب به، ومن كان يعرف من أهله النياحة فأهمل نهيهم عنها فإن كان راضيا بذلك التحق بالأول، وإن كان غير راض عذب بالتوبيخ كيف أهمل النهي؟، ومن سلم من ذلك كله واحتاط فنهى أهله عن المعصية ثم خالفوه وفعلوا ذلك كان تعذيبه تألمه بما يراه منهم من مخالفة أمره وإقدامهم على معصية ربهم. والله تعالى أعلم بالصواب "(٢).

وعليه فما رجحه ابن الأثير مخالف لجمهور العلماء، من إعمالهم حديث ابن عمر، وجمعهم بينه وبين حديث عائشة كما سبق.

**٢_ فتنة القبر:**

---

(١) شرح النووي على مسلم (٦/ ٢٢٨، ٢٢٩)، وممن ذهب لهذا القول: الإمام البخاري رحمه الله حيث يقول في صحيحه(٢/ ٧٩): " باب قول النبي ﷺ: "يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه " إذا كان النوح من سنته " لقول الله تعالى: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] وقال النبي ﷺ: "كلكم راع ومسئول عن رعيته " فإذا لم يكن من سنته، فهو كما قالت عائشة رضي الله عنها: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]".

وممن ذهب إلى هذا المذهب أيضا: الإمام الترمذي في سننه (ص: ٢٣٨)، فبعد أن روى حديث " الميّت يعذّب ببكاء أهله عليه" قال: " وفي الباب عن ابن عمر، وعمران بن حصين.: حديث عمر حديث حسن صحيح، وقد كره قوم من أهل العلم البكاء على الميت، قالوا: الميت يعذب ببكاء أهله عليه، وذهبوا إلى هذا الحديث، وقال ابن المبارك: أرجو إن كان ينهاهم في حياته أن لا يكون عليه من ذلك شيء ".

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣/ ١٥٥، ١٥٦).

ذكر ابن الأثير رحمه الله أن مما يمتحن به المؤمن ويختبر، هو اختباره وامتحانه في القبر وسؤاله من ملكين سماهم منكر ونكير.

فقال رحمه الله في شرح حديث " **أَسْمَاءَ، قَالَتْ: أَتَيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ تُصَلِّي فَقُلْتُ: مَا شَأْنُ النَّاسِ؟ فَأَشَارَتْ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا النَّاسُ قِيَامٌ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، قُلْتُ: آيَةٌ؟ فَأَشَارَتْ بِرَأْسِهَا: أَيْ نَعَمْ، فَقُمْتُ حَتَّى تَجَلَّانِي الغَشْيُ، فَجَعَلْتُ أَصُبُّ عَلَى رَأْسِي المَاءَ، فَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " مَا مِنْ شَيْءٍ لَمْ أَكُنْ أُرِيتُهُ إِلَّا رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي، حَتَّى الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَأُوحِيَ إِلَيَّ: أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ - مِثْلَ أَوْ - قَرِيبَ - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُقَالُ مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ أَوِ المُوقِنُ - لاَ أَدْرِي بِأَيِّهِمَا قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ ثَلاَثًا، فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحًا قَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُوقِنًا بِهِ. وَأَمَّا المُنَافِقُ أَوِ المُرْتَابُ - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذَلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ** "[1]: " يريد مسألة منكر ونكير، من الفتنة: الامتحان والاختبار، وقد كثرت استعاذته من فتنة القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات، وغير ذلك.

ومنه الحديث " **عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: جَاءَتْ يَهُودِيَّةٌ، فَاسْتَطْعَمَتْ عَلَى بَابِي، فَقَالَتْ: أَطْعِمُونِي، أَعَاذَكُمُ اللهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَتْ: فَلَمْ أَزَلْ أَحْبِسُهَا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ؟ قَالَ: " وَمَا تَقُولُ؟ " قُلْتُ: تَقُولُ: أَعَاذَكُمُ اللهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: " أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَّالِ: فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ، وَسَأُحَذِّرُكُمُوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ. فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَبِي تُفْتَنُونَ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ، وَلَا مَشْعُوفٍ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: فِي الْإِسْلَامِ؟ فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَان فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ: عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ. وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ: فِيمَ كُنْتَ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، فَيُقَالُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا، فَتُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ، فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُعَذَّبُ** "[2]: أي تمتحنون بي في قبوركم ويتعرف إيمانكم بنبوتي "[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة الرأس واليد، حديث رقم ٨٦، (١/ ٤٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٢/ ١٢)، وقال الأرنؤوط في تحقيقه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله من الفتنة والإمتحان في القبر: هي مساءلة الملكين " منكر ونكير "[2] للميت عن ربه، وعن دينه، وعن نبيه، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة والتي بلغت حد التواتر[3] في الدلالة على ذلك، وأجمع أئمة السلف من صحابة وتابعين ومن بعدهم على ذلك.

يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: " ونؤمن ... بعذاب القبر لمن كان له أهلا، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، وعن الصحابة رضوان الله عليهم، ... "[4].

وممن نقل الإجماع على ذلك الإمام الأشعري رحمه الله حيث يقول – وهو يعدد ما أجمع عليه السلف –: " وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم بعد أن يحيون فيها ويسألون، فيثبت الله من أحب تثبيته "[5].

ومما سبق ذكره يتبين صحة ما ذهب إليه ابن الأثير رحمه الله من أن الناس تفتن في قبورها من منكر ونكير، وتسأل عن ربها ودينها ونبيها.

**المطلب الثالث: قيام الساعة:**

تحدث ابن الأثير رحمه الله عن قيام الساعة، وذكر بعض الأحوال والأمور التي تكون عند قيامها، ولكنه لم يتوسع في بيانها، فربما عقد فصلا باسم الحادثة وذكر أحاديثها تحتها دون تفصيل أو شرح، ولذلك ما ذكره بإجمال سيذكر بإجمال، وما ذكره بتفصيل سيذكر بتفصيل.

**فأما ما أجمله:**

- **الحشر** [6].
- **الحساب والحكم بين العباد** [7].
- **الحوض والصراط والميزان**[8].
- **الشفاعة**[9].

---

(1) النهاية (ص: ٦٩١)، وانظر: جامع الأصول (٦/ ١٦٥)(٩/ ٤٧٠)(١١/ ١٧٣).

(2) تسمية الملكين بمنكر ونكير ورد في حديث عند الترمذي وفيه " قال رسول الله ﷺ: " إذا قبر الميت – أو قال: أحدكم – أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ ...". ( كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، حديث رقم ١٠٧١، (ص: ٢٥٣)، وحسنه الألباني في الموضع نفسه.

(3) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ٥١)، مفتاح دار السعادة (١/ ٤٣)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٥).

(4) متن الطحاوية (ص: ٧٢).

(5) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٥٩).

(6) انظر: جامع الأصول (١٠/ ٤٢٣).

(7) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٤٣٠).

(8) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٤٦١).

(9) انظر: المصدر السابق (١٠/ ٤٧٥).

**وأما ما فصله:**

**١ _ النفخ في الصور:**

مما ذكره ابن الأثير رحمه الله في هذه المسألة هو بيان الصور، وكذلك بين رحمه الله الملك الموكل بالنفخ في الصور، وكذلك عدد النفخات التي ينفخها الملك في الصور.

فقال رحمه الله في بيان الصور: " هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام عند بعث الموتى، إلى المحشر. وقال بعضهم: إن الصور جمع صورة، يريد صور الموتى ينفخ فيها الأرواح، والصحيح الأول، لأن الأحاديث تعاضدت عليه، تارة بالصور، وتارة بالقرن "(١).

وفي كلام ابن الأثير السابق يبين أن إسرافيل عليه السلام هو الموكل بالنفخ في الصور.

وأما عن عدد النفخات فقد بين رحمه الله انهما نفختين: الأولى للإماتة، والثانية للإحياء، وبين ذلك في بيانه معنى الراجفة والرادفة فقال: " الراجفة: النفخة الأولى التي تموت لها الخلائق، والرادفة: النفخة الثانية التي يحيون بها يوم القيامة "(٢).

وقال رحمه الله في موضع آخر: " الصيحة: صيحة إسرافيل عليه السلام ونفخه في الصور، النفخة الأولى للموت، والثانية للإحياء عند قيام الساعة، وهي القيامة "(٣).

**النفخ لغةً**: النفخ معروف، تقول: نفخت فانتفخ، ونفخ بفمه ينفخ نفخا إذا أخرج منه الريح(٤).

**النفخ اصطلاحاً**: هو نفخ مخصوص في وقت مخصوص من ملك مخصوص لما يريده الله تعالى(٥).

وأما معنى الصور:

فما رجحه ابن الأثير رحمه في معنى الصور هو الصحيح، وهو الذي دلت عليه الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة.

أما من الكتاب:

فقد قال الله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر: ٦٨].

وأما من السنة:

**فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ؟ تَقُولُ: إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: سُبْحَانَ اللهِ أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا – لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ**

---

(١) النهاية (ص: ٥٣٠).

(٢) جامع الأصول (١١/ ٥).

(٣) منال الطالب (ص١٨٣).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٧/ ١٨٦)، لسان العرب (٣/ ٦٢).

(٥) انظر: الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار- د. غالب عواجي- دار لينة، مصر- (١/ ٨٤)، ٨٤)، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري- دار إحياء التراث العربي، بيروت - ط٣ ، ١٤٢٠ هـ- (١/١٨٤).

وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ – لَا أَدْرِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا فَيَبْعَثُ اللهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ، حَتَّى تَقْبِضَهُ " قَالَ: سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ – أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ – مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ – نُعْمَانُ الشَّاكُّ – فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ "(١).

قال الإمام الطبري: " واختلف في معنى" الصور" ... فقال بعضهم: هو قرن ينفخ فيه نفختان: إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض، والثانية لنشر كل ميتٍ، ... وقال آخرون:" الصور" جمع صورة ينفخ فيها روحها فتحيا، ... والصواب من القول في ذلك عندنا، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، ... " (٢). ورجح القول الأول.

وقال الإمام الرازي عند تفسير قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ [طه: ١٠٢]: " ولا شبهة أن المراد منه يوم الحشر، ولا شبهة عند أهل الإسلام أن الله سبحانه خلق قرنا ينفخ فيه ملك من الملائكة وذلك القرن يسمى بالصور على ما ذكر الله تعالى هذا المعنى في مواضع من الكتاب الكريم ولكنهم اختلفوا في المراد بالصور في هذه الآية على قولين: ... "(٣). وذكر الأقوال التي ذكرها الطبري سابقا، وأبطل القول الثاني واحتج بأقوال كثيرة للعلماء.

وعليه فالصحيح والثابت أن الصور قرن ينفخ فيه(٤).

وأما عن الملك الذي ينفخ في الصور فهو إسرافيل عليه السلام كما ذكر ابن الأثير.

يقول ابن حجر رحمه الله: " اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام ونقل فيه الحليمي الإجماع، ... وجاء أن الذي ينفخ في الصور غيره، ... فذكر الحديث وضعف إسناده "(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال، حديث رقم ٧٢٧٥، (ص: ١٤٤٢) .

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤٦٢، ٤٦٣).

(٣) تفسير الرازي (١٣/ ٢٨، ٢٩).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/ ٢٨٩).

(٥) المصدر السابق (١١/ ٣٦٨، ٣٦٩).

وأما عن عدد النفخات التي ينفخها إسرافيل في الصور، فالراجح أنها نفختان: النفخة الأولى: للموت " نفخة الصعق "، والثانية: للإحياء " نفخة البعث ".

قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: " الصور حق وهو قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، وهما نفختان نفخة الصعق ونفخة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] "[١].

وقد سمى الله النفخة الأولى بالراجفة والثانية بالرادفة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧]، قال ابن عباس: " الرّاجفة: النّفخة الأولى، والرّادفة: النّفخة الثّانية "[٢].

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة ببيان أنها نفختان، منها قول النّبيّ ﷺ: " **بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: أَبَيْتُ وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ** "[٣].

وقد رجح جمع من أهل العلم أنها نفختان استدلالاً بهذه الأحاديث وغيرها، منهم القرطبي[٤]، وابن حجر العسقلاني[٥] رحمهما الله.

**٢_ الجنة:**

تطرق ابن الأثير رحمه الله لمعنى الجنة في اللغة، وفي الاصطلاح، وسبب تسميتها بذلك، وبين رحمه الله أنها دائمة لا نفاد لها.

فقال: " الجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة، من الاجتنان وهو الستر، لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها، وسميت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنه جنا إذا ستره، فكأنها سترة واحدة؛ لشدة التفافها وإظلالها "[٦].

وقال: " وما فيها – أي الجنة – لا نفاد له بدليل قوله تعالى: " ما له من نفاد" وبقوله عز من قائل: " اكلها دائم "[٧].

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا (٨/ ١٠٨)، وقال ابن حجر: " وصله الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن بن عباس". فتح الباري لابن حجر (٨/ ٦٩١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾، حديث رقم ٤٨١٤، ( ٣/ ٣٧٩).

(٤) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص: ٤٩٠، ٤٩١).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٦٩)، وذكر ابن حجر رحمه الله في الموضع نفسه أن من العلماء من قال هم ثلاث نفخات كابن العربي، ومنهم من قال أربع كابن حزم، وذكر أدلتهم وحكم عليها بالضعف.

(٦) النهاية (ص: ١٦٩).

(٧) الشافي (٢/ ٣١٦).

**الجنة لغةً**: الجنّة: البستان، أو الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان، وهي مشتقة من مادة جنن التي هي بمعنى الستر، جن الشيء يجنه جنا: أي ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك[(١)].

**الجنة اصطلاحاً**: دار الكرامة والنعيم التي أعد الله لأوليائه يوم القيامة[(٢)].

أما ما ذكره ابن الأثير من دوام الجنة، وأنها لا تفنى فهذا صحيح، وهو ما دلت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وهو ما أجمع عليه سلف هذه الأمة وأئمتها.

أما من الكتاب:

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

وأما من السنة:

قال النّبيّ ﷺ: " **مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ** "[(٣)].

وقال النّبيّ ﷺ أيضاً: " **يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا " فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]** "[(٤)].

يقول الإمام أحمد: " ... وأن الله خلق الجنة قبل الخلق، وخلق لها أهلا ونعيمها دائم ومن زعم أنه يبد من الجنة شيء فهو كافر... "[(٥)].

ويقول أبو جعفر الطحاوي وهو يعدد عقيدة أهل السنة:" والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان "[(٦)].

ونقل ابن تيمية رحمه الله إجماع السلف والأئمة على أن الجنة لا تفنى، فقال رحمه الله: " اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى

---

(١) انظر: الصحاح (٥/ ٢٠٩٤)، لسان العرب (١٣/ ٩٢، ١٠٠).

(٢) انظر: لسان العرب (١٣/ ١٠٠)، أضواء البيان (٧/ ٤٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، حديث رقم ٧٠٥٠، (ص: ١٣٩٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، حديث رقم ٧٠٥١، (ص: ١٣٩٤).

(٥) كلام الإمام أحمد هذا، أصله جواب سؤال سأله إياه الإمام مسدد بن مسرهد، وهذا النقل بعضا من جواب الإمام الإمام أحمد، ذكره أبو يعلى في طبقات الحنابلة– أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد– تحقيق: محمد حامد الفقي– دار المعرفة، بيروت– (١/ ٣٤٣، ٣٤٤).

(٦) متن العقيدة الطحاوية (ص: ٧٣).

بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها "[١].

**٣ـ النار " جهنم ":**

تطرق ابن الأثير رحمه الله لمعنى جهنم في اللغة، وعرفها أيضاً اصطلاحًا.

وشرح كذلك رحمه الله بعض الأحاديث المتعلقة بالنار " بجهنم "، وبين رأيه فيها، وبيان كل ذلك كالتالي:

أما ما يتعلق بتعريف جهنم لغة واصطلاحا، فقال: " جهنم: لفظة أعجمية، وهو اسم لنار الآخرة، وقيل هي عربية "[٢].

**جهنم لغةً**: جهنم: الجهنّام: القعر البعيد، وبه سميت جهنم لبعد قعرها، قيل أنها لفظة أعجمية، وقيل عربية[٣].

**جهنم اصطلاحاً**: جهنم اسم للنار التي يعذب الله بها في الآخرة[٤].

أما الأحاديث التي شرحها ابن الأثير رحمه الله وتتعلق بالنار فهي كالتالي:

- قول الرسول الله ﷺ: " **إِذَا طَلَعَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلاَةَ حَتَّى تَبْرُزَ، وَإِذَا غَابَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَدَعُوا الصَّلاَةَ حَتَّى تَغِيبَ، وَلاَ تَحَيَّنُوا بِصَلاَتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلاَ غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، أَوِ الشَّيْطَانِ** "[٥].

يقول ابن الأثير في شرحه: " قال الخطابي: قوله تطلع بين قرني الشيطان، من ألفاظ الشرع التي أكثرها ينفرد هو بمعانيها، ويجب علينا التصديق بها، والوقوف عند الإقرار بأحكامها والعمل بها، وقال الحربي: هذا تمثيل: أي حينئذ يتحرك الشيطان ويتسلط "[٦].

هذا الحديث ذكر النووي رحمه الله أن العلماء على قولين في شرحه، فقال: " اختلفوا فيه فقيل: هو على حقيقته وظاهر لفظه، والمراد: أنه يحاذيها بقرنيه عند غروبها وكذا عند طلوعها لأن الكفار يسجدون لها حينئذ فيقارنها ليكون الساجدون لها في صورة الساجدين له ويخيل لنفسه ولأعوانه أنهم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧)، وممن نقل الإجماع غير شيخ الإسلام: ابن حزم رحمه الله، حيث يقول: " اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان وأبا الهذيل العلاف وقوما من الروافض، فأما جهم فقال: أن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلهما، وقال أبو الهذيل: أن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلها إلا أن حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون". الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٦٩، ٧٠).

(٢) النهاية (ص: ١٧٧).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٢٧٣)، الصحاح (٥/ ١٨٩٢، ١٨٩٣)، لسان العرب (١٢/ ١١٢).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (٦/ ٢٧٣)، لسان العرب (١٢/ ١١٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، حديث رقم ٣٢٧٣، (٢/ ٤١٠ ).

(٦) النهاية (٢/ ٤٧٥) (ص: ٤٨٠)، وانظر: النهاية (٢/ ٣٤٣) (ص: ٤١٩)، جامع الأصول (٥/ ٢٥٨).

إنما يسجدون له، وقيل: هو على المجاز والمراد بقرنه وقرنيه: علوه وارتفاعه وسلطانه وتسلطه وغلبته وأعوانه ... والصحيح الأول "[١].

وما صححه النووي رحمه الله هو الذي يتوافق مع منهج أهل السنة والجماعة في حمل النصوص على ظاهرها كما سبق[٢].

فيا ليت الإمام ابن الأثير رحمه الله قد اقتصر على كلام الخطابي رحمه الله، ولم يذكر كلام الحربي.

وقال الإمام ابن قتيبة رحمه الله بعد أن أطال في رده على من أنكر هذا الحديث وغيره: " وهذا أمر مغيب عنا، لا نعلم منه إلا ما علمنا "[٣].

- قول الرسول ﷺ: " **ذَا اشْتَدَّ الحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلاَةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ** "[٤].

يقول ابن الأثير رحمه الله في شرحه: " الفيح: سطوع الحر وفورانه، ويقال بالواو، وقد تقدم، وفاحت القدر تفيح وتفوح إذا غلت، وقد أخرجه مخرج التشبيه والتمثيل: أي كأنه نار جهنم في حرها "[٥].

قال النووي رحمه الله في ش رحه: " قال القاضي اختلف العلماء في معناه، فقال بعضهم: هو على ظاهره، واشتكت حقيقة، وشدة الحر من وهجها وفيحها، وجعل الله تعالى فيها إدراكا وتمييزا بحيث تكلمت بهذا، ومذهب أهل السنة أن النار مخلوقة، ... وقيل ليس هو على ظاهره بل هو على وجه التشبيه والاستعارة والتقريب، وتقديره: أن شدة الحر يشبه نار جهنم فاحذروه واجتنبوا حروره، قال: والأول أظهر، قلت – أي النووي – والصواب الأول لأنه ظاهر الحديث ولا مانع من حمله على حقيقته فوجب الحكم بأنه على ظاهره والله أعلم "[٦].

ما رجحه النووي رحمه الله، وما نقله من ترجيح القاضي له هو الصواب، وهو الموافق لمنهج وقواعد أهل السنة والجماعة في حمل النصوص على ظاهرها كما سبق.

---

(١) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٢٤)، وانظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي- تحقيق: مجموعة من العلماء- مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين، القاهرة- ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م- (٥/ ٣٧).

(٢) انظر: (ص: ٧٥) وما قبلها وما بعدها.

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص: ١٩٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الإبراد بالظهر في شدة الحر، حديث رقم ٥٣٣، (١٦١/١).

(٥) النهاية (ص: ٧٢٣).

(٦) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٢٠).

ويقول ابن حجر رحمه الله في شرح الحديث: " وظاهره أن مثار وهج الحر في الأرض من فيح جهنم حقيقة، وقيل: هو من مجاز التشبيه أي كأنه نار جهنم في الحر، والأول أولى، ويؤيده الحديث الآتي " اشتكت النار إلى ربها فأذن لها بنفسين "[١]"[٢].

**٤ _ حكم من مات من أطفال المشركين:**

نقل ابن الأثير رحمه الله كلاماً طويلاً للإمام الخطابي في هذه المسألة، ونقله لكلام الخطابي يشير إلى موافقته وتبنيه لما يقول، والذي يتبناه الخطابي هو أن أطفال المشركين في حكم آبائهم.

فقال ابن الأثير رحمه الله في شرح حديث: " **سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ ذَرَارِيِّ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ** "[٣]. " قال الخطابي: ظاهر هذا الكلام يوهم أنه لم يفت السائل عنهم، وأنه رد الأمر في ذلك إلى علم الله تعالى، وإنما معناه: أنهم ملحقون في الكفر بآبائهم، لأن الله تعالى قد علم أنهم لو بقوا أحياء حتى يكبروا لعملوا عمل الكفار، ويدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها " **قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: هُمْ مِنْ آبَائِهِمْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَرَارِيُّ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: مِنْ آبَائِهِمْ قُلْتُ: بِلَا عَمَلٍ؟ قَالَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ** "[٤]"[٥].

مسألة حكم من مات من أطفال المشركين من المسائل التي حصل فيها خلاف كبير بين أهل العلم قديماً وحديثاً، وقد تباينت آراء العلماء في ذلك بسبب ورود أكثر من حديث أو أثر يدل على معنى غير الذي يدل عليه الآخر، وسيذكر الباحث الأقوال في هذه المسألة دون ذكر أدلتها، والاقتصار فقط على ذكر بعض أدلة الرأي الراجح.

وحاصل آراء العلماء في هذه المسألة على أربعة أقوال:

**القول الأول:** أنهم في الجنة، وهذا ما رجحه البخاري، وابن الجوزي، والنووي، وطائفة من أصحاب الإمام أحمد، وهو ظاهر كلام ابن حجر رحم الله الجميع[٦].

**القول الثاني:** أنهم في النار، وهذا قول الخوارج، واختاره أبو يعلى[١]، ونسبه للإمام أحمد.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة، حديث رقم ٣٢٦٠، (٢/٤٠٨)

(٢) فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٧)، وقد ذكر العيني قريبا من كلام ابن حجر، ورجح أنها على الحقيقة. انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/ ٢٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم ١٣٨٤،(١/ ٣٨٣)

(٤) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب السنة، باب في ذراري المشركين، حديث رقم ٤٧١٢، (ص: ٧٠٧)، وصححه الألباني في الموضع نفسه.

(٥) النهاية (ص: ٦٤٢)، وانظر: جامع الأصول (١٠/ ١٢٢).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٦)، مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٢)، شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٠٨). .(٢٠٨

وقال بعض العلماء أنهم في حكم آبائهم في الدنيا والآخرة، فلا يفردون عنهم بحكم في الدارين، وهذا قول الإمام الخطابي وهو الذي نقله ابن الأثير[٢].

والفرق بينه وبين من أطلق أنهم في النار، هو أن والدي الطفل إن أسلما بعد موته فإنه يلحق بهم[٣].

**القول الثالث:** أنهم يمتحنون في عرصات القيامة، فإن آمنوا دخلوا الجنة، وإن كفروا دخلوا النار، وهو الذي ذهب إليه أبو الحسن الأشعري، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم[٤].

القول الرابع: التوقف والإمساك عن الخوض في هذه المسألة مطلقاً، وهو مروي عن ابن عباس وبعض السلف[٥].

**والراجح والصواب** في هذه الأقوال بإذن الله تعالى: هو القول الثالث، وهو أن أطفال المشركين الذين ماتوا قبل سن التكليف يمتحنون في عرصات القيامة، وذلك لأدلة قوية وكثيرة.

أما أنهم ليسوا من أهل النار، فلأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: " هذا إخبار عن عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه، ... "[٦].

وأما أنه لا يحكم لهم بجنة ولا نار، وأنهم إنما يمتحنون، فلأنه وردت أحاديث صحيحة دلت على ذلك منها:

أنّ نبيّ الله ﷺ قال: " **أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا** "[٧].

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٦)، مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٢)، وقال ابن تيمية في الموضع نفسه: " فطائفة من أهل السنة وغيرهم قالوا: إنهم كلهم في النار واختار ذلك القاضي أبو يعلى وغيره وذكر أنه منصوص عن أحمد وهو غلط على أحمد".

(٢) انظر: معالم السنن (٤/ ٣٢٥).

(٣) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار السلفية، القاهرة- ط٢، ١٣٩٤هـ (ص: ٣٩٤).

(٤) انظر: الإبانة عن أصول الديانة (ص: ٣٤)، مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٢)، طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٩٦).

(٥) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٨٧).

(٦) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٢).

(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٦/ ٢٢٨)، وقال الأرنؤوط: " حديث حسن"، والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٨٧)، والبيهقي في الاعتقاد (ص: ١٦٩) وقال: وهذا إسناد صحيح، وصححه الألباني في الصحيحة (٣/ ٤١٨)،

وقد اعترض بعض العلماء على هذا المذهب: بأن الآخرة دار جزاء وليست دار عمل ولا ابتلاء، فكيف يكلفون دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين، والله لا يكلف نفسا إلا وسعها؟!.

وقد رد ابن كثير عن هذا الاعتراض فقال: " أما قوله: " إن الآخرة دار جزاء "، فلا شك أنها دار جزاء، ولا ينافي التكليف في عرصاتها قبل دخول الجنة أو النار، ... ثم ذكر أمثلة على ذلك فقال: قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ ﴾ [القلم: ٤٢]، وقد ثبتت السنة في الصحاح[١] وغيرها: أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة، وأما المنافق فلا يستطيع ذلك ويعود ظهره طبقا واحدا كلما أراد السجود خر لقفاه، ... وأما قوله: وكيف يكلفهم دخول النار، وليس ذلك في وسعهم؟، فليس هذا بمانع من صحة الحديث، فإن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط[٢]، وهو جسر على جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم، كالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، ومنهم الساعي ومنهم الماشي، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم المكدوش على وجهه في النار، وليس ما ورد في أولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم "[٣].

والحقيقة أن المسألة طويلة وكبيرة وفيها خلاف كبير، ولكل فريق دليله، وابن القيم رحمه الله في كتابه طريق الهجرتين كان أحيانا يذكر القول، ويبين قوته، ولكنه رحمه الله قال بعد ترجيحه أنهم يمتحنون: " فعلم أن الذى تدل عليه الأدلة الصحيحة وتأتلف به النصوص ومقتضى الحكمة هذا القول والله أعلم "[٤].

**٥_ رؤية الله في الآخرة:**

مما ذكره ابن الأثير رحمه الله في هذه المسألة أن الله يرى في الآخرة، وأن رؤية الله في الآخرة هي الغاية القصوى من نعيم الآخرة.

فقال رحمه الله في شرح حديث **جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا " ثمّ**

---

وذكر أكثر من طريق ورواية له، وقال ابن حجر رحمه الله: " وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة". فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٤٦).

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣]، حديث رقم ٧٤٣٩، (٤/ ٥٥٠).

(٢) حديث الصراط أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، حديث رقم ٧٤٣٧، (٤/ ٥٤٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٨).

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٤٠١).

قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩] "[١]: " لا تضامون: روي بتخفيف الميم من الضيم: الظلم، المعنى: إنكم ترونه جميعكم لا يظلم بعضكم في رؤيته، فيراه البعض دون البعض، وروي بتشديد الميم: من الانضمام والازدحام، أي: لا يزدحم بكم في رؤيته، ويضم بعضكم إلى بعض من ضيق، كما يجري عند رؤية الهلال مثلا، دون رؤية القمر، إذ يراه كل منكم موسعا عليه منفردا به "[٢].

وقال في بيان معنى رواية " لا تضارّون "[٣]: " تضارون: روي بتخفيف الراء من الضير، يقال: ضاره يضيره: إذا ضره، وروي بتشديد الراء، من المضارة، يقال: ضاره يضاره، مثل ضره يضره، والمعنى فيهما سواء، أي: لا يضايق بعضكم بعضا في رؤيته، ولا ينازعه ولا يخالفه، بل يكونون متفقين في رؤيته "[٤].

ومما ذكره في شرح الحديث: بيان معنى الكاف في قوله " كما ترون "، فقال: " قد يخيل إلى بعض السامعين أن الكاف في قوله: " كما ترون " كاف التشبيه للمرئي، وإنما هو كاف التشبيه للرؤية، وهو فعل الرائي، ومعناه: ترون ربكم رؤية ينزاح معها الشك، كرؤيتكم القمر ليلة البدر، لا ترتابون فيه ولا تمترون "[٥].

وقد بين رحمه الله أن رؤية الله في الآخرة هي الغاية القصوى فقال: " قد تقدم فيما مضى من هذا الكتاب أطراف في جملة أحاديث تتضمن ذكر الرؤية، وإنما أوردنا هاهنا أحاديث انفردت بذكر الرؤية، وجعلناها في آخر كتاب القيامة، لأنها الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجوه "[٦].

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله من رؤية الله تعالى في الجنة ثابتٌ بالكتاب العزيز، والسنة المتواترة، وإجماع العلماء من الصحابة ومن بعدهم[٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، حديث رقم ٥٥٤، (ص: ١٦٥)، وهذه رواية تشديد الميم، وأما رواية تخفيف الميم، فهي في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]، حديث رقم ٤٨٥١، ( ٣/ ٣٩٩).

(٢) جامع الأصول (١٠/ ٥٥٨).

(٣) أخرجها البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٣]، حديث رقم ٧٤٣٧، (٤/ ٥٤٩)، وهذه بتشديد الراء، وأما رواية تخفيف الراء، فهي في نفس الكتاب والباب، حديث رقم ٧٤٣٩، (٤/ ٥٥٠).

(٤) جامع الأصول (١٠/ ٤٣٩).

(٥) المصدر السابق (١٠/ ٥٥٨).

(٦) المصدر السابق (١٠/ ٥٥٧).

(٧) هذه المسألة من أشرف مسائل أصول الدين وأجلها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس المتنافسون، وحرمها الذين هم عن ربهم محجوبون، وعن بابه مردودون، وقد خصها العلماء بمزيد من العناية والتأكيد، وأن المؤمنين يرون الله بأبصارهم يوم القيامة، وردوا فيها على المعتزلة، وتحريفاتهم، ومن الكتب التي ذكرتها وأطالت في ذكرها: الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٠٢)، التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٤٤٣)، الشريعة

أما من الكتاب:

فقد قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

والشاهد من الآية: أن الله أضاف النظر إلى الوجه الذي هو محله، وكذلك عدي بأداة " إلى " الصريحة في نظر العين، وكل هذا يدل على أن الله تعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى الرب تبارك وتعالى، وهذا قول كل مفسري أهل السنة(١).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

والشاهد من الآية: أن الله تعالى قد حجب عن الكافرين رؤيته سخطا عليهم، فكان هذا دليلا على أن المؤمنين يرونه رضاً عليهم(٢).

وأما من السنة:

فقد جاءت الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ في إثباتها(٣)، وتتبعها ابن القيم رحمه الله في كتابه حادي الأرواح فبلغت ثلاثين حديثاً(٤).

---

للآجري (٢/ ٩٧٦)، رؤية الله تبارك وتعالى لابن النحاس- أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد التجيبي المصري المالكي البزار المعروف بابن النحاس- تحقيق وتخريج: د. محفوظ عبد الرحمن بن زين الله السلفي- الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، نيودلهي- ط١، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م- (ص: ١١) وما بعدها، رؤية الله- أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني- تحقيق: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي- مكتبة المنار، الأردن- ١٤١١ هـ- (ص: ٩١ - ٣٠٨)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٠٤)، الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٥١)، مجموع الفتاوى (٦/ ٤٦٩)، شرح الطحاوية (ص: ١٨٩)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٤١٩)، لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٤٣).

(١) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية - مطبعة المدني، القاهرة- (ص: ٢٩٦)، شرح الطحاوية (ص: ١٩١)، ويقول البربهاري في شرح السنة (ص: ٨٦): " واعلم أن أول من ينظر إلى الله تعالى في الجنة ... بأعين رؤوسهم كما قال رسول الله ﷺ: وذكر حديث الباب ".

(٢) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (ص: ١٠٢)، التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٤٤٣).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ٢٤٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٥٠٤)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٣٠٢).

(٤) قال رحمه الله: " الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية متواترة، رواها عنه أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير ابن عبد الله البجلي، وصهيب بن سنان الرومي، وعبد الله بن مسعود الهذلي، وعلي ابن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وعدي بن حاتم الطائي، وانس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله ابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبي ﷺ غير مسمى، فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن، وتلقاها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر، لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن، ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن

وأما الإجماع: فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات رؤية الله في الآخرة، وحكى إجماعهم غير واحد من أهل العلم(١).

أما عن ضبط تضامون وتضارون(٢):

فتضامّون بالتشديد: من الضم أي: لا ينضم بعضكم على بعض فيزاحمه، ويقول أرنيه، كما يفعلون عند النظر على الهلال، ولكن ينفرد كل منكم برؤيته.

وتضامون بالتخفيف: من الضيم: وهو الظلم أو الذل والصغار، والمعنى: أي لا يظلم بعضكم بعضا في الرؤية ولا يذل، بل تستوون في رؤيته.

وتضارّون بالتشديد: المضارّة المضايقة، والضّرر الضيق، يقال أضرني لزق بي، والمعنى: أي لا تضايقون في رؤيته.

وتضارون بالتخفيف: من ضاره مضارة أي خالفه، والمعنى: أي لا يخالف بعضكم بعضا ولا تتنازعون في رؤيته.

أما معنى الكاف في قوله " كما ترون "، فيقول النووي رحمه الله: " كما ترون هذا القمر أي ترونه رؤية محققة لا شك فيها ولا مشقة كما ترون هذا القمر رؤية محققة بلا مشقة فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي "(٣).

فالكاف في: " كما ترون ": داخلةٌ على مصدر مؤول، لأن " ما " مصدرية، وتقدير الكلام: كرؤيتكم القمر ليلة البدر وحينئذ يكون التشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، والمعنى: أنكم ترون ربكم رؤية واضحة كما ترون القمر ليلة البدر ولهذا أعقبه بقوله: " لا تضامون في رؤيته " أو: " لا تضارون في رؤيته ""(٤).

---

إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين". حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص: ٢٩٦، ٢٩٧).

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٥)، الشريعة للآجري (٢/ ٩٧٦)، مجموع الفتاوى (٦/ ٤٦٩)، شرح الطحاوية (ص: ١٨٩).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١١/ ٣١٥)، مقاييس اللغة (٣/ ٣٨٣)، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم- محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر- تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز- مكتبة السنة، مصر- ط١، ١٤١٥ – ١٩٩٥- (ص: ٢٣٠)، المغرب- ناصر بن عبد السيد أبى المكارم ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرّزىّ – دار الكتاب العربي- (ص: ٢٨٢)، لسان العرب (٤/ ٤٨٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٣٤).

(٤) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل- دار النشر المكتبة العتيقة ودار التراث- (٢/ ٦٢)، مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٤)، شرح الطحاوية – (ص: ٢١١)، شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (ص: ٦٧، ٦٨).



## المبحث الرابع: منهج ابن الأثير في الإيمان بالقضاء والقدر.

الإيمان بالقضاء والقدر من أهم أركان الإيمان، هي من تمام التوحيد، وهذا الركن من أركان الإيمان مهم ودقيق، وفيه مسائل دقيقة، وقد تطرق ابن الأثير رحمه الله لبعضها، وهي ما ستذكر وتوضح بإذن الله في المطالب الآتية:

### المطلب الأول: في تعريف القضاء والقدر والفرق بينهما.

تطرق ابن الأثير رحمه الله في هذا المطلب إلى تعريف القضاء والقدر، وإلى ذكر الفرق بينهما.

فقال رحمه الله في تعريف القضاء: " القضاء: أصله: القطع والفصل، يقال: قضى يقضي قضاء فهو قاض: إذا حكم وفصل. وقضاء الشيء: إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق "[١].

وقال في تعريف القدر: " القدر: القدر: مصدر قدر يقدر، وقد تسكن داله، وهو ما قضاه الله تعالى، وحكم به من الأمور "[٢].

وقال في بيان الفرق بينهما: " القضاء المقرون بالقدر، المراد بالقدر: التقدير، وبالقضاء: الخلق، كقوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ أي خلقهن.

فالقضاء والقدر أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما، فقد رام هدم البناء ونقضه "[٣].

**القضاء لغةً:** قال ابن فارس: " القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي أحكم خلقهن "[٤].

وأصل القضاء: من قضايٌ، لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت، ويطلق القضاء على عدة معان منها: الأمر، والأداء، والفراغ، والإعلام، والموت[٥].

**والقدر لغةً:** قال ابن فارس: " القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته "[٦].

يقال: قدرت الشّيء أقدره وأقدره من التّقدير، ويطلق القدر على عدة معان منها: الحكم، والقضاء، والطاقة، والتقدير، والتضييق[٧].

---

(١) النهاية (ص: ٧٥٩).

(٢) جامع الأصول (١/ ٢١٢).

(٣) النهاية (ص: ٧٥٩).

(٤) مقاييس اللغة (٥/ ٩٩).

(٥) انظر: الصحاح (٦/ ٢٤٦٣)، لسان العرب (١٥/ ١٨٦)، القاموس المحيط (ص: ١٣٢٥).

(٦) مقاييس اللغة (٥/ ٦٢).

(٧) انظر: الصحاح (٢/ ٧٨٦، ٧٨٧)، لسان العرب (٥/ ٧٤)، القاموس المحيط (ص: ٤٦٠).

**والمراد بالقضاء والقدر اصطلاحاً " شرعاً ":**

علم الله بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، ومشيئته سبحانه لوقوعها، وخلقه عز وجل لها على ما سبق به علمه وكتابته ومشيئته[١].

وأما عن الفرق بينهما، فقد اختلفت عبارات أهل العلم في بيان ذلك، والراجح في ذلك أن لفظي القضاء والقدر بينهما عموم وخصوص، فإذا أطلق القضاء مفرداً شمل القدر، وإذا أطلق القدر مفرداً شمل القضاء.

وأما إذا اجتمعا فالمراد بالقضاء ما يقضيه الله تعالى في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، والمراد بالقدر ما قدره الله تعالى في الأزل، فالقدر سابق والقضاء لاحق[٢].

وعليه فما ذكره ابن الأثير رحمه الله كلام سديد ووجيه في بيان العلاقة بين القضاء والقدر والفرق بينهما.

## المطلب الثاني: معنى الإيمان بالقضاء والقدر وما يتضمنه:

بين ابن الأثير رحمه الله أن الإيمان بالقضاء والقدر، هو أن تؤمن أن كل شيء في حياتك يحدث بقضاء وقدر من عند الله تعالى، فقال في شرح حديث " **كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزِ وَالْكَيْسِ، أَوِ الْكَيْسِ وَالْعَجْزِ** "[٣]: " وهو عام في أمور الدنيا والدين "[٤].

وقال في موضع آخر: " وكل ما يفعله العباد بقضاء وقدر "[٥].

وبين رحمه الله أن معنى حديث " **وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ** "[٦] ليس نفي شيء عن قضاء الله وقدره، فقال: " وليس المقصود نفي شيء عن قدرته وإثباته لها، فإن محاسن الأمور تضاف إلى الله عز وجل عند الثناء عليه دون مساوئها، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فيقال: يا رب السموات والأرض، ولا يقال: يا رب الكلاب والخنازير "[٧].

ونقل رحمه الله عن الخطابي أنه ليس معنى الإيمان بالقضاء والقدر أن الإنسان مجبر، أو مقهر، فقال: " قال الخطابي – رحمه الله –: قد يحسب كثير من الناس: أن معنى القدر من الله

---

(١) معالم السنن (٤/ ٣٢٢)، شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤)، مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨، ١٤٩)، شفاء العليل (ص: ٢٩)، فتح الباري لابن حجر (١/ ١١٨)، مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٨٠، ٨١)، القضاء والقدر– عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي– دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن– ط١٣، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥م– (ص: ٢٢).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٧٩)، القضاء والقدر للأشقر (ص: ٢٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، حديث رقم ٦٦٤٦، (ص: ١٣٠٧).

(٤) النهاية (ص: ٥٩٥).

(٥) الشافي (٢/ ٤٣٠).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم ١٦٩٦، (ص: ٣٥٥).

(٧) جامع الأصول (٤/ ٢٠٩).

والقضاء: معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وما قدره، ... وليس كذلك، وإنما معناه: الإخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد واكتسابهم، وصدورها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها "[١].

الإيمان بقضاء الله تعالى وقدره أصل عظيم من اصول الدين، وهو الركن السادس من أركان الإيمان التي بينها النبي ﷺ لجبريل[٢]، والتي لا يصح ولا يتحقق إيمان عبد إلا بها، وهو يتضمن أربعة أمور[٣]:

**الأول:** أن الله تعالى علم بكل شيء جملة وتفصيلاً، أزلا وأبدا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعال الله أو بأفعال عباده.

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ** ﴾ [آل عمران: ٥].

**الثاني:** الإيمان بأن الله جل وعلا قد كتب كل شيء في اللوح المحفوظ.

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحج: ٧٠].

وأيضا يقول النبي ﷺ: " **كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ** "[٤].

**الثالث:** الإيمان بأن كل ما في الكون فإنه بمشيئة الله، حادث بمشيئة الله – عز وجل – سواء كان ذلك مما يفعله هو عز وجل أو فيما يفعله المخلوق.

والدليل عليها قول الله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال: ﴿**وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ [الأنعام: ١٣٧].

**الرابع:** الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها.

والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال الله: ﴿ **وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [الصافات: ٩٦].

---

(١) جامع الأصول (١٠/ ١٠٤).

(٢) والحديث سبق تخريجه في بيان الفرق بين الاسلام والايمان. انظر: ( ص: ١٥٨).

(٣) باختصار مع تصرف من جواب للشيخ ابن عثيمين حول مراتب القضاء والقدر في فتاواه (٢/ ٨٠– ٨٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨، ١٤٩)، شفاء العليل (ص: ٢٩) وما بعدها، جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٣).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم ٦٦٤٣، (ص: ١٣٠٦).

ومما سبق يتبين أن ما ذكره ابن الأثير رحمه الله وما أشار إليه في معنى الإيمان بالقضاء والقدر لا يخرج عما قرره أهل السنة والجماعة.

**المطلب الثالث: أفعال العباد:**

يرى ابن الأثير رحمه الله أن أفعال العباد من خلق الله تعالى خيرها وشرها، ومن كسب العباد، فيقول في اثناء رده على المعتزلة: " والله تعالى خالقهما – أي الخير والشر – معا، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته، فهما مضافان إليه، خلقاً وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما، عملاً واكتساباً "[١].

وقال رحمه الله في شرح حديث " **لَيْسَتِ السَّنَةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا، وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا، وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئًا** "[٢]: " والمراد بهذا الحديث: نسبة الأشياء على خالقها وموجدها المنعم بها، فهو المعطي والمانع والخالق والرازق، فالكل منه وإليه، فليس للمطر عمل في الإنبات، إنما الإنبات بأمر الله، تمطر ولا تنبت، وتنبت ولا تمطر، ومن ها هنا ضل خلق كثير من الناس حيث نسبوا الأشياء إلى الأسباب والوسائط، وقطعوا النظر عن المسبب الأول القادر المريد المختار، وحتى تمادى لطريق منهم الضلال والعمى، فقالوا: إن النار تحرق بطبعها، والماء يروي بطبعه، والخبز يشبع بطبعه.

والذي ذهب إليه أهل الحق والإيمان: أن هذه كلها وسائط وأسباب أجرى الله العادة عند مباشرتها أن تحدث هذه الأحوال، والله سبحانه بلطفه وقدرته يخلق الشبع عند أكل الخبز، والري عند شرب الماء، والإحراق عند ملاقاة النار، فلو لم يرد الله وجود هذه الأشياء لوقع الإضمان ولم توجد الآثار – تبارك الله عما يقول الظالمون – "[٣].

ويقول في موضع آخر: " من عوائد الله تعالى في خلقه تعليق الأحكام بالأسباب، وترتيب الحوادث على العلل، وهذه سنة في خلقه مطردة، وحكمته في ملكه مستمرة، وإن كان قادرا على إيجاد الأشياء اختراعا وابتداعاً، لا عن تقدم إسباق وسبق علل، بأن يشبع الإنسان من غير أن يأكل، ويرويه من غير شرب، وينشئ الخلق من غير جماع، وينبت من غير ماء، وغير ذلك من الأشياء، لكنه أجرى العادة أن الشبع يحصل عقيب الأكل بخلقه في الأكل، والري عقيب الشرب، والولد عقيب الجماع، ... فإنه وإن كان هو الذي يأتي بالرزق ولكن قدر مجيئه بنوع من السعي رفيق، وحال من الطلب جميلة، ... "[٤].

اختلف أهل السنة مع غيرهم من المذاهب والفرق في أفعال العباد وعلاقتها بالقدر – أي بتعلقها بالله من حيث خلقه لها وعدمه – من جانب، وبقدرة العباد ومشيئتهم لها من جانب آخر.

---

(١) النهاية (ص: ٨٥٧)، وانظر: جامع الأصول (١٠/ ١٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في سكنى المدينة وعمارتها قبل الساعة، حديث رقم ٧١٨٥، (ص: ١٤٢١).

(٣) الشافي (٢/٣٥٨).

(٤) المصدر السابق (٥/٥٤٨).

أما أهل السنة والجماعة فقالوا: إن أفعال العباد كلها من خير وشر، وطاعة ومعصية، مخلوقة لله تعالى، وأن العباد لهم قدرة على أفعالهم، وأنهم فاعلون لها على الحقيقة، وهي منسوبة إليهم، وعلى ذلك فهم يستحقون عليها الثواب والعقاب، أو الذم والمدح.

فجمع أهل السنة في قولهم هذا بين أفعال العباد وتعلقها بالله، وأفعال العباد وتعلقها بهم، وقالوا بكلا الجهتين، لدلالة النصوص القرآنية على ذلك.

أما دلالة نصوص القرآن على خلق الله لأفعال العباد: فقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وأما دلالة نصوص القرآن على قدرة العباد على أفعالهم: فقد قال الله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤] [(١)].

وقد خالف أهل السنة والجماعة في ذلك عامة الطوائف والفرق.

أما الجهمية: فأثبتوا خلق الله لأفعال العباد، ونفوا قدرة العباد عليها، وسووا بين أفعالهم الاختيارية وأفعالهم الاضطرارية[(٢)].

وأما المعتزلة " القدرية ": فنفوا خلق الله لأفعال العباد، وقالوا بأن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم، واثبتوا قدرة العباد المطلقة على أفعالهم[(٣)].

وأما الأشعرية[(٤)] فأرادت أن تتوسط بين المعتزلة والجبرية فأحدثت نظرية الكسب، وحارت أفهامهم في تصورها، واضطربت أقوالهم في التعبير عنها وتعريفها[(٥)].

---

(١) انظر: خلق أفعال العباد (ص: ٤٦) وما بعدها، شرح السنة للبغوي (١/ ١٤٢-١٤٤)، مجموع الفتاوى (٣/ ٣٧٣، ٣٧٤)(٨/ ١١٨-١٢٠)، منهاج السنة النبوية (٣/ ١١٠)، شفاء العليل (ص: ١٠٩) وما بعدها، شرح الطحاوية - (ص: ٤٣٧، ٤٣٨)، القضاء والقدر للأشقر (ص: ٩٧).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٩)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٥، ٨٧)، الفرق بين الفرق (ص: ١٩٩).

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٨١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٣٨)، غاية المرام في علم الكلام- أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي- تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة- (ص: ٢٠٦)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٣٢)، التبصير في الدين (ص: ٦٤)، مجموع الفتاوى (٨/ ١١٨).

(٤) الأشاعرة: هم المنسوبون إلى أبي الحسن الأشعري في دوره الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، وعامتهم يثبتون سبعة صفات ( وهي العلم والكلام والحياة والإرادة والسمع والبصر والقدرة) وينفون الباقي، ولهم عقائد أخرى يخالفون بها أهل السنة. انظر الملل والنحل للشهرستاني (ص: ٩٤) وما بعدها، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٤٩٣).

(٥) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٧)، غاية المرام في علم الكلام (ص: ٢٠٧، ٢٢١)، ولذلك اعتبره بعض العلماء من الأمور التي لا تعقل، فيقول ابن القيم في شفاء العليل (ص: ٥٠): " فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمرا معقولا ولهذا يقال محالات الكلام ثلاثة كسب الأشعري وأحوال أبي هاشم وطفرة النظام".

وخلاصتها أن الكسب هو الاقتران العادي بين قدرة العبد الحادثة وفعله الواقع بقدرة الله وحدها[1].

وبناء على ذلك قالوا: إن أفعال العباد خلق لله وكسب للعباد، وليس لقدرة العباد المخلوقة فيه أي أثر في فعله أو في حدوث مقدورها، ولكن الفعل يحدث عندها لا بها[2].

والذي يتأمل في كلام ابن الأثير غفر الله لنا وله السابق يظهر له موافقته لهم فيما قالوه وذهبوا إليه.

- **والرد على نظرية الكسب عند الأشاعرة وبيان بطلانها يكون بأمور منها:**

**١_** أن القول بالكسب بهذا المعنى قول حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة؛ فلم يعرف القول به إلا في زمن الأشعري[3].

**٢_** أن القول بالكسب بهذا المعنى قول متناقض؛ إذ القائل به لا يستطيع أن يوجد فرقا بين الفعل الذي نفاه عن العبد، والكسب الذي أثبته له، ولهذا فإن القائل بالكسب يؤول كلامه للقول بالجبر[4].

**٣_** أن مما استقر في فطر الناس أن من فعل العدل فهو عادل، ومن فعل الظلم فهو ظالم، ومن فعل الكذب فهو كاذب، فإذا لم يكن العبد فاعلا لكذبه وظلمه وعدله بل الله فاعل ذلك؛ لزم أن يكون الله هو المتصف بالكذب والظلم – حاشا لله– [5].

**٤_** أن النصوص الشرعية قد دلت على خلق الله لأفعال العباد وإثبات القدرة لهم عليها، ونسبتها لهم حقيقة، واستحقاقهم المدح والذم والثواب والعقاب عليها، وقد سبق ذكر ذلك.

**٥_** أن القول بالكسب بهذا المعنى قول لا حقيقة له ولا حاصل تحته، ولهذا شنع مخالفوا الأشاعرة به عليهم، وعد بعض علماء الأشاعرة زلة تورط فيها أصحاب الأشعري[6].

٦_ أن كبار العلماء من الأشاعرة اضطربت أقوالهم في بيان الكسب، فمنهم من نحا إلى التصريح بما يؤول إليه الكسب وهو الجبر، ومنهم من اقترب على مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، ومنهم من سعى على النهوض بالمذهب الاشعري من زلته وتوجيه قول إمامه بما لا يوافقه عليه أصحابه من الأشاعرة[7].

---

(١) نقله ابن القيم في شفاء العليل (ص: ١٢٢) عن بعض متأخري الأشاعرة دون تعيينه، واستحسنه في بيان قولهم وتلخيص اختلافهم.

(٢) انظر: : الاعتقاد للبيهقي (ص: ١٤٣)، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٩٧)، منهاج السنة النبوية (٣/ ١١٢).

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية (٣/ ١٠٩).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١١٨)، منهاج السنة النبوية (٣/ ١١٣)

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١١٩، ١٢٠).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١١٩)، منهاج السنة النبوية (٣/ ١٠٩)، شفاء العليل (ص: ١٢٢).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٨)، شفاء العليل (ص: ١٢٢).

وعليه فما ذكره ابن الأثير رحمه الله من نظرية الكسب وتقريرها بما ذكر، يكون بذلك مخالفا لأهل السنة والجماعة فيما ذكروه وأصلوه.

**المطلب الرابع: الاحتجاج بالقدر على المعاصي:**

ينقل ابن الأثير رحمه الله عن الخطابي بيان أنه لا يحتج بالقدر على المعاصي، ويوجه حديث آدم مع موسى، فيقول ابن الأثير رحمه الله: " قال الخطابي رحمه الله : قد يحسب كثير من الناس: أن معنى القدر من الله والقضاء: معنى الإجبار والقهر للعبد على ما قضاه وما قدره، ويتوهم أن قوله: ﷺ: " **فَحَجَّ آدَمُ مُوْسَى** "[1] من هذا الوجه، ... وإنما كان موضع الحجة لآدم عليه السلام على موسى عليه السلام: أن الله سبحانه كان قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة، ويأكل منها، فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه، وأن يبطله بعد ذلك؟ وبيان هذا في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: ٣٠] فأخبر قبل كون آدم أنما خلقه للأرض، وأنه لا يتركه في الجنة حتى ينقله عنها إليها، وإنما كان تناوله الشجرة سببا لوقوعه إلى الأرض التي خلق لها، وليكون فيها خليفة وواليا على من فيها، وإنما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى، ودفع لائمة موسى عن نفسه، ولذلك قال: " **أَتَلُوْمَنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيّ قَبْل أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِين سَنَةً؟** " فقول موسى – وإن كان منه في النفوس شبهة، وفي ظاهره متعلق، لاحتجاجه بالسبب الذي جعل أمارة لخروجه من الجنة – فقول آدم في تعلقه بالسبب الذي هو بمنزلة الأصيل أرجح وأقوى "[2].

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله من أنه لا يحتج بالقدر على المعاصي كلام صحيح، فالاحتجاج بالقدر على المعاصي باطلٌ شرعا وعقلا، ووقوع المعاصي من العبد لا ينافي وجوب الإيمان بالقضاء والقدر[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين وسائر أهل الملل وسائر العقلاء؛ فإن هذا لو كان مقبولا لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال وسائر أنواع الفساد في الأرض ويحتج بالقدر.

ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه بل يتناقض وتناقض القول يدل على فساده؛ فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول "[4].

وأما من يحتج بوقوع المعاصي منه بحديث محاجّة آدم لموسى، فليس له فيه حجة ولله الحمد، ولا أدنى متعلق كما سيأتي.

وقد اختلف الناس في هذا النص النبوي على مذاهب، وكثرت إجاباتهم عنه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، حديث رقم ٦٦١٤، (٤/٣١٥ ).

(٢) جامع الأصول (١٠/ ١٠٤، ١٠٥).

(٣) انظر: التمهيد (١٨/ ١٥)، مجموع الفتاوى (٨/ ٢٦٢) وما بعدها، منهاج السنة النبوية (٣/ ٦٥) وما بعدها، شفاء العليل (ص: ٢٤– ٢٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٨/ ١٧٩).

والصحيح في وجه عدم دلالة الحديث لمن يحتج بالقدر على المعاصي، أنه يحتمل أحد أمرين:

**أحدهما:** أن يكون احتجاج آدم بالقدر قائم على احتجاجه على المصيبة لا على المعصية، والاحتجاج بالقدر على المصائب جائز دون المعايب.

**وثانيهما:** أن يكون احتجاج آدم بالقدر على المصيبة، ولكن احتجاجه بالقدر كان بعد وقوعه في المعصية وتوبته منها.

والإجماع قائم على جواز الاحتجاج بالقدر في هاتين الحالتين بخلاف ما دونهما، وعليهما يحمل الحديث[1]. والله أعلم.

ومما سبق يعلم صحة ما نقله ابن الأثير رحمه الله عن الخطابي وموافقته للسلف من بطلان الاحتجاج بالقدر على المعاصي، وتوجيه حديث احتجاج آدم عليه السلام على موسى عليه السلام، وإن اختلفت العبارة وتنوعت الإشارة، وبالله وحده التوفيق والتسديد.

---

(١) انظر: التمهيد (١٨/ ١٥)، مجموع الفتاوى (٨/ ٣١٩)، شفاء العليل (ص: ١٧، ١٨)، شرح الطحاوية (ص: ١٤٧).

# الفصل الثالث

# منهج ابن الأثير في الكلام على البدع والفرق المبتدعة

**وفيه أربعة مباحث:**

**المبحث الأول: تعريف البدعة لغة واصطلاحاً.**

**المبحث الثّاني: أقسام البدعة.**

**المبحث الثالث: الصلاة خلف المبتدع.**

**المبحث الرابع: الكلام على بعض الفرق المبتدعة.**

## الفصل الثالث: منهج ابن الأثير في الكلام على البدع، والفرق المبتدعة.

من أصول أهل السنة والجماعة إنكار البدع في الدين، والدعوة إلى الاعتصام والتمسك بالكتاب والسنة وما سار عليه سلف هذه الأمة.

وقد عقد هذا الفصل لبيان منهج ابن الأثير رحمه الله رحمة واسعة في بعض المسائل المتعلقة بالبدعة والفرق المبتدعة، وهو ما سيذكر بإذن المولى في المباحث الآتية:

### المبحث الأول: تعريف البدعة لغة واصطلاحاً:

بين ابن الأثير رحمه الله معنى البدعة في اللغة، وفي اصطلاح الشرع، فقال: " البدعة الشيء المبتدع الذي لم يسبق إليه، وهو في الشرع: كل ما لا يوافق السنة، ولم تجر به عادة من عوائد الشرع "[1].

**البدعة لغةً:** قال ابن فارس: " الباء والدال والعين أصلان: أحدهما ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، والآخر الانقطاع والكلال، فالأول قولهم: أبدعت الشيء قولا أو فعلا: إذا ابتدأته لا عن سابق مثال....، والأصل الآخر قولهم: أبدعت الراحلة: إذا كلت وعطبت "[2].

وكل تعريفات أهل اللغة تدور حول: ابتداء واختراع شيء لا عن مثال سابق[3].

**البدعة اصطلاحاً:** اختلفت عبارات الناس سلفا وخلفا في تعريف البدعة في الشرع، تبعا لاختلاف تصورهم لماهية البدعة المنهي عنها، وتنوع مشاربهم، ولكن مع اختلاف ألفاظ العلماء في تعريفها إلا أن مضمونها واحد، وتتفق كلياً أو جزئياً مع بعضها[4].

ومن هذه التعريفات الكلية الجامعة، ما ذكره الشاطبي[5] رحمه الله في كتابه الاعتصام في تعريف البدعة حيث قال: " البدعة: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشريعة، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية "[6].

---

(١) جامع الأصول (٣/ ٣٨٠).

(٢) مقاييس اللغة (١/ ٢٠٩، ٢١٠).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (٢/ ١٤٣)، الصحاح (٣/ ١١٨٣)، لسان العرب (٨/ ٦).

(٤) انظر: الحوادث والبدع – محمد بن الوليد بن محمد بن خلف القرشى الفهرى الأندلسي، أبو بكر الطرطوشى المالكي– تحقيق: علي بن حسن الحلبي– دار ابن الجوزي– ط٣، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م– (ص:٣٩، ٤٠)، مجموع الفتاوى (٤/ ١٠٧، ١٠٨)، الاعتصام– إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي– تحقيق: سليم بن عيد الهلالي– دار ابن عفان، السعودية– ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م– (١/ ٤٩) وما بعدها، جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٧)، حقيقه السنة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع– عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي– تحقيق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني– مطابع الرشيد– ١٤٠٩ هـ– (ص: ٨٨).

(٥) هو: الإمام الأصولي الحافظ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، له مؤلفات عديدة، منها: الموافقات في أصول الفقه، وأصول النحو، توفي رحمه الله سنة ٧٩٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١/ ٧٥).

(٦) الاعتصام (١/ ٥١).

- فقد تضمن هذا التعريف ضوابط البدعة، وهي:

**الأول:** مخترعة ومحدثة

**الثاني:** ليس لها لا أصل ولا مستند شرعي.

**الثالث:** يقصد بها التعبد بها(١).

ومما سبق يتضح موافقة ابن الأثير رحمه الله لغيره من العلماء في تعريف البدعة، والإشارة إليها، مع أهمية إضافة قيد التعبد بالبدعة إلى تعريفه فإنه مهم.

---

(١) انظر: البدع وآثارها السيئة- عبد الكريم مراد- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السنة السابعه عشر - العددان (الخامس والستين ، السادس والستين) - محرم -جماد الأخرة ١٤٠٥هـ- (ص: ٩٨، ٩٩).

## المبحث الثاني: أقسام البدعة:

يرى ابن الأثير رحمه الله أن البدع على قسمين: منها ما هو محمود، ومنها ما هو مذموم، فيقول في ذلك: " الابتداع من المخلوقين، فإن كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله، فهو في حيز الذم والإنكار، وإن كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه، وحض عليه أو رسوله، فهو في حيز المدح، وإن لم يكن مثاله موجودا، كنوع من الجود والسخاء، وفعل المعروف، فهذا فعل من الأعمال المحمودة لم يكن الفاعل قد سبق إليه؛ ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأن رسول الله ﷺ، قد جعل له في ذلك ثوابا فقال: " **مَنْ سَنَّ سُنّة حَسَنَة، كَانَ لَهُ أَجْرُها وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا** " وقال في ضده: " **مَنْ سَنّ سُنّة سَيّئَة، كَانَ عَلَيْه وِزْرُها وَوِزْر مَنْ عَمِل بِهَا** "[١]، وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله، ويعضد ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلاة التراويح: " نعمت البدعة هذه "[٢] لما كانت من أفعال الخير، وداخلة في حيز المدح، سماها بدعة ومدحها، وهي وإن كان النبي ﷺ قد صلاها إلا أنه تركها، ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس عليها، فمحافظة عمر عليها، وجمعه الناس لها، وندبهم إليها بدعة، لكنها بدعة محمودة ممدوحة"[٣].

وقال في موضع آخر: " البدعة بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به؛ لأن النبي ﷺ قد جعل له في ذلك ثوابا فقال " **مَنْ سَنَّ سُنّة حَسَنَة، كَانَ لَهُ أَجْرُها وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا** "، وقال في ضده " ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها "، وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ، ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: " **نِعْمَت البِدْعةُ هَذِه** " لما كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح سماها بدعة ومدحها؛ لأن النبي ﷺ لم يسنها لهم، وإنما صلاها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع الناس لها، ولا كانت في زمن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلال، حديث رقم ٢٢٤٠، (ص: ٤٦٢) بلفظ " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ ".

(٢) أخرجه مالك في الموطأ= موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي- تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف- المكتبة العلمية- ط٢- (ص: ٩١)، والمروزي في قيام رمضان (ص: ٢١٨)، والبيهقي في السنن الصغير= السنن الصغير- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي- تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي- جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان- ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م- (١/ ٢٩٥)، وصححه الألباني في صلاة التراويح= صلاة التراويح- محمد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض- ط١ - ١٤٢١هـ- (ص: ٤٩).

(٣) جامع الأصول (١/ ٢٨٠، ٢٨١)، وانظر: جامع الأصول (٣/ ٣٨٠).

أبي بكر، وإنما عمر رضي الله عنه جمع الناس عليها وندبهم إليها، فبهذا سماها بدعة، وهي على الحقيقة سنة، لقوله ﷺ: " **عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي** "[1]، وقوله: " **اقْتَدُوا بِالَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ** "[2]"[3].

قال الباحث: جاءت النصوص الكثيرة الصريحة والصحية الدالة على أن كل البدع سيئة، ليس فيها شيء حسن أو محمود، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٥٣].

قال الشاطبي رحمه الله: " فالصراط المستقيم هو سبيل الله الذي دعا إليه، وهو السنة، والسبل هي سبل الاختلاف الحائدين عن الصراط المستقيم، وهم أهل البدع، وليس المراد سبل المعاصي؛ لأن المعاصي من حيث هي معاص لم يضعها أحد طريقا تسلك دائما على مضاهاة التشريع، وإنما هذا الوصف خاص بالبدع المحدثات "[4].

_ وقال الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ ۚ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل: ٩].

فالسبيل القصد هو طريق الحق، وما سواه جائر عن الحق؛ أي: عادل عنه، وهي طرق البدع والضلالات، أعاذنا الله من سلوكها، فالسياق يدل على التحذير والنهي[5].

وأيضاً قول النبي ﷺ: " **مَنْ أَحْدَثَ فِيْ أَمْرِنَا هَذَا مَاْ لَيْسَ فِيْهِ، فَهُوَ رَدٌّ** "[6].

قال النووي رحمه الله: " هذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في ابطال المنكرات واشاعة الاستدلال به "[7].

_ وكذلك قول النبي ﷺ: " **كَلُّ بِدْعَةٍ ضَلَاْلَةٍ** "[8].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم ٤٢، (ص: ٢٠)، و أحمد في المسند (٢٨/ ٣٧٣) وقال الشيخ الأرنؤوط في تحقيقه: حديث صحيح، والدارمي في سننه (١/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨/ ٢٨٠) وقال الشيخ الأرنؤوط في تحقيقه: حديث حسن بطرقه وشواهده، والآجري في الشريعة (٤/ ١٨٧٢)، والطبراني في المعجم الكبير(٩/ ٧٢)، والترمذي في سننه، كتاب أبواب المناقب، باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حديث رقم ٣٦٦٢، (ص: ٨٣٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣/ ٢٣٣).

(٣) النهاية (ص: ٦٧)، وانظر: جامع الأصول (١/ ٢٨٠، ٢٨١)(٦/ ١٢٢، ١٢٣).

(٤) الاعتصام (١/ ٧٦).

(٥) انظر: الاعتصام (١/ ٧٨)، تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٠).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا أصلحوا على صلح جور فهو مردود، حديث رقم ٢٦٩٧،(٢/ ٢٣٦).

(٧) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٦)، وقال الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار (٢/ ٩٣): " هذا الحديث من قواعد الدين؛ لأنه يندرج تحته من الأحكام ما لا يأتي عليه الحصر. وما أصرحه وأدله على إبطال ما فعله الفقهاء من تقسيم البدع إلى أقسام ".

(٨) سبق تخريجه (ص: ج).

يقول ابن رجب رحمه الله: " قوله ﷺ: " **كُلّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٍ** " من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين "[1].

فالنصوص جاءت مطلقة عامة على كثرتها، لم يقع فيها استثناء ألبتة، ولم يأت فيها ما يقتضي أن منها ما هو هدى، ولا جاء فيها: كل بدعة ضلالة إلا كذا وكذا، ولا شيء من هذه المعاني، فلو كان هنالك محدثة يقتضي النظر الشرعي فيها الاستحسان أو أنها لاحقة بالمشروعات؛ لذكر ذلك في آية أو حديث، لكنه لا يوجد، فدل على أن تلك الأدلة بأسرها على حقيقة ظاهرها من الكلية التي لا يتخلف عن مقتضاها فرد من الأفراد[2].

وقد أجمع سلف هذه الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على ذم البدع صغيرها وكبيرها، والتحذير منها، والنهي عن مجالسة أصحابها، ولم يعلم عن السلف توقف في شأن شيء من البدع فضلاً عن القول باستحسانها، فهو بحسب الاستقراء إجماع ثابت يدل دلالة واضحة على أن البدع كلها سيئة ليس فيها شيء حسن[3].

وعليه فما قرره ابن الأثير رحمه الله أن البدع قسمان محمودة ومذمومة، أو بدعة هدى وبدعة ضلال غير صحيح.

وأما ما ذكره عن عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح وجمع الناس، وأنه مثال على البدع المحمودة، أو المذمومة، فجوابه كالتالي:

**أولاً:** أن جمع عمر رضي الله عنه ليس بدعة، بل هو مأخوذ من فعل النبي ﷺ قبله، فهو سنة بقول رسول الله ﷺ، وفعله في الجماعة، **فعن عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي المَسْجِدِ، فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ القَابِلَةِ، فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: «قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الخُرُوجِ إِلَيْكُمْ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ** "[4].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

(٢) انظر: الاعتصام (١/ ١٨٧)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- تقي الدين أبو العباس أحمد أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي- تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل- دار عالم الكتب، بيروت- ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م- (٢/ ٨٤).

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٤)، الاعتصام (١/ ١٨٧)، حقيقه السنة والبدعة (ص: ٧٥)، تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس- عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ- تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم- دار العصمة- ط٢، ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠م- (ص: ١٣٧)، حقيقة البدعة وأحكامها- سعيد بن ناصر الغامدي- مكتبة الرشد، الرياض- (١/٧٣، ١٨٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل، حديث رقم ١١٢٩، (١/ ٣١٤ ).

فبين النبي ﷺ العلة التي من أجلها ترك صلاة التراويح ولم يخرج إليهم، وهو رأفته بأمته، وخشية أن تفرض عليهم[١].

**ثانيًا:** أن قول عمر رضي الله عنه: " نعمت البدعة هذه " المراد به البدعة بالمعنى اللّغوي لا بالمعنى الشرعي، إذ صلاة التراويح جماعة قد ثبت فعلها من النبي ﷺ – كما سبق – فإطلاق البدعة عليها بمعناها الشرعي لا يصح، ولكن لما فعلت في عهد النبي ﷺ، ثم تركت للعلة المذكورة سابقا، ثم لم تفعل في عهد أبي بكر، ثم فعلت في عهد عمر بعد صح إطلاق لفظ البدعة عليها بالمعنى اللغوي إذ ليس لها مثال سابق[٢].

يقول ابن رجب رحمه الله: " وأما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية، لا الشرعية، فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك فقال: نعمت البدعة هذه، ... ومراده أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يرجع إليها "[٣].

**ثالثًا:** لو أفترض أن فعل عمر رضي الله عنه ليس له دليل من القرآن أو السنة، وأنه لا يصح صرف معنى قوله إلى المعنى اللغوي، فإن فعله رضي الله عنه محل اقتداء، لكونه من الخلفاء الراشدين الذين أمر النبي ﷺ بالتزام سنتهم حيث قال: " **عَلَيْكُم بِسُنّتي وَسُنّة الْخُلَفَاءِ الرّاشِدِيْن الْمَهْديّين مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذ** "[٤]، وكذلك قول النبي ﷺ: " **اقْتَدُوا بِاللّذَينِ مِنْ بَعْدِي، أَبِي بَكْرٍ وَعُمَر** "[٥].

وهذا الأمر صادر ممن أمر النبي ﷺ باتباعهم والسير على خطاهم، ونص على ذلك، والناس قد اجتمعوا عليه في عهد عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين[٦].

وإلى هذا أشار ابن الأثير رحمه الله، ووافق الصواب فيه، ولكن خطأه في تقسيم البدع كما سبق وذكر.

---

(١) انظر: الحوادث والبدع (ص: ٥١) وما بعدها، مجموع الفتاوى (٢٢/ ٢٣٤)، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٩٦، ٩٧)، الاعتصام (١/ ٢٤٩).

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٦٥)، مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٧١)، الاعتصام للشاطبي (١/ ٢٥٠)، حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٤١٦)، علم أصول البدع- علي حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي- ١٤٢٣-٢٠٠٢م- (ص١٢٦، ١٢٧).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

(٤) سبق تخريجه (ص: ٢٠٩).

(٥) سبق تخريجه (ص: ٢٠٩).

(٦) انظر: جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٩)، حقيقة البدعة وأحكامها (١/ ٤٢٠).

**المبحث الثالث: الصلاة خلف المبتدع:**

يرى ابن الأثير رحمه الله كراهة الصلاة خلف من يرتكب الكبائر، ومن يظهر البدع في الدين، ويطعن في السلف، فقال رحمه الله: " ... الفاسق من المسلمين بارتكاب الكبائر وإظهار البدع في الدين، والطعن على السلف الصالحين من الخوارج والقدرية والمرجئة، والداعي على هواه ومن يجري مجراهم، تكره الصلاة خلفه، فإن صلى صحت صلاته.

وقال أحمد: من صلى خلف الجهمي يعيد، والمرجئ إذا كان داعياً إلى هواه لا يصلى خلفه، والقدري إذا كان يرد الأحاديث يعيد من صلى خلفه.

قال ابن المنذر[(١)]: كل من أخرجته بدعته إلى الكفر لم تجز الصلاة خلفه، ومن لم يكن كذلك فالصلاة خلفه جائزة، ولا يقدّم من هذه صفته "[(٢)].

- تفصيل العلماء في هذه المسألة يقوم على أمرين:

**الأمر الأول:** إن كانت البدعة مكفرة أو غير مكفرة:

فإن كانت البدعة مكفرة فأكثر العلماء أنه لا تجوز الصلاة خلف من هذا حاله.

وأما إن كانت البدعة غير مكفرة فهذا تصح الصلاة خلفه مع الكراهة[(٣)].

قال النووي رحمه الله: " وكذا تكره وراءه المبتدع الذي لا يكفر ببدعته وتصح فإن كفر ببدعته فقد قدمنا أنه لا تصح الصلاة وراءه كسائر الكفار "[(٤)].

**الأمر الثاني:** إن تمكن من الصلاة خلف غير هذا الإمام المبتدع:

اتفق أهل السنة والجماعة على جواز الصلاة خلف أئمة البدع الدعاة إلى بدعهم، إن لم يتمكن إقامتها خلف غيرهم من أهل السنة.

---

(١) هو: الإمام الحافظ العلامة الفقيه محمد بن إبراهيم بن المنذر، أبو بكر النيسابوري الشافعي، صاحب التصانيف، منها: المبسوط في الفقه وهو كتاب جليل، وكتاب الإجماع وكان على نهاية من معرفة الحديث والاختلاف، وكان مجتهدا لا يقلد أحدا، توفي رحمه الله سنة ٣١٨هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٢٣/ ٥٦٨).

(٢) الشافي (٢/ ١٢، ١٣)

(٣) انظر: رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (ص: ١٦٩)، أصول السنة لابن أبي زمنين (ص: ٢٨٢)، شرح السنة للبربهاري (ص: ١٠٤)، المغني- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي- مكتبة القاهرة- ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م- (٢/ ١٣٩، ١٤٠)، مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٣، ٣٥٥).

(٤) المجموع شرح المهذب- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- دار الفكر- (٤/ ٢٥٣)، وقال ابن قدامة رحمه الله في المغني (٢/ ١٤٦): " وجملته أن الكافر لا تصح الصلاة خلفه بحال سواء علم بكفره بعد فراغه من الصلاة، أو قبل ذلك، وعلى من صلى وراءه الإعادة".

يقول ابن تيمية رحمه الله: " وأما " الصلاة خلف المبتدع " فهذه المسألة فيها نزاع وتفصيل، فإذا لم تجد إماما غيره كالجمعة التي لا تقام إلا بمكان واحد وكالعيدين وكصلوات الحج خلف إمام الموسم فهذه تفعل خلف كل بر وفاجر باتفاق أهل السنة والجماعة "[1].

وأما إن أمكنه أن يصلي خلف إمام من أهل العدل ومع ذلك صلى خلف أئمة البدع الدعاة، فهنا حصل نزاع بين العلماء في صحة صلاته على قولين:

**القول الأول:** أن الصلاة صحيحة، ولكنها مكروهة، وهذا هو مذهب أبي حنيفة[2]، والإمام الشافعي[3]، وأحد القولين في مذهب مالك[4] وأحمد[5].

**القول الثاني:** أن الصلاة لا تصح، وعلى من صلى أن يعيد، وهذا القول هو الرواية الثانية عند الإمام مالك[6]، والإمام أحمد[7].

والصحيح والراجح هو القول الأول، وهو قول عامة أهل السنة من السلف والخلف، بل قد عد عدد من أهل العلم تاركها مبتدعاً[8].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٥٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٠).

(٢) انظر: فتح القدير للكمال ابن الهمام (١/ ٣٥٠)، جمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر- عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي- دار إحياء التراث العربي- (١/ ١٠٨).

(٣) انظر: المجموع شرح المهذب (٤/ ٢٥٣).

(٤) انظر: الذخيرة- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي - مجموعة من المحققين- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط١، ١٩٩٤ م- (٢/ ٢٤٠)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف- علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي- دار إحياء التراث العربي- ط٢- (٢/ ٢٣).

(٥) انظر: المغني لابن قدامة (٢/ ١٣٧)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢/ ٢٥٣).

(٦) انظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٥٦)،

(٧) انظر: المغني لابن قدامة (٢/ ١٣٧)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٢/ ٢٥٣).

(٨) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٠)(٢٣/ ٣٤٤، ٣٥٣)، فتح الباري لابن حجر (٢/ ١٩٠).

**المبحث الرابع: الكلام على بعض الفرق المبتدعة:**

تكلم ابن الأثير رحمه الله بكلام مختصر عن بعض الفرق، وعن أهم ما تميزت به في عقيدتها، وخالفت فيه أهل السنة، ولذلك سيذكرهم الباحث ثم يعلق باختصار على ما ذكره، والفرق هي كالتالي:

**أولاً: الخوارج:**

قال ابن الأثير رحمه الله في التعريف بهم: " هم طائفة من المسلمين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وخلعوه فقاتلهم، وقتل أكثرهم، ثم غلب عليهم هذا المذهب، وفارقوا الطاعة، ولم يدخلوا في بيعة أحد من الأئمة والخلفاء، وتمادى بهم الأمر، وإلى الآن من أعقابهم جماعة كثيرة متفرقة في البلاد "[١].

ونقل رحمه الله عن الخطابي إجماع علماء الإسلام على عدم تكفير الخوارج، واعتبارهم فرقة ضالة، فقال: " قال الخطابي: وقد أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج على ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين، ورأوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم، وأجازوا شهادتهم، وسئل عنهم علي بن أبي طالب، فقيل: " أكفار هم؟ قال: من الكفر فروا، فقيل: فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا، وهؤلاء يذكرون الله بكرة وأصيلا، قيل: من هم؟ قال: قوم أصابتهم فتنة فعموا وصموا "[٢]"[٣].
"[٢]"[٣].

الخوارج إحدى الفرق الضالة المارقة، الخارجة عن منهج أهل السنة والجماعة[٤].

خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتلهم وقتلهم، وكذلك قاتلهم الأئمة من بعده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين. واتفق على قتالهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم "[٥].

وأما عن أماكن وجودهم في البلاد، فمنها: عمان، وحضر موت، وفي المغرب العربي[٦].

---

(١) جامع الأصول (١٢/ ٣٥٨).

(٢) أخرجه الصنعاني في مصنفه= المصنف- أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني- الصنعاني- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي- المكتب الإسلامي - بيروت- ط٢، ١٤٠٣هـ- (١٠/ ١٥٠)،

(٣) جامع الأصول (١٠/ ٧٨)، وانظر: النهاية (ص: ٣١٩).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٤)، الملل والنحل (١/ ١١٤)، وللاستزادة انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها- د. غالب بن علي عواجي- المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة- ط٤، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م- (١/ ٢٢٥).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/ ٢٨٢)

(٦) انظر: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (١/ ٢٢٦).

وأما عن تكفيرهم: فقد وقع خلاف كبير وطويل بين العلماء في تكفير الخوارج، فمنهم من كفرهم، ومنهم من لم يكفرهم[1]، بل إن بعض العلماء ذكر الإجماع على تكفيرهم[2]، وبعض العلماء نقل الإجماع على عدم تكفيرهم كما نقله ابن الأثير عن الخطابي.

**والراجح** هو أنهم ليسوا بكفار ولا مرتدين، وإنما هم فرقة ضالة من الفرق الإسلامية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد نقاش طويل في حقهم وغيرهم من الفرق المبتدعة: " فإن كثيرا من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة، من جنس بدع الرافضة والخوارج، وأصحاب الرسول ﷺ علي بن أبي طالب وغيره لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم، ... ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نحو نصفهم، ثم قاتل الباقي وغلبهم، ومع هذا لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالا، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين، ... بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة، ولم ينكر أحد على علي ذلك، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن دين الإسلام "[3].

**ثانياً: القدرية:**

بين ابن الأثير رحمه الله الأصل الذي قامت عليه القدرية، وبين كذلك رحمه الله سبب تسميتهم بذلك، فقال رحمه الله: " القدرية: في إجماع أهل السنة والجماعة: هم الذين يقولون: الخير من الله والشر من الإنسان، وإن الله لا يريد أفعال العصاة، وسموا بذلك، لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه، وهؤلاء مع ضلالتهم يضيفون هذا الاسم إلى مخالفيهم من أهل الهدى، فيقولون: أنتم القدرية، حين تجعلون الأشياء جارية بقدر من الله، وأنكم أولى بهذا الاسم منا، وهذا الحديث يبطل ما قالوا، فإنه ﷺ قال: " **الْقَدَرِيّة مَجُوسُ هَذِه الْأُمَّة** "[4] ومعنى ذلك: أنهم لمشابهتهم المجوس في مذهبهم، وقولهم بالأصلين بالأصلين – وهما النور والظلمة – فإن المجوس يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة فصاروا بذلك ثنوية، وكذلك القدرية لما أضافوا الخير إلى الله، والشر إلى العبيد، أثبتوا قادرين خالقين للأفعال كما أثبت المجوس، فأشبهوهم، وليس كذلك غير القدرية، فإن مذهبهم أن الله

---

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٩٠)، فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٢٩٩- ٣٠١)، وللاستزادة: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها (١/ ٢٩٥) وما بعدها.

(٢) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: ٥١).

(٣) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٤١).

(٤) أخرجه ابن ابي عاصم في السنة (١/ ١٤٩) وحسنه الألباني في الموضع نفسه، والفريابي في القدر= القدر- أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي- تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور- أضواء السلف- ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م- (ص: ١٧٣)، والآجري في الشريعة (٢/ ٨٠١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٤/ ٩٧).

تعالى خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلا بخلقه ومشيئته، فالأمران معا مضافان إليه خلقا وإيجادا، وإلى العباد مباشرة واكتسابا "[١].

قد سبق ذكر القدرية، وما يعتقدونه في أفعال العباد، وأن العبد يخلق فعله، وغير ذلك، وكذلك مضى قول أهل السنة في ذلك[٢].

أما الحديث الذي فيه تسمية القدرية بالمجوس، ووجه الشبه في ذلك، فيقول البيهقي[٣] رحمه الله: " وإنما سموا قدرية؛ لأنهم أثبتوا القدر لأنفسهم، ونفوه عن الله سبحانه وتعالى، ونفوا عنه خلق أفعالهم وأثبتوه لأنفسهم فصاروا بإضافة بعض الخلق إليه دون بعض مضاهين للمجوس في قولهم بالأصلين النور والظلمة وأن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة "[٤].

ويقول النووي رحمه الله رادا على نفي القدرية هذه الصفة عنهم: " بعض القدرية قال لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم إثبات القدر، قال ابن قتيبة والإمام هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح، فان أهل الحق يفوضون أمورهم إلى الله سبحانه وتعالى ويضيفون القدر والأفعال إلى الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء الجهلة يضيفونه إلى أنفسهم، ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه إليها أولى بأن ينسب إليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه، قال الإمام وقد قال رسول الله ﷺ: " **الْقَدَرِيّة مَجُوْسُ هَذِهِ الْأُمّة** " شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الإرادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير إلى يزدان والشر إلى أهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية "[٥].

**ثالثاً: المرجئة:**

تكلم ابن الأثير رحمه الله عن فرقة المرجئة فقال: " المرجئة: طائفة من فرق المسلمين، يقولون: إنه لا يضر مع الإيمان معصية، كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، وهذا مذهب سوء، أما في جانب الكفر: فصحيح، فإنه لا ينفع معه طاعة، وأما في جانب الإيمان: فكيف لا يضر؟ والقائل بهذا يفتح باب الإباحة، فإن الإنسان إذا علم أنه لا تضر المعاصي مع إيمانه ارتكب كل ما تحدثه به نفسه منها، علما أنها لا تضره، وهؤلاء هم أضداد القدرية، فإن من مذهبهم: أن الكبيرة إذا لم يتب منها يخلد صاحبها في النار، وإن كان مؤمنا، فانظر إلى هذا الاختلاف العظيم، والتناقض

---

(١) جامع الأصول (١٠/ ١٢٨)، وانظر: النهاية (ص: ٨٥٧).

(٢) انظر: (ص: ٢٠٠).

(٣) هو: الإمام المصنف الحافظ الورع أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي الخسروجردي الشافعي، صاحب التصانيف الكبيرة، منها: السنن الكبير، والسنن الصغير، والسنن والآثار، ودلائل النبوة، وشعب الإيمان، كان واحد زمانه، من كبار أصحاب ابي عبد الله الحاكم. توفي رحمه الله سنة ٤٥٨هـ. انظر: تاريخ الإسلام (٣٠/ ٤٣٨).

(٤) الاعتقاد للبيهقي (ص: ٢٣٧).

(٥) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٤)، ويقصد بالإمام في كلامه: الإمام أبو المعالي الجويني رحمه الله.

الزائد في الآراء المختلفة الأهواء، نعوذ بالله من ذلك، وانظر كيف هدى الله أهل الحق والعدل إلى أقوم طريق، فأثبتوا للعاصي جزاءا، ونفوا الخلود في النار عليها الذي هو جزاء الكافرين"[١].

ما ذكره ابن الأثير رحمه الله رحمة واسعة عن المرجئة كله صحيح، وقد سبق الرد على معتقداتهم التي ذكروها[٢].

(١) جامع الأصول (١٠/ ١٣٠، ١٣١)، وانظر: النهاية (ص: ٣٥١).

(٢) انظر: (ص: ١٦٠).

## الخاتمة:

الحمد لله على التمام، والصلاة والسلام على خير الأنام نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وبعد:

ففي ختام هذا البحث أبين أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج وتوصيات.

**أولاً: النتائج:**

- أن الإمام ابن الأثير رحمه الله كان من الأئمة الأعلام خاصةً في فن غريب الحديث، مما جعل كتبه مرجعاً لمن جاء بعده من المتقدمين والمتأخرين إلى يومنا هذا، وخاصة كتابه " النهاية في غريب الحديث والأثر " فلا ترى رسالةً علميةً، أو مؤلفاً جديداً إلا وتلقى في ثبت مراجعه كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر.
- سار ابن الأثير رحمه الله في طريقة ترتيب مؤلفاته طريقة جميلةً فريدةً من نوعها – وكأن كتابه رسالة دكتوراة بل قل أكثر في الترتيب والتصنيف – قلّما تجد عالما من المتقدمين يصنع مثل صنيعه، وهذا من اسباب شهرة كتبه.
- أهمية دراسة آراء الأئمة الأعلام الاعتقادية وضرورة تقويمها، لعظيم أثرها وانتشار كتبهم.
- وافق أهل السنة والجماعة في الاستدلال بالنص من القرآن والسنة والإجماع على المسائل العقدية، وإن خالفهم في بعض الجوانب المنهجية للاستدلال بها.
- خالف أهل السنة والجماعة في تعريف التوحيد وبيان أقسامه، وسار في ذلك على طريقة المتكلمين.
- وافق أهل السنة والجماعة في معنى توحيد الربوبية، وطرق الاستدلال على ذلك من دليل الفطرة ودليل السمع.
- وافق أهل السنة والجماعة في إثبات أسماء الله تعالى وأنها غير محصورةٍ في عددٍ معين، وشرحه لمعانيها في الجملة، وإن كان يخالفهم في بعضها ويؤولها.
- أشار رحمه الله إلى أن صفات الله ذاتية وفعلية، وخالف أهل السنة والجماعة في قوله: أن ظاهر نصوص الصفات غير مراد، وتجويزه التأويل والتفويض فيهما، وزعمه أن طريق السلف أسلم وطريقة الخلف – التأويل – أعلم وأحكم.
- وافق أهل السنة والجماعة في معنى توحيد الألوهية، واختصاص الله بالعبادة، وشهادة أن لا إله إلا الله، ومعنى العبادة، ونبه على جملة كبيرة ممّا يناقض توحيد الألوهية ووافق فيها أهل السنة في الجملة.
- وافق أهل السنة والجماعة في بيان أن الكفر قسمين: كفر أكبر، وكفر أصغر، وبعض ما يتعلق بذلك.
- وافق أهل السنة والجماعة في تعريف الإيمان، وتقرير الفرق بين الإسلام والإيمان في الجملة، وتعريف الكبيرة وحكم مرتكبها.

- وافق أهل السنة والجماعة في الإيمان بالأنبياء والرسل والفرق بينهما في الجملة، والمفاضلة بينهم، ووافق بعض أهل السنة في القول بنبوة الخضر وحياته إلى الآن، والقول بنبوة بعض النساء " حواء وآسية ومريم ".
- وافق أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بنبينا محمد ﷺ في وجوب الإيمان به والانقياد له واتباعه، وبيان معجزاته، ودلائل نبوته.
- وافق أهل السنة والجماعة في تعريف أشراط الساعة، وما ذكره منها.
- وافق أهل السنة والجماعة في إثبات عذاب القبر وفتنته.
- وافق أهل السنة والجماعة في الحشر والبعث والصراط والميزان والجنة والنار، والقول بأبديتهما، وخالفهم في تأويله بعض الأحاديث المتعلقة بالنار.
- وافق أهل السنة والجماعة في رؤية الله في الجنة، واعتبرها هي الغاية في نعيم الآخرة.
- وافق بعض أهل السنة والجماعة في حكم من مات من أطفال المشركين، ونقل قول الخطابي في ذلك، وهو أنهم في حكم آبائهم.
- وافق أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر، وخالفهم في أفعال العباد.
- وافق أهل السنة والجماعة في تعريف البدعة، وخالفهم في تقريره انقسام البدعة إلى حسنة وسيئة.

**ثانيًا: التوصيات:**

- دراسة عقدية موضوعية في مؤلفات علمائنا والاستفادة منها.
- ضرورة توعية المسلمين بأهمية العقيدة ووجوب تعلمها وتعليمها.
- دراسة النصوص والآثار المروية عن بعض العلماء في نسبة التأويل للامام أحمد رحمه الله.

هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأٍ، أو سهوٍ، أو زللٍ فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله منه براء.

**فهرس المصادر والمراجع**

**مرتبة حسب الترتيب الأبجدي**


- **القرآن الكريم.**

١. **الإبانة الكبرى**- أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المعروف بابن بطّة العكبري- تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل- دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض- ط١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

٢. **الإبانة عن أصول الديانة**- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري- تحقيق: د. فوقية حسين محمود- دار الأنصار، القاهرة- ط١، ١٣٩٧هـ.

٣. **إبطال التأويلات لأخبار الصفات**- القاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء- تحقيق: محمد بن حمد الحمود النجدي- دار إيلاف الدولية، الكويت.

٤. **ابن الأثير المحدث ومنهجه في كتاب النهاية**- أميمة رشيد بدر الدين- رسالة دكتوراة في جامعة دمشق- كلية الآداب، قسم اللغة العربية- ١٩٩٣.

٥. **اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة**- حمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجري- دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض- ط٢، ١٤١٤هـ.

٦. **إثبات صفة العلو**- أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد، ابن قدامة المقدسي- تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي- مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

٧. **اجتماع الجيوش الإسلامية**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- تحقيق: عواد عبد الله المعتق- مطابع الفرزدق التجارية، الرياض- ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨. **أحكام الرقى والتمائم**- د. فهد بن ضويان السحيمي-مكتبة أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٩. **أحكام القرآن**- أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي- تحقيق: محمد صادق القمحاوي- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ١٤٠٥هـ.

١٠. **أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل**- أبو بكر أحمد بن محمد الخلّال- تحقيق: سيد كسروي حسن- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

١١. **الإحكام في أصول الأحكام**- أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي- تحقيق: عبد الرزاق عفيفي- المكتب الإسلامي- بيروت، لبنان.

١٢. **الإحكام في أصول الأحكام**- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري- تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر- دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٣. **إحياء علوم الدين**- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي- دار المعرفة، بيروت.
١٤. **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي- تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش- دار خضر، بيروت- ط٢، ١٤١٤هـ.
١٥. **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**- أبو الوليد محمد بن عبد الله بن عقبة بن الأزرق المكي المعروف بالأزرقي- تحقيق: رشدي الصالح ملحس- دار الأندلس للنشر، بيروت.
١٦. **الأذكار**- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٧. **إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**- ياقوت بن عبد الله الحموي- تحقيق: إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي، بيروت- ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
١٨. **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**- محمد بن علي بن محمد الشوكاني- تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية- دار الكتاب العربي، دمشق - ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٩. **الاشاعرة في ميزان اهل السنة نقد لكتاب أهل السنة الأشاعرة** : شهادة علماء الأمة وأدلتهم- فيصل بن قزار الجاسم- المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة ، الكويت-ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٢٠. **الإصابة في تمييز الصحابة**- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني- تحقيق: عادل عبد الموجود وعلى معوض- دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٢١. **أصول السنة**- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى، المعروف بابن أبي زمنين- تحقيق: عبد الله بن محمد البخاري- مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية- ط١، ١٤١٥هـ.
٢٢. **الاعتصام**- إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي- تحقيق: سليم بن عيد الهلالي- دار ابن عفان، السعودية- ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٣. **الاعتقاد**- أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد- تحقيق : محمد بن عبد الرحمن الخميس- دار أطلس الخضراء- ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٢٤. **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي- تحقيق: أحمد عصام الكاتب- دار الآفاق الجديدة ، بيروت- ط١، ١٤٠١هـ.
٢٥. **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي- تحقيق: علي سامي النشار- دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٦. **أعلام النبوة**- أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي- دار ومكتبة الهلال، بيروت- ط١، ١٤٠٩هـ.

٢٧. **الأعلام**- خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي- دار العلم للملايين- ط١٥، أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٢٨. **الاقتصاد في الاعتقاد**- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٢٩. **الاقتصاد في الاعتقاد**- عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الدمشقي الحنبلي، أبو محمد- تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي- مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة- ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٣٠. **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية- تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل- دار عالم الكتب، بيروت- ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣١. **إكفار الملحدين في ضروريات الدّين**- محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي- المجلس العلمي، باكستان- ط٣، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.
٣٢. **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**- أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
٣٣. **إنباه الرواة على أنباه النحاة**- علي بن يوسف القفطي- المكتبة العنصرية، بيروت- ط١، ١٤٢٤هـ.
٣٤. **الأنساب**_ عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني- تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره- مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- ط١، ١٣٨٢هـ- ١٩٦٢م.
٣٥. **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**- علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي- دار إحياء التراث العربي- ط٢.
٣٦. **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز جهله**- للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني- تحقيق: محمد زاهد الكوثري- دار الكتب العلمية، بيروت- ط٢، ٢٠٠٩.
٣٧. **أنوار البروق في أنواء الفروق**- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي- عالم الكتب.
٣٨. **إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد**- محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى، أبو عبد الله، عز الدين اليمني- دار الكتب العلمية ، بيروت- ط٢، ١٩٨٧م.
٣٩. **الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)**- للدكتور محمد نعيم ياسين- دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٤٠. **الإيمـان**- أبـو بكـر بـن أبـي شيبة، عبد الله بـن محمـد بـن إبراهيم بـن عثمـان- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- ط٢، ١٩٨٣م.
٤١. **الإيمان**- أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده العبدي- تحقيق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي- مؤسسة الرسالة، بيروت- ط٢، ١٤٠٦هـ.
٤٢. **الإيمان**- أبو عبد الله محمد بن يحيى ابن أبي عمر العدني- تحقيق: حمد بن حمدي الجابري الحربي- الدار السلفية، الكويت- ط١، ١٤٠٧هـ.
٤٣. **الإيمان**- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام تيمية- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي، عمان، الأردن- ط٥، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٤٤. **البداية والنهاية**- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير- تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
٤٥. **بـدائع الفوائـد**- محمـد بـن أبـي بكـر بـن أيـوب بـن سـعد شـمس الـدين ابـن قـيم الجوزيـة- دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٦. **البدع وآثارها السيئة**- عبد الكريم مراد- الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- السنة السابعه عشر- العددان (الخامس والستين، السادس والستين)- محرم -جماد الأخرة ١٤٠٥هـ.
٤٧. **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**- جلال الدين السيوطي- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
٤٨. **بيـان تلبيس الجهميـة فـي تأسيس بـدعهم الكلاميـة**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بـن عبـد السـلام بـن عبـد الله بـن أبـي القاسـم بـن محمـد ابـن تيميـة الحرانـي الحنبلـي الدمشقي- تحقيق: مجموعة من المحققين- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- ط١، ١٤٢٦هـ.
٤٩. **تاج العروس من جواهر القاموس**- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزّبيدي- تحقيق: مجموعة من المحققين- دار الهداية.
٥٠. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الـذهبي- تحقيـق عمـر عبـد السـلام التـدمري- دار الكتـاب العربـي، بيـروت- ط٢، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
٥١. **تاريخ السلاجقة في بلاد الشام**- محمد سهيل طقوش- دار النفائس، بيروت- ط٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٥٢. **تأويل مختلف الحديث**- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- المكتب الاسلامي، مؤسسة الإشراق- ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥٣. **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**- طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر- تحقيق: كمال يوسف الحوت- عالم الكتب، لبنان- ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٥٤. **تحريم النظر في كتب الكلام**- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي- تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية- عالم الكتب، الرياض- ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٥٥. **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**- أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى- دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٦. **تحفة الطالب والجليس في كشف شبه داود بن جرجيس**- عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ- تحقيق: عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم- دار العصمة- ط٢، ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.
٥٧. **التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية**- فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك آل مهدي، الدوسري- مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- ط٣، ١٤١٣هـ.
٥٨. **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**- محمد بن عبد الله بن محمد ابن بطوطة- أكاديمية المملكة المغربية، الرباط ١٤١٧هـ.
٥٩. **تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع= التدمرية**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية-تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي- مكتبة العبيكان، الرياض- ط٦، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٦٠. **التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة**- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي- تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم- مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض- ط٢، ١٤٢٥هـ.
٦١. **التعرف لمذهب أهل التصوف**- أبو بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي- دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٢. **التعريفات**- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني- تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلمية بيروت، لبنان- ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٦٣. **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**- محمد بن جرير أبو جعفر الطبري- تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي- دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان- ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٦٤. **تفسير القرآن العظيم**- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي- تحقيق: سامي بن محمد سلامة- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط٢،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦٥. **تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**- محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر- تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز- مكتبة السنة، مصر- ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٦٦. **تقريب التدمرية**- محمد بن صالح بن محمد العثيمين- دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودسة- ط١، ١٤١٩هـ.
٦٧. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي- تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري- وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب- ١٣٨٧هـ.
٦٨. **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**- محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملطي العسقلاني- تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري- المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.
٦٩. **تهذيب الأسماء واللغات**- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٠. **تهذيب اللغة**- محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور- تحقيق: محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط١، ٢٠٠١م.
٧١. **التوحيد**- محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده- حققه وعلق عليه: د.علي بن محمد ناصر الفقيهي- مكتبة العلوم والحكم، المدينة، دار العلوم والحكم، سوريا- ط١، ١٤٢٣هـ.
٧٢. **التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب**- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب- دار طيبة، الرياض- ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
٧٣. **التوقيف على مهمات التعاريف**- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي- عالم الكتب، القاهرة- ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٧٤. **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد**- سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب- تحقيق: زهير الشاويش- المكتب الاسلامي، بيروت- ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٧٥. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي- تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة- ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٧٦. **جامع الأصول في أحاديث الرسول**- مجد الدين ابن الأثير- تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط وبشير عيون- مكتبة الحلواني- مطبعة الملاح- مكتبة دار البيان- ط١.

٧٧. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي- تحقيق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور- دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- ط٢، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

٧٨. **جامع المسائل لابن تيمية**- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية- تحقيق: محمد عزير شمس- بكر أبو زيد- دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٩. **الجامع لأحكام القرآن= تفسير القرطبي**- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين القرطبي- تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش- دار الكتب المصرية، القاهرة- ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٨٠. **جمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر**- عبد الرحمن بن محمد بن سليمان المدعو بشيخي زاده، يعرف بداماد أفندي- دار إحياء التراث العربي.

٨١. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني- تحقيق: علي بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد- دار العاصمة، السعودية- ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨٢. **جواب سؤال يتعلق بما ورد فيما أظهر الخضر، ضمن الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني**- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني- تحقيق: أبو مصعب محمد صبحي بن حسن حلاق- مكتبة الجيل الجديدة، اليمن.

٨٣. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- مطبعة المدني، القاهرة.

٨٤. **حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني**- أبو الحسن، علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي العدوي- تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي- دار الفكر، بيروت- ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٨٥. **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**- إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم- تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي المدخلي- دار الراية، الرياض- ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٨٦. **حقيقة البدعة وأحكامها**- سعيد بن ناصر الغامدي- مكتبة الرشد، الرياض.

٨٧. **حقيقه السنة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع**- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي- تحقيق: ذيب بن مصري بن ناصر القحطاني- مطابع الرشيد- ١٤٠٩هـ.

٨٨. **الحوادث والبدع** - محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الأندلسي، أبو بكر الطرطوشي - تحقيق: علي بن حسن الحلبي- دار ابن الجوزي- ط٣، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٩. **خبر الواحد وحجيته**- أحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي- عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية- ط١ ،١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.
٩٠. **خلق أفعال العباد**- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري- تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة- دار المعارف السعودية، الرياض.
٩١. **درء تعارض العقل والنقل**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني - تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية- ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
٩٢. **الدراسات اللغوية عند أبي السعادات بن الأثير**- إعداد: سعود بن عبد الله بن محمد الحسين- رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- كلية اللغة العربية، قسم النحو- ١٤٠٩هـ.
٩٣. **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**- علماء نجد الأعلام- تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- ط٦، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
٩٤. **دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات**- منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى- عالم الكتب- ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٩٥. **دلائل النبوة**- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى الأصبهاني- تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس- دار النفائس، بيروت- ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٩٦. **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤٠٥هـ..
٩٧. **دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي**- علي محمد الصّلاّبي- مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة- ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٩٨. **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**- إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون- دار الكتب العلمية- بيروت.
٩٩. **الذخيرة**- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي- مجموعة من المحققين- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط١، ١٩٩٤م.
١٠٠. **ذم التأويل**- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، الشهير بابن قدامة المقدسي- تحقيق: بدر بن عبد الله البدر- الدار السلفية، الكويت- ط١، ١٤٠٦هـ.
١٠١. **رد المحتار على الدر المختار**- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي- دار الفكر، بيروت- ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٠٢. **الرد على الجهمية**- أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني- تحقيق: بدر بن عبد الله البدر- دار ابن الأثير، الكويت- ط٢، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

١٠٣. **رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت**- عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزيّ الوائلي البكري، أبو نصر- تحقيق: محمد با كريم با عبد الله-عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- ط٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م

١٠٤. **رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب**- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري- تحقيق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي- عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة- ١٤١٣هـ.

١٠٥. **الرسل والرسالات**- عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي- دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت- ط٤.

١٠٦. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**- شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي- تحقيق: علي عبد الباري عطية- دار الكتب العلمية ، بيروت-ط١، ١٤١٥هـ.

١٠٧. **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٨. **روضة الطالبين وعمدة المفتين**- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- تحقيق: زهير الشاويش- المكتب الإسلامي، بيروت- ط٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٠٩. **رؤية الله**- أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود الدارقطني- تحقيق: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي- مكتبة المنار، الأردن- ١٤١١هـ.

١١٠. **رؤية الله تبارك وتعالى**- أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سعيد التجيبي المصري المالكي البزار المعروف بابن النحاس- تحقيق وتخريج: د. محفوظ عبد الرحمن بن زين الله السلفي- الدار العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، نيودلهي- ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١١١. **زاد المعاد في هدي خير العباد**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية- مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت- ط٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

١١٢. **الزهد والرقائق**- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي- دار الكتب العلمية - بيروت.

١١٣. **الزهر النضر في حال الخضر**- أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني- تحقيق: صلاح مقبول أحمد- مجمع البحوث الإسلامية، نيودلهي- ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١١٤. **الزواجر عن اقتراف الكبائر**- أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس- دار الفكر- ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١١٥. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- ط١.

١١٦. **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني- دار المعارف، الرياض - ط١، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

١١٧. **السنة**- أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلّال البغدادي الحنبلي- تحقيق: د.عطية الزهراني - دار الراية، الرياض- ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١١٨. **السنة**- أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

١١٩. **السنة**- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني- تحقيق: د. محمد سعيد سالم القحطاني- دار ابن القيم، الدمام- ط١، ١٤٠٦هـ.

١٢٠. **سنن ابن ماجه** - ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني - اعتنى به: مشهور سلمان- مكتبة المعارف، الرياض -ط١.

١٢١. **سنن ابي داوود**- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني- تحقيق: العلامة محمد ناصر الدين الألباني- اعتنى به: مشهور سلمان- مكتبة المعارف، الرياض- ط١.

١٢٢. **سنن الترمذي**- محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني- اعتنى به: مشهور سلمان- مكتبة المعارف، الرياض- ط١.

١٢٣. **السنن الصغير**- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي- تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي- جامعة الدراسات الإسلامية، باكستان- ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٢٤. **سنن النسائي** - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني - اعتنى به: مشهور سلمان- مكتبة المعارف، الرياض- ط١.

١٢٥. **سير أعلام النبلاء**- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي- تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٢٦. **الشافي في شرح مسند الشافعي**- لابن الأثير ابي السعادات المبارك بن محمد الجزري- تحقيق: أحمد بن سليمان، ياسر بن ابراهيم- مكتبة الرشد، الرياض- ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٢٧. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي- تحقيق: محمود الأرنؤوط- خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط- دار ابن كثير، دمشق- بيروت- ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
١٢٨. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**- أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي- تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي- دار طيبة، السعودية- ط٨، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١٢٩. **شرح السنة**- أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري- حققه وعلق عليه: خالد بن قاسم الرّدادي- دار السلف، دار الصميعي، السعودية- ط٣، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٣٠. **شرح السنة**- أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي- تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد زهير الشاويش- المكتب الإسلامي، دمشق- ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
١٣١. **شرح السنة معتقد إسماعيل بن يحيى المزني**- إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني- تحقيق: جمال عزون- مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية- ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٣٢. **شرح العقيدة الطحاوية**- عبد الغني الغنيمي الميداني- تحقيق: محمد مطيع الحافظ، محمد رياض المالح- دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق- ط٢، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠.
١٣٣. **شرح العقيدة الطحاوية**- محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي- تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني- دار السلام للطباعة والنشر- ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٣٤. **شرح العقيدة الواسطية**- خليل حسن هرّاس- ضبط نصه وخرّج أحاديثه: علوي بن عبد القادر السقاف- دار الهجرة للنشر والتوزيع - الخبر- ط٣، ١٤١٥هـ.
١٣٥. **شرح العقيدة الوسيطية** - محمد بن صالح العثيمين- راجعه وخرج أحاديثه: محمد محمد تامر - مكتبة الإيمان ، المنصورة.
١٣٦. **شرح حديث النزول**- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني- المكتب الإسلامي، بيروت- ط٥، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
١٣٧. **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**- عبد الله بن محمد الغنيمان- مكتبة الدار، المدينة المنورة-ط١، ١٤٠٥هـ..
١٣٨. **شرح مشكل الآثار**- أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي المعروف بالطحاوي- تحقيق: شعيب الأرنؤوط- مؤسسة الرسالة- ط١، ١٤١٥هـ- ١٤٩٤م.

١٣٩. **الشريعة**- أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجرّيّ البغدادي- تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي- دار الوطن، الرياض- ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.
١٤٠. **شعب الإيمان**- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي- تحقيق: مختار أحمد الندوي عبد العلي عبد الحميد- مكتبة الرشد، الرياض، الدار السلفية، الهند- ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
١٤١. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**- القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل- دارالفيحاء، عمان- ط٢، ١٤٠٧هـ.
١٤٢. **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار المعرفة، لبنان- ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
١٤٣. **الصارم المسلول على شاتم الرسول**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- المملكة العربية السعودية.
١٤٤. **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**- أحمد بن علي الفزاري القلقشندي- دار الكتب العلمية، بيروت-(٤/ ١٨).
١٤٥. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين، بيروت- ط٤، ١٤٠٧ هـ١٩٨٧م.
١٤٦. **صحيح ابن خزيمة**- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري- تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي- المكتب الإسلامي.
١٤٧. **صحيح البخاري**= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه - الحافظ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي- قام على نشره: علي بن حسن بن علي بن علي بن الحميد الحلبي الأثري- الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.
١٤٨. **صحيح الترغيب والترهيب**- محمد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف، الرياض- ط٥.
١٤٩. **صحيح الجامع الصغير وزياداته**- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني- المكتب الإسلامي.
١٥٠. **صحيح مسلم**= المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل، عن رسول الله ﷺ للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري - تحقيق: صدقي العطار- دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
١٥١. **صلاة التراويح**- محمد ناصر الدين الألباني- مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض- ط١ - ١٤٢١هـ.
١٥٢. **الصلاة وأحكام تاركها**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

١٥٣. **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله- دار العاصمة، الرياض- ط١، ١٤٠٨هـ.

١٥٤. **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**- أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الألباني- أشرف على طبعه: زهير الشاويش- المكتب الإسلامي.

١٥٥. **طبقات الحنابلة**- أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد- تحقيق: محمد حامد الفقي- دار المعرفة، بيروت.

١٥٦. **طبقات الشافعية الكبرى**- تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي- تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو- هجر للطباعة والنشر والتوزيع- ط٢، ١٤١٣هـ.

١٥٧. **طريق الهجرتين وباب السعادتين**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار السلفية، القاهرة- ط٢، ١٣٩٤هـ.

١٥٨. **العبر في خبر من غبر**- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي- تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول- دار الكتب العلمية – بيروت.

١٥٩. **العبودية**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية- تحقيق: محمد زهير الشاويش- المكتب الإسلامي، بيروت- ط٧، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٦٠. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار ابن كثير، دمشق، بيروت،مكتبة دار التراث، المدينة المنورة- ط٣، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

١٦١. **العظمة**- أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني- تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري- دار العاصمة، الرياض- ط١، ١٤٠٨هـ.

١٦٢. **علم أصول البدع**- علي حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي- ١٤٢٣- ٢٠٠٢م.

١٦٣. **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمه**- أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي- تحقيق: أشرف بن عبد المقصود- مكتبة أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

١٦٤. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى- دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٥. **عون المعبود شرح سنن أبي داود**- محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي- دار الكتب العلمية، بيروت-ط٢، ١٤١٥هـ.

١٦٦. **غاية المرام في علم الكلام**- أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي- تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

١٦٧. **غريب الحديث**- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي- تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي- دار الفكر- ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

١٦٨. **غريب الحديث**- أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي- تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان- مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن - ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٦٩. **غريب الحديث**- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي- تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٧٠. **فتاوى اللجنة الدائمة**- اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء- جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش- رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء- الإدارة العامة للطبع- الرياض.

١٧١. **فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف**- محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف- تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم- مطبعة الحكومة بمكة المكرمة- ط١، ١٣٩٩هـ.

١٧٢. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي- دار المعرفة ، بيروت، ١٣٧٩هـ.

١٧٣. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي- تحقيق: مجموعة من العلماء- مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، مكتب تحقيق دار الحرمين، القاهرة- ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

١٧٤. **فتح القدير**- كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام- دار الفكر.

١٧٥. **فتح القدير**- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني- دار ابن كثير، دمشق، دار الكلم الطيب، بيروت- ط١، ١٤١٤هـ.

١٧٦. **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**- عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب- تحقيق: محمد حامد الفقي- مطبعة السنة المحمدية، القاهرة- ط٧، ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م.

١٧٧. **فتح رب البرية بتلخيص الحموية**- محمد بن صالح بن محمد العثيمين- دار الوطن للنشر، الرياض.

١٧٨. **الفتوى الحموية الكبرى**- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية- تحقيق: د. حمد بن عبد المحسن التويجري- دار الصميعي، الرياض- ط٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٧٩. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي- دار الآفاق الجديدة، بيروت- ط٢، ١٩٧٧م.
١٨٠. **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها**- د. غالب بن علي عواجي- المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنشر والتسويق، جدة- ط٤، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٨١. **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية- حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط- مكتبة دار البيان، دمشق-١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٨٢. **فصل المقال في ابن صياد والدجال**- د. سعد عبد الله عاشور- مجلة الجامعة الإسلامية، المجلد العاشر، العدد الثاني، ص٣٠٥- ٣٥٤، ٢٠٠٢م.
١٨٣. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري- مكتبة الخانجي، القاهرة.
١٨٤. **الفقه الأكبر**- أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه- مكتبة الفرقان، الإمارات العربية- ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٨٥. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**- زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي - المكتبة التجارية الكبرى، مصر- ط١، ١٣٥٦هـ.
١٨٦. **القاموس المحيط**- أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى- تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي- مؤسسة الرسالة، بيروت- ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٨٧. **القدر**- أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض الفريابي- تحقيق: عبد الله بن حمد المنصور- أضواء السلف- ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
١٨٨. **القضاء والقدر**- عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي- دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن- ط١٣، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
١٨٩. **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**- محمد بن صالح العثيمين- خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد بيومي- مكتبة الإيمان، المنصورة.
١٩٠. **القول المفيد على كتاب التوحيد**- محمد بن صالح بن محمد العثيمين- دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية- ط٢، محرم ١٤٢٤هـ.
١٩١. **القول في علم النجوم**- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي- تحقيق: يوسف بن محمد السعيد- دار أطلس، الرياض- ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩٢. **قيام رمضان**- أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي- اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي- حديث أكادمي، باكستان- ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٩٣. **الكافي في فقه الإمام أحمد**- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، الشهير بابن قدامة المقدسي- دار الكتب العلمية- ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٩٤. **الكامل في التاريخ**- علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، عز الدين ابن الأثير- تحقيق: عمر عبد السلام تدمري- دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان- ط١- ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
١٩٥. **الكبائر**- شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي- دار الندوة الجديدة، بيروت.
١٩٦. **كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**- أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح النيسابوري- تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان- مكتبة الرشد، الرياض- ط٥، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٩٧. **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**- أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم - تحقيق: كمال يوسف الحوت- مكتبة الرشد، الرياض- ط١، ١٤٠٩هـ.
١٩٨. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**- أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله- دار الكتاب العربي، بيروت- ط٣ ، ١٤٠٧هـ.
١٩٩. **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**- مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة- مكتبة المثنى، بغداد - ١٩٤١م.
٢٠٠. **لسان العرب**- محمد بن مكرم ابن منظور- دار صادر- بيروت- ط٣- ١٤١٤هـ.
٢٠١. **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**- زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، الحنبلي- دار ابن حزم للطباعة والنشر- ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٢٠٢. **لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة**- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي- تحقيق: فوقية حسين محمود- عالم الكتب، لبنان- ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٢٠٣. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**- أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني- مؤسسة الخافقين، دمشق-ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٠٤. **المبدع في شرح المقنع**- إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٠٥. **متن العقيدة الطحاوية**- أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك المعروف بالطحاوي- شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي، بيروت- ط٢، ١٤١٤هـ.
٢٠٦. **مجمل اللغة**- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي- دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان- مؤسسة الرسالة، بيروت- ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
٢٠٧. **مجموع الفتاوى**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني- تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية- ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.
٢٠٨. **المجموع شرح المهذب**- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- دار الفكر.
٢٠٩. **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله**- عبد العزيز بن عبد الله بن باز - أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.
٢١٠. **مجموع فتاوى ورسائل العثيمين**- محمد بن صالح بن محمد العثيمين- جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان- دار الوطن - دار الثريا- ١٤١٣هـ.
٢١١. **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** - لبعض علماء نجد الأعلام- دار العاصمة، الرياض- ط١، ١٣٤٩هـ مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى- حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر النجدي- دار ثقيف للنشر والتأليف، الطائف- ط١، ١٣٩٨هـ.
٢١٢. **مختار الصحاح**- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي- تحقيق: يوسف الشيخ محمد- المكتبة العصرية- الدار النموذجية، صيدا- ط٥، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢١٣. **مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي- تحقيق: سيد إبراهيم- دار الحديث، القاهرة- ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢١٤. **مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي**- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي- تحقيق واختصار: محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي- ط٢،١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
٢١٥. **مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية**- محمد بن علي بن أحمد ، أبو عبد الله، بدر الدين البعليّ- تحقيق: محمد حامد الفقي- دار ابن القيم، الدمام- ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٢١٦. **مختصر تفسير البغوي**- عبد الله بن أحمد بن علي الزيد- دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض- ط١، ١٤١٦هـ.

٢١٧. **المخصص**- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي- تحقيق: خليل إبراهم جفال- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٢١٨. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية- تحقيق: محمد البغدادي- دار الكتاب العربي، بيروت- ط٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢١٩. **مذكرة التوحيد**- عبد الرزاق عفيفي- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية- ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٢٠. **مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات**- أحمد بن عبد الكريم القاضي- دار ابن الجوزي- ط٢، ١٤٢٤هـ.

٢٢١. **المستدرك على الصحيحين**- أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري - تحقيق: : مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية، بيروت- ط١، ١٤١١ - ١٩٩٠م.

٢٢٢. **المستصفى**- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي- محمد عبد السلام عبد الشافي- دار الكتب العلمية- ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٢٣. **مسند أحمد**- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل- تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون- مؤسسة الرسالة- ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٢٢٤. **مسند إسحاق بن راهويه**- أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بـ ابن راهويه- تحقيق: د.عبد الغفور بن عبد الحق- مكتبة الإيمان، المدينة المنورة- ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

٢٢٥. **مسند الدارمي**- أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي- تحقيق: حسين سليم أسد الداراني- دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- ط١، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠م.

٢٢٦. **مسند الشافعي**- أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان الشافعي- دار الكتب العلمية، بيروت-١٤٠٠هـ.

٢٢٧. **مسند الشاميين**- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي- مؤسسة الرسالة، بيروت- ط١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢٢٨. **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**- عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل- دار النشر المكتبة العتيقة ودار التراث.

٢٢٩. **المصنف**- أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني- تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي- المكتب الإسلامي - بيروت- ط٢، ١٤٠٣هـ.

٢٣٠. **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**- حافظ بن أحمد بن علي الحكمي- تحقيق: عمر بن محمود أبو عم- دار ابن القيم، الدمام- ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
٢٣١. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**= تفسير البغوي- محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي- حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش- دار طيبة للنشر والتوزيع- ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٢٣٢. **معالم السنن شرح سنن أبي داود**- أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي- المطبعة العلمية، حلب- ط١، ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م.
٢٣٣. **معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى**- محمد بن خليفة بن علي التميمي- أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٢٣٤. **معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات**- محمد بن خليفة بن علي التميمي- أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
٢٣٥. **المعجم الأوسط**- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني- دار الحرمين، القاهرة.
٢٣٦. **معجم البلدان**- شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي- دار صادر، بيروت- ط٢، ١٩٩٥م
٢٣٧. **المعجم الكبير**- سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني- تحقيق: الشيخ حمدي السلفي- دار الصميعي، الرياض- ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.
٢٣٨. **معجم مقاييس اللغة**- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين- تحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٣٩. **معرفة السنن والآثار**- أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي- تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي- دار الوفاء، القاهرة- ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
٢٤٠. **المغرب**- ناصر بن عبد السيد ابن على، أبو الفتح، برهان الدين الخوارزمي المطرّزيّ- دار الكتاب العربي.
٢٤١. **المغني**- أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي- مكتبة القاهرة- ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٢٤٢. **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**- شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي- دار الكتب العلمية- ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
٢٤٣. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري- دار إحياء التراث العربي ، بيروت - ط٣ ، ١٤٢٠ هـ.

٢٤٤. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية- دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٥. **المفردات في غريب القرآن**- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى- تحقيق: صفوان عدنان الداودي- دار القلم، الدار الشامية، دمشق- ط١، ١٤١٢هـ.

٢٤٦. **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل الأشعري- تحقيق: نعيم زرزور- المكتبة العصرية- ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٤٧. **الملل والنحل**- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني- مؤسسة الحلبي

٢٤٨. **المنار المنيف في الصحيح والضعيف**- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن قيم الجوزية- تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة- مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب- ط١، ١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.

٢٤٩. **منال الطالب في شرح طوال الغرائب**- مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير- تحقيق: محمود محمد الطناحي- دار المأمون للتراث، دمشق.

٢٥٠. **منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز**- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي- من مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي- دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة.

٢٥١. **منهاج السنة النبوية**- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس- تحقيق : د. محمد رشاد سالم- مؤسسة قرطبة- ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٥٢. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي- دار إحياء التراث العربي، بيروت- ط٢، ١٣٩٢هـ.

٢٥٣. **موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني**- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي- تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف- المكتبة العلمية- ط٢.

٢٥٤. **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**- عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود- مكتبة الرشد، الرياض- ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

٢٥٥. **النبوات**- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني- تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان- أضواء السلف، الرياض- ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٢٥٦. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**- يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- دار الكتب، مصر.

٢٥٧. **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**- أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني- تحقيق: شرف حجازي- دار الكتب السلفية، مصر- ط٢.
٢٥٨. **نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد**- أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي- تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي- مكتبة الرشد للنشر والتوزيع- ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٢٥٩. **النهاية في الفتن والملاحم**- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي- تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز- دار الجيل، بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٦٠. **النهاية في غريب الحديث والأثر**- مجد الدين ابن الأثير- تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي- المكتبة العلمية، بيروت- ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
٢٦١. **النهاية في غريب الحديث والأثر**- مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير- أشرف عليه: علي بن حسن الحلبي- دار ابن الجوزي- ط٤، ١٤٢٧هـ.
٢٦٢. **النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى**- محمد الحمود النجدي- مكتبة الإمام الذهبي، الكويت.
٢٦٣. **نواقض الإيمان القولية والعملية**- عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف- مدار الوطن للنشر- ط٣، ١٤٢٧هـ.
٢٦٤. **نيل الأوطار**- محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني- تحقيق: عصام الدين الصبابطي- دار الحديث، مصر- ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٦٥. **وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**- أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلّكان- تحقيق: إحسان عباس- دار صادر، بيروت- ط ١، ١٩٩٤م.

## فهرس الموضوعات

## الفصلُ الثّاني

## مَنْهَج ابن الأثير فِي باقي أركان الإيمان

## الفصل الثالث

## مَنْهج ابن الأثير فِي الكلامِ عَلى البدعِ والفرقِ المُبتدعة

# ملخص البحث

إن الاهتمام بعقائد العلماء المسلمين المشهورين – الموافقين والمخالفين – لعقيدة أهل السنة والجماعة، وإبرازها وعرضها، من الأمور المهمة في توعية الناس، وفي تسهيل الوصول إلى مواطن تناول هؤلاء العلماء لمسائل العقيدة، والاستفادة منها لطلاب العلم والباحثين.

لذلك جاء هذا البحث لدراسة الآراء الاعتقادية لأحد أئمة الإسلام المشهورين، وهو الإمام المبارك بن محمد بن الأثير، وهو صاحب المؤلفات المشهورة، والتي قد لا يخلو منها كتاب أو بحث أو رسالة إلا واستفاد ونقل منها.

وجاء هذا البحث مشتملاً على فصل تمهيدي وثلاثة فصول، الفصل التمهيدي في ترجمة ابن الأثير، وبيان منهجه في تقرير مسائل العقيدة.

والفصل الأول في بيان منهجه في توحيد الله تعالى، وتكون من أربعة مباحث، في بيان منهجه في تعريف التوحيد وبيان أقسامه، وفي توحيد الربوبية، وفي توحيد الأسماء والصفات، وفي توحيد الألوهية.

والفصل الثاني في بيان منهجه في باقي أركان الإيمان، وتكون من أربعة مباحث، في بيان منهجه في الإيمان ومرتكب الكبيرة، وفي الإيمان بالرسل، وفي الإيمان باليوم الآخر، وفي الإيمان بالقضاء والقدر.

والفصل الثالث في بيان منهجه في البدع والفرق المبتدعة، وتكون من أربعة مباحث، في بيان منهجه في تعريف البدعة لغةً واصطلاحاً، وفي أقسام البدعة، وفي الصلاة خلف المبتدع، وفي ذكره بعض الفرق المبتدعة.

وافق أهل السنة والجماعة في بعض المسائل، وخالفهم في أخرى.

في تعريف التوحيد، وتوحيد الأسماء والصفات وافق المتكلمين في الأغلب، واعتمد التأويل، وفي توحيد الألوهية وافق أهل السنة في الجملة.

في مباحث الفصل الثاني وافق أهل السنة في الجملة، وخالفهم في القول بحياة الخضر إلى الآن، ونبوة بعض النساء، وفي أفعال العباد.

في مباحث الفصل الثاني وافق أهل السنة في الجملة، وخالفهم في أقسام البدع.

# Abastract

The interest in the tenets renowned Muslim scholars - approvers - the doctrine of the Sunnis and the community, and highlighted and displayed, is important to educate the people, and in facilitating access to eating these citizen scientists to matters of faith, and its use for science students and researchers.

So this came to study the views of belief to a famous imams of Islam, which is the holy Imam bin Mohammed bin ether, which is his famous writings, which may not without a book or research or message only benefited and transferred.

The research encompassing an introductory chapter, three chapters, the introductory chapter in the translation of Ibn al-Athir, and a statement carried on his self-belief issues.

The first chapter in a statement carried on his unification of God, and be one of the four topics, in a statement carried on his definition of monotheism and the statement of its divisions, and in the unification of the Godhead, and the standardization of names and attributes, and the unification of divinity.

The second chapter in a statement carried on his in the rest of the pillars of faith, and be one of the four topics, in a statement carried on his great faith and the perpetrator, and in the belief in the Messengers, and Belief in the Last Day, and fatalism.

The third chapter in a statement carried on his heresies and innovated difference, and be one of the four topics, in a statement carried on his definition language heresy and idiomatically, In sections heresy, and pray behind the innovators, and mentioned some of the teams innovated. And approved the Sunnis and the community in some of the issues, and disagreed in the other.

In the definition of uniformity and standardization of names and attributes and speakers mostly agreed, and adopted the interpretation, and in the unification of divinity and approved by the Sunnis in the sentence. Investigation in the second quarter and approved the Sunnis in the sentence, and pious to say Greens to life now, and the prophecy of some women, and in the actions of people.

Investigation in the second quarter and approved the Sunnis in the sentence, and disagreed in sections fads.